



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية
مدرسة الدكتوراه



مفهوم التغيير الإجتماعي لدى أساتذة علم الإجتماع

- بين المكانة الأكاديمية و صناعة القرار -

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع تخصص التنظيم والديناميكيات الاجتماعية
والمجتمع

من إعداد الطالب: طارق مخنان تحت إشراف : أ/ د: احمد رميتة

أعضاء لجنة المناقشة :

أ/ د: نور الدين حقيقي	رئيسا
أ/ د: احمد رميتة	مقررا
أ/ د: نور الدين عيساني	عضوا
أ/ د: احمد دلاسي	عضوا
أ/ د: عبد القادر خليفة	عضوا

السنة الجامعية 2016 - 2017



إلى روح أمي الطاهرة

إلى والدي العزيز الذي غرس في حب الأخلاق

إلى زوجتي و ابني اديب و آدم

إلى إخوتي و أخواتي و جميع أبنائهم

إلى الأصدقاء الذين عرفتم في الشدة

إلى جميع الأساتذة الذين درسونا و علمونا معنى العلم

إلى الأساتذة الذين تكونا على أيديهم في مدرسة الدكتوراه، وأخص بالذكر المشرف

الأستاذ احمد رميتة

إلى كل من يحمل في قلبه حب التغيير و التضحية

طارق م.

خطة البحث

الصفحة	الموضوع
أ	مقدمة
الباب الأول الجانب النظري	
الفصل الأول: البناء المفاهيمي للدراسة	
06	(1) الإشكالية
09	(2) أسباب اختيار الموضوع
10	(3) أهداف الدراسة
11	(4) بناء الفرضيات
12	(5) بناء المفاهيم
20	(6) المقاربة السوسيولوجية
26	(7) صعوبات البحث
الفصل الثاني: النخبة المثقفة	
تمهيد	
28	المبحث الأول: النخبة المثقفة في الفكر العربي
29	- المطلب الأول: المثقف العربي المعاصر
32	- المطلب الثاني: المثقف والمجتمع
35	- المطلب الثالث: المثقف والسلطة السياسية
38	- المطلب الرابع: النخبة في فكر مالك بن نبي
43	- المطلب الخامس: علي حرب، "أوهام المثقف"
49	- المطلب السادس: محمد عابد الجابري، "نقد العقل العربي"
59	- المطلب السابع: النخبة المثقفة في فكر إدوارد سعيد، "المثقف المعاصر"
63	- المطلب الثامن: النخبة في فكر محمد أركون، "تفكيك الفكر العربي"

69	المبحث الثاني: النخبة المثقفة في الفكر الأوربي المعاصر
تمهيد	
73	- المطلب الأول: فلفيدو باريتو (1848-1923) الاتجاه السيكولوجي
76	- المطلب الثاني : النخبة في فكر كوزر
77	- المطلب الثالث: النخبة في فكر هوفشتادتر
78	- المطلب الرابع: النخبة المثقفة في الفكر الماركسي
82	- المطلب الخامس: جان بول سارتر، "المثقف الكلي"
87	- المطلب السادس: النخبة في فكر أنتوني غرامشي، "المثقف العضوي"
97	- المطلب السابع: كارل مانهايم، "المثقفون اللأمنتمون اجتماعيا"
99	- المطلب الثامن: النخبة في فكر مشال فوكو، "المثقف الخصوصي"
105	- المطلب التاسع: النخبة في فكر بيار بورديو "المثقف الجماعي"
111	- المطلب العاشر: النخبة المثقفة في فكر مدرسة فرانكفورت
116	- المطلب الحادي عشر: النخبة المثقفة في السياق الروسي
الفصل الثالث: التغيير الاجتماعي	
تمهيد	
120	المبحث الأول: التغيير الاجتماعي في الحضارة العربية الإسلامية
122	المبحث الثاني: التغيير الاجتماعي عند هربرت ماركيز
125	المبحث الثالث : التغيير الاجتماعي عند أنتوني جيدنز
133	المبحث الرابع: التغيير عند ريمون بودون
139	المبحث الخامس: التغيير الاجتماعي السوسيو-ثقافي، عند غي باجوا
145	المبحث السادس: دور النخبة في التغيير الاجتماعي غي روشي
الفصل الرابع: النخبة المثقفة في الجزائر	
تمهيد	
152	المبحث الأول: النخب المثقفة الجزائرية قبل وبداية الاحتلال الفرنسي

157	المبحث الثاني: خصائص النخبة المثقفة الجزائرية في الوضع الراهن
160	المبحث الثالث : النخبة المثقفة الجزائرية وإشكالية المرجعية
163	المبحث الرابع: المثقف الجزائري وإشكالية اللغة
الباب الثاني	
الفصل الخامس: الجانب الميداني	
تمهيد	
169	المبحث الأول: مجالات الدراسة المكاني و الأزمني والبشري
169	المبحث الثاني: منهج الدراسة
170	المبحث الثالث :الأدوات المستخدمة في جمع البيانات
	المبحث الرابع: العينة وكيفية اختيارها
173	المبحث الخامس: تحليل البيانات واستخلاص نتائج الدراسة
211	نتائج الدراسة
	الخاتمة
	الفهرس
	المراجع
	الملاحق

فهرس الجداول

الرقم	العنوان	الصفحة
01	يوضح حركة التأليف لدى النخبة المثقفة	173
02	يوضح وضع النخبة المثقفة بين التقليد والتجديد	174
03	يوضح انفعال النخبة المثقفة مع مختلف قضايا المجتمع	175
04	يوضح آراء النخبة حول تتبعها لقضايا المجتمع	176
05	يوضح مشاركة النخبة في المنتقيات	177
06	يوضح وظيفة الأستاذ الجامعي بين التدريس فقط، أو كفاعل اجتماعي أيضا	179
07	يوضح انخراط النخبة داخل المنظمات الاجتماعية والسياسية	180
09	يوضح علاقة النخبة بالمجتمع المدني	181
10	معظم الدراسات خاصة في العلوم الإنسانية هي دراسات نظرية و سطحية أكثر منها تمس الواقع الاجتماعي	183
11	يوضح تمركز النخبة في موقف النقد أم الصمت والإنعزال	184
12	يوضح أن النخبة المثقفة لا تقوم بوظيفة النقد البناء و إبداء رأيها تجاه مختلف القضايا	187
13	يوضح علاقة النخبة بالمجتمع	188
14	يوضح طبيعة علاقة المثقف بالمجتمع	189

191	تأثير النخبة المثقفة الجزائرية في المجتمع	15
193	يمثل توزيع أفراد العينة حسب السن	16
194	يبين مؤشرات تعريف النخبة المثقفة	17
194	يمثل توزيع أفراد العينة حسب الدرجة العلمية	18
196	يُبين واجب النخبة المثقفة في صناعة القرار داخل المجتمع	19
196	يوضح هل أن المجتمع في عصر المعلوماتية أصبح لا يحتاج إلى نخبة مثقفة	20
198	يوضح فكرة أن غياب دور النخبة يعود بدرجة أكبر بأنها لا تملك مفاتيح المجتمع الالكتروني	21
199	يوضح هل نموذج المثقف الملتزم وصل إلى الأفول	22
201	يبين العلاقة بين النخبة المثقفة فيما بينها	23
202	يوضح هل أن المجتمع الآن لم يعد بحاجة إلى نخبة مثقفة	24
203	يوضح هل النخبة المثقفة مهمشة؟ و ما سبب التهميش؟	25
204	يوضح هل أن سبب تهميش المثقف هو السلطة؟	26
205	يوضح العلاقة التي تربط النخبة بالسلطة	27
207	يوضح مواقف النخبة المثقفة بين الانقسام والتوحد حول القضايا الاجتماعية	28
209	يوضح مواقف النخبة بين الوضوح والغموض تجاه القضايا الاجتماعية	29

مقدمة

من خلال تتبعي ما أمكنني أن أطلعه حول موضوع النخبة المثقفة، هناك أو لا يزال مجال أو هامش للبحث، ربما ما زلنا بعيدين حول موضوع النخبة المثقفة، لأن الإشكالية، وحسب قناعاتي، فيما يحمله مفهوم المثقف من معاني و دلالات، مما جعله موضوع تأويل و شروحا عديدة تذهب إلى حد التناقض، لأن ما هو معروف هو أن المصطلح وليد العصر و البيئة التي ظهرت فيه تشير إلى أن سوسيولوجيا المثقفين في العالم العربي قد اعتمدت على ثنائيتين، الأولى تقسيم المثقفين إلى تقليديين وعصريين، و الثانية دراسة كلا المجموعتين حيال السلطة السياسية، ونحن في دراستنا حاولنا أن ننظر إلى موضوع النخبة المثقفة من منظور آخر أو مقارنة أخرى و هي مقارنة الفعل التواصلي ليوبرغن هابرماس المفكر الألماني الذي يراه أغلب المفكرين أنه يمثل الجيل الثالث لمدرسة فرانكفورت الألمانية، فهابرماس كما هو معروف بنظرته إلى الحداثة أنها مشروع لم ينجز بعد، بل ودعا إلى تصحيح مسار الحداثة التي خرجت عن ما كان مسطر لها من خلال فلاسفة التنوير، كما دعا إلى نقد العقل الأداتي وليحل محله الفعل التواصلي الذي يمتاز بالقدرة على الحوار و النقد والإنتاج المعرفي و الوعي الحقيقي، وأن الفئة المؤهلة لهذا الدور، أو بالأحرى من تملك هذه المؤهلات النخبة المثقفة الجامعية، التي عول عليها كثيرا بإعطائها هذا الدور الريادي و أطلائعي. وكما نشير بطبيعة الحال أن غياب دور النخبة المثقفة في مجتمع ما، هو مجتمع يعيش نوع من الأزمة الفكرية، وتغيب عليه الحركة التغييرية، باعتبار أن النخبة المثقفة هي محرك التغيير في المجتمع

إن إشكالية النخبة المثقفة في الجزائر لم تطرح لأول مرة و لستُ بدعا في ذلك ولا أول من

طرحها، بل طُرحت في العديد من المرات و من طرف الكثير من المفكرين و السوسيولوجيين

الجزائريين ، فنحن هنا لم نحكم أو نصدر أحكاما جزافا ، فهناك مئات المقالات و الدراسات التي

أشارت إلى أن هناك أزمة لغياب الفعالية للنخبة المثقفة الجزائرية ، محاولين بذلك إعادة طرح

الإشكالية من منظور آخر، و محاولة دراستها ميدانيا حتى لا نبقى في الإطار التئظيري المجرد ،

معتمدين على دراسة مجموعة من الأبعاد و قياس بعض المؤشرات التي اعتمدنا عليها في دراستنا ،

ومنه جاءت إشكالية الدراسة تتمحور في ما يلي : هل هناك دور للنخبة المثقفة الجزائرية في التغيير

وصناعة القرارات ؟، أما عن هدف الدراسة لا يتضمن فقط انجاز مذكرة تخرج فقط في الإطار

الروتيني ، بل الأمر يتجاوز ذلك ، وهو دعوة حقيقة للنخبة المثقفة الجزائرية لخروجها من عزلتها في

إطار تكوين مشروع حضاري تنموي تغييري ، موازيا لفلاسفة التنويريين الذين كان لهم الدور البارز

في قيام النهضة الأوربية المعاصرة ، في إطار طبعا، علمي بعيدا عن السياسة أو ربما الاقتراب من

السياسة بآليات علمية ، و ميكانيزمات مغايرة للسياسية و نخبتها، و كذا إبراز أهمية النخبة المثقفة

في إحداث التغيير

و قد قسمت الدراسة إلى خمس فصول ، **الأول الفصل الأول الخاص بالجانب المنهجي** : البناء

المفاهيمي للدراسة و يتضمن : ستة مباحث

1. الإشكالية

2. بناء الفرضيات

3. أسباب اختيار الموضوع

4. أهداف الدراسة

5. بناء المفاهيم

6. المقاربة السوسيولوجية

ثم **الفصل الثاني** بعنوان النخبة المثقفة ، وقد قسم إلى مبحثين الأول النخبة المثقفة في الفكر العربي ، وقد قدمنا مجموعة من النماذج التي كتبت حول الموضوع ، ونشير إلى أننا لم نقم بنقل فقط ، بل حاولنا المقارن بين وجهات النظر بين المفكرين ، و كذلك محاولة نقد بعض تصوراتهم ، في إطار إبداء الرأي ، أما المبحث الثاني جاء حول النخبة المثقفة في الفكر الأوربي ، ثم بعد ذلك **الفصل الثالث** الذي تطرقنا إلى جزء مهم من البحث التغيير ، وتطرقنا إلى بعض المداخل النظرية التي تناولت التغيير الاجتماعي مركزين على النظريات المعصرة والأكثر ميدانية ، وبعد ذلك **الفصل الرابع** بعنوان **النخبة المثقفة الجزائرية** ، وأخيرا **الفصل الخامس** الخاص بالدراسة الميدانية ، وتمثل مجتمع بحثنا في أساتذة علم الاجتماع ، و ذلك على اعتبار منطقي ، أنهم الفئة الأقدر على فهم المجتمع و قد كان تركيزنا على الدكاترة خاصة ، معتمدين في ذلك على الاستبيان في جمع المعلومات ، وبعد ذلك قمنا باستخلاص نتائج الدراسة و الخروج بتوصيات ، وأخير نختم كلامنا بمقولة العماد الأصفهاني " إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولم زيد كذا لكان يُستحسن ، ولم قدم هذا لكان أفضل ، ولم ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على اعتلاء النقص على جملة البشر".



الباب الأول: الجانب
النظري

الفصل الأول:
البناء المفاهيمي للدراسة

أسباب اختيار الموضوع:

إن لأي بحث علمي لابد أن يكون له مجموعة أسباب لدفع الباحث لدراسته، والبحث عن الأسباب الحقيقية والمخفية لمشكلة ما ومحولة الكشف عنها، وعليه فموضوع النخبة المثقف في الجزائر فرض نفسه و بقوة في الساحة الجزائرية وخاصة وأنه تزامن والحراك الشعبي في المنطقة العربية، وما لاحظناه هو كثرة الحديث والنقاشات المطروحة عن دور المثقف وغيابه بشكل ملفت للانتباه، فدائماً يتساءل الجميع عن أين هو المثقف؟ وما هو دوره؟ فمسألة المثقف هي مسألة قديمة حديثة، أي دائماً يعاد نفس التساؤل حول المثقف؟ والكثير من المفكرين الذين وقفوا في صفين متعارضين متناقضين، فهناك من راهن على أن المجتمع لم يعد بحاجة إلى نخبة مثقفة توجهه، والدليل على ذلك ما حدث في تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا، لم يكن للمثقف دوراً فيه، والطرف الآخر راهن على دور المثقف وأن المجتمع لا يمكن له أن يتخلى عن المثقفين، فالمجتمع بحاجة إلى من يوجهه وينوره ويقود مسيرة التغيير إلى الأحسن و اللحاق بركب الحضارة. وأن ما حدث من ثورات في المنطقة العربية لم تنجح لأنها لم تكن مخططة و ممنهجة من الداخل العربي، بل ولم تكن لها أهداف واضحة مدروسة، لأن المشكلة لا تكمن في نظام الحكم بل كذلك في ذهنية الفرد العربي التي تحتاج إلى ثورة

أهداف الموضوع:

وسنحاول هنا البحث في هذه الأسئلة الوصول إلى إجابات ليس بالضرورة أن تكون مقنعة للجميع لكن المهم أن نضع بعض التصورات التي نأمل أن تساهم ، في تحريك المناخ الفكري المتعلق بهذا الموضوع عند من يهتم به، ومن تقع بين يديه هذه المادة المقروء

- تحليل أسباب تضاؤل تأثير المثقف الأكاديمي في المجتمع الجزائري

- دعوة النخبة المثقفة الجزائرية إلى إحداث الفعل التواصلي فيما بينها وتكوين رابطة

أكاديمية علمية بعيدة عن أي أيديولوجية أو توجه، بل هدفها تنوير المجتمع وتكوين

مشروع حضاري وثورة فكرية تنويرية

- يمكن للنخبة المثقفة أن تكون كبديل لما فشلت في تحقيقه النخبة السياسية من إحداث

التقدم الحضاري

- إبراز أهمية النخبة المثقفة في إحداث التغيير

الإشكالية:

في التحولات الاجتماعية والسياسية الكبرى والتي يبدو فيها التاريخ زمناً مفتوحاً على التغيير أو أن التاريخ، كما يقال، يعيد نفسه، و أن التاريخ يتقدم إلى مستوى آخر من حركته ومن صيرورته. في مثل هذه المفاصل والانتقالات العامة والشاملة يبرز دائماً سؤال مصاحب إلى هذه اللحظات التاريخية، وهو ما دور النخبة المثقفة من صياغة الحراك الاجتماعي والفكري؟ وأين موقع هذه الشريحة في هذه التحولات؟ ماذا تقدم النخبة الثقافية للمجتمع؟ وهل هي شريك فعلي في صياغة التاريخ وفي حركته التي لا تتوقف، فالتاريخ قد يتجمد إن جازت العبارة أو قد يبطل في مساره أو قد ينقلب على كينونته، ولكنه في كل الأحوال لا يتوقف عن الجريان تماماً كالنهر الذي يتغذى من أكثر من منبع.

إن هذه الإشكالات الطويلة لا تثار للمرة الأولى في هذا المقام، ففي كل حدث اجتماعي أو سياسي كبير تستعاد هذه التساؤلات ، ولا بأس أن نشير إلى أنه قد ظهرت مجموعة من الدراسات التي تناولت أزمة غياب دور المثقف في التغيير منها :

محمد عابد الجابري "المثقفون في الحضارة العربية، 1996" وعلي حرب "أوهام النخبة، 1996" وعلي أومليل "السلطة السياسية والسلطة الثقافية، 1996" وإدوارد سعيد "صور المثقف، 1996" وفهمي جدعان "الطريق إلى المستقبل، 1996" وعبد الإله بلقزيز "نهاية الداعية، 2000" المثقفون العرب والتراث، 1990 ، "مجمع النخبة" برهان غليون 1987 "أزمة المثقفين العرب " لهشام شرابي " و المثقفون العرب والغرب 1981

" أين ذهب كل المثقفين؟" Frank Furedi "Where have all the intellectuals gone?" وكتاب الصادر في طبعته الإنجليزية سنة 2004، وفي طبعته العربية سنة 2010، لمؤلفه الكاتب البريطاني فرانك فوريدي أستاذ علم الاجتماع في جامعة كينت، جاء ليحدد النقاش مرة أخرى حول المثقفين وجودهم وبقائهم، صورهم وأنماطهم، وصفهم و صفتهم، دورهم ووظيفتهم، صعودهم وتراجعهم، مصيرهم ومستقبلهم، وذلك على سبيل المثال لا الحصر.

وحتى نكون أكثر واقعية ما نعيشه وما عشناه في السنوات القليلة الماضية من ثورات شعبية منتقضة مطالبة بالتغيير كدليل على ذلك و نتساءل عن دور النخبة ، لسبب بسيط وهو أن النخبة المثقفة يعول عليها في الكثير من الأحيان، ويعتمد عليها وينتظر منها أن تكون في قلب التغيير ،الاجتماعي والسياسي ، لما تحمله من رؤية نقدية ورؤية اجتماعية ورؤية ثقافية تقوم عليها معاً حركة التاريخ ، يعتبر - هابرماس- النقد وسيلة فضلى و مناسبة لتعليم وتنوير الناس حول ما يدور حولهم؛ أي أنه يعتمد على النشاط العقلي في رؤية وغريلة الأحداث والأفكار الدائرة في المحيط الاجتماعي .و لم ينس هابرماس وظيفة الجامعة في تخريج المثقفين.....بل ويعتبر في الوقت الراهن، بأن المثقفين العضوين المالكين لنفوذ قوي، تمكّنوا من نيل مكانة لم يتمكن أي مثقف مثلهم في عصور وأزمان غابرة. ونسجل ملاحظة هامة ، وهي أن - هابرماس - لم يتناول موضوع النخبة المثقفة بشكل واسع. بل ركز على تكوينهم الثقافي ووظيفتهم النقدية للأحداث السلبية و دورهم في التواصل مع المجتمع من أجل تنويره و ارتقاء وعيه المجتمعي و السياسي ¹.

ويرى أيضا هابرماس أن من مهمة العلوم الاجتماعية يقع على عاتقها عملية النقد لأنها علوم نقدية منذ تكوينها وهذا ما يميزها عن بقية العلوم التجريبية و العلوم التاريخية التأويلية، و هذا ما يسميه هابرماس بـ: "التأمل الذاتي" ،إنها توفر الإطار المرجعي للافتراضات النقدية باعتبار أن التأمل الذاتي يحرر الذات من تبعيتها للقوى الراكدة و الجامدة²

و لكن الذي يمكن ملاحظته وهو حتما متفق عليه (يقول سام سمث"، أن الانحطاط والتدهور في المثقفين بات مشكلة عالمية، كما يكشف عن ذلك البيان المتعدد الجنسيات الذي أصدره أشخاص مثل غابريل غارسيا ماركيز، ديزموند توتو، وليام ستايرون، لورين بيكال، جاك دريدا، صوفيا لورين، كارلوس فيوننتس، فينيسيا رودغريف، وارثرتشليزنجر عام 1998) ،أن النخبة المثقفة لم تعد تلعب الدور الطبيعي و النخبوي ، و أصبح المثقف كشاهد لا كفاعل اجتماعي و الأقل فاعلية على المسرح الاجتماعي، ولم تعد حتى قادرة على الاضطلاع بمسؤوليتها الفكرية والاجتماعية داخل المجتمع، و أصبحت النخبة مكتفية بتأمل الواقع و الاكتفاء بملاحظته.

¹ معن خليل العمر ، علم الاجتماع المثقفين ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، ط1 ، ص125

² نفس المرجع : ص 68

وما ينطبق على العالم العربي و الإسلامي ينطبق على الجزائر، فالاحتجاجات الأخيرة التي كشفت عن وجود فراغ رهيب ، حيث وقفت النخبة المثقفة بجميع أطيافها و تفرعاتها موقف الصامت والمتفرج الذي لا يكاد يفهم ما يدور حوله أو التائه ، مما يحدث و ظهر للعيان عن بؤس النخبة بالرغم من وجود ما يسمى بالمخابر البحث العلمي بمختلف تسمياتها وتخصصاتها العجيبة، وميزانياتها المثيرة و لكنها تبدو بأن لا علاقة لها بالمجتمع الجزائري، لم تعد النخبة الجامعية المرجعية الثقافية الحقيقية للمجتمع وفقدت ريادتها ورمزيتها التقليدية ولم تعد تلعب الدور الريادي و الطلائعي والقيادي، وباتت عاجزة على تنوير المجتمع ووصلت إلى منطقة سماها علي حرب بمنطقة نهاية المثقف، بعد هذا الهزال الوجودي والقصور المعرفي، وبالتالي لم تعد النخبة قادرة على إنتاج معرفة جديدة و التأثير في إعادة سياقات المجتمع وهي تتداول مصطلحات فارغة لا مضمون لها وتحلل القضايا بسطحية دون جهد حقيقي للنفاذ للأعماق، وبالتالي أصبح ينتج المثقف كما قال جون بول سارتر لغة ضيقة محدودة بسياقات لا تمتلك الرحابة التي ينتظرها المجتمع منه و ما يقوله غير مختلف عما يقوله العامة و من هنا ألا يحق لنا أن نتساءل حول النخبة المثقفة الجزائرية ، دورها موقعها مكانتها وواقعها ؟ وهل النخبة المثقفة الجزائرية قد خفقت في مسعاها ؟ على حد تعبير مالك بن نبي لأنها لم تنجح في نشر الوعي داخل المجتمع فيتبعها متيقنا بأنها على صواب فيمنحها ثقته فيجعلها محل آماله و نور مستقبله ، فيحملها مسؤولية عظمى ويضعها تحت رقابة دائمة

و هل فعلا دور النخبة المثقفة في الجزائر بات بالفعل أزمة حقيقية ؟ فالمجتمع كما يحتاج لتنمية سياسية واجتماعية فهو يحتاج بطبيعة الحال إلى نخبة حقيقية فعالة و سنسعى من خلال هذه الدراسة إلى طرح الإشكالية حول: واقع النخبة المثقفة الجزائرية وعن دورها في صناعة القرارات و وجهات نظرها حول مختلف القضايا، و عليه كانت إشكالية الدراسة تتمحور في :

هل أصبحت النخبة المثقفة الجزائرية فئة تكنوقراطية وظيفية أي تطمح إلى تحقيق أهدافها الشخصية فقط غير مهتمة بالمجتمع؟

هل أصبحت النخبة المثقفة الجزائرية مترددة وحائرة منفعة غير فاعلة في الحياة الاجتماعية؟

بناء فرضيات الدراسة:

قد تناول الفكر الماركسي مفهوم **الوعي** وذلك بتطرقه إلى الوعي الطبقي وقد قصد به "الشعور المتزايد الذي ينتاب أعضاء الطبقة البروليتارية ويجعلها تحسب مركزها الاجتماعي المناقض للمركز الاجتماعي الذي تحتلها الطبقة البرجوازية، ومثل هذا الشعور يولد عندها صفة التماسك والوحدة التي تساعد على محاربة الاستغلال والظلم الذي تتعرض إليه من جراء وجود النظام الرأسمالي¹.

أما عند **هابرماس الوعي** : وهو قبل ذلك من بين أهم الأبعاد الثلاثة المكونة للفعل التواصل من وجهة نظر هابرماس وهو يعني "الوعي" : تدخل النخبة المثقفة الأوروبية في تصحيح مسار الحداثة التي يعتبرها هابرماس مشروع لم ينجز بعد

أما الوعي الذي نقصده في بحثنا هو : عدم الخضوع أو العمل تحت أي توجه أيديولوجي يسعى إلى تكريس الوضع الراهن.

إنتاج المعرفة: إنتاج معرفة متجددة لربط قضايا البحث النظري بالقضايا الاجتماعية بالمجتمع،

التأثير: النقد والتوجيه وتسمية الأشياء بأسمائها وذلك من أجل الإصلاح والتغيير عن طرق نشر الأفكار والتوجيه والتنوير. و مما سبق قمنا ببناء فرضية الدراسة في ضوء الأبعاد الثلاثة لنظرية الفعل التواصل لهابرماس و جاءت كما يلي :

النخبة المثقفة الجزائرية عاجزة عن إحداث الفعل التواصل الذي يعني : الوعي، و

القدرة على إنتاج معرفة جديدة ، والتأثير داخل المجتمع

تحديد المفاهيم:

مفهوم المثقف

مفهوم مستحدث في اللغة العربية، شاع استخدامه في الأدبيات الاجتماعية والسياسية خلال العقود القليلة الماضية. ولفظا (متقف) و (تقف) بمعنى (حذق وفهم وأدرك). اللفظ يقابل (intellectual) ذوي

¹ عبد الهادي الجوهري، قاموس علم الاجتماع، المكتبة الجامعية الحديث، الإسكندرية، ط3، سنة 1998، ص 252

الأصل اللاتيني المستخدم في اللغات الأوروبية.. فلفظ (intellectual) أقرب في معناه إلى كلمة (المفكر) لأن الكلمة مشتقة في اللغات الأوروبية من كلمة (intellect) أي (الفكر).

فإذا انتقلنا من تبين الأصل اللغوي لكلمة (متقف) لتحديد مجالها الدلالي، وجدنا أن الأدبيات العربية تكاد تعكس المفاهيم الرائجة في الكتابات الغربية. بل إننا نجد أصداء الحوار الجاري بين التيارات الفكرية الغربية يتردد داخل الفضاء الثقافي العربي بعد ترجمته إلى لسان عربي مبين. لذلك نجد الكتاب العرب منقسمين بين المدارس الفكرية الرئيسية المهيمنة اليوم على ساحة الفكر الغربي:

(1) مدرسة الحداثة: التي تعتمد الرؤية الديكارتية لوظيفة الفكر، فترى المثقف ناقداً اجتماعياً، يسعى إلى نقد الممارسات الاجتماعية انطلاقاً من مرجعية نظرية محددة.

(2) المدرسة الماركسية: التي ترى أن الفكر سلاح يستخدمه المفكر للدفاع عن مصالح الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها ويمثلها.

(3) مدرسة بعد الحداثة: التي تشدد على أن المثقف أسير هواجسه السلطوية، وأن مهمة الفكر تفكيك وإظهار التناقضات الداخلية، والهاجس السياسي للمثقف¹

لنبدأ بتعريف محمد عابد الجابري ، أحد أبرز وجوه الاتجاه الحداثي في العالم العربي اليوم. يرى الجابري أن المثقف ((في جوهره ناقد اجتماعي. إنه الشخص الذي همه أن يحدد ويحلل ويعمل، من خلال ذلك، على المساهمة في تجاوز العوائق التي تقف أمام بلوغ نظام اجتماعي أفضل، نظام أكثر إنسانية وأكثر عقلانية)).

ويتسع التعريف السابق للمثقف ليشمل كل المشتغلين بعمليات توليد الثقافة وتجديدها أو الحفاظ عليها، أو باعتماد عبارة الجابري ((جميع الذين يشتغلون بالثقافة، إبداعاً وتوزيعاً وتنشيطاً)).

¹ أحمد موصللي ، لؤي صافي ، جذور أزمة المثقف في الوطن العربي ، دار الفكر ، ط1، 2002، ص15

يؤكد (برهان غليون) أن وظيفة المثقف ليست شيئاً آخر سوى وظيفة إنتاج المجتمع نفسه من حيث هو آلية تختص بجمع وتوحيد الأجزاء والعناصر التي يتألف منها، وبث الروح الجمعية فيها وتحويلها بالتالي إلى كيان حي قادر على الحركة والتنظيم والتحسين والإصلاح)).

يختار (برهان غليون) تعريفاً للمثقف يتفق مع التصور العام للمثقف ضمن الاتجاه الحدائي، الذي ميزنا طرفاً من رؤيته في تعريف (الجابري)، لكنه يزيد عليه باستحضار البعد الجمعي الذي يعطي للمثقف أهمية اجتماعية وسياسية، إذ يكتسب المثقف قدرته على التأثير ضمن المجتمع الحديث من انتمائه إلى نخبة واعية لمكانتها الاجتماعية ومتعاونة لتكريس قدرتها الجمعية، وتوظيفها للتأثير في القرار السياسي والفعل الجماعي. فالمثقف جزء من نخبة مثقفة، والمثقفون ((فاعل اجتماعي جمعي وليس مجموعة أفراد يشتركون في نشاط مهني أو علمي أو ذهني واحد يقرب فيما بينهم)). ويتابع (غليون) مبيناً المقصود من عبارة فاعل اجتماعي فيقول: ((وعندما نتحدث عن فاعل اجتماعي فنحن نشير إلى قوة محرّكة و دينامية اجتماعية لا إلى مبدع فكري)).¹

إن تعريف (غليون) يضع أيدينا على أطراف أزمة المثقف العربي. فالمثقف فاعل اجتماعي يستمد فاعليته من انتمائه إلى نخبة تملك القدرة على إنتاج المجتمع من خلال إنتاج الأفكار والمفاهيم الضرورية لإعطاء أفراد المجتمع هويتهم، وتبرير مؤسساتهم وممارساتهم، أو دعوتهم إلى تأسيس حياتهم الاجتماعية على أفكار ومفاهيم جديدة²

"علي أومليل" في مؤلفه الهام: "السلطة الثقافية والسلطة السياسية"، الذي توقف فيه عند الدلالة التاريخية لمفهوم المثقف، معتبراً أن هذا المفهوم هو من بين المفاهيم الحديثة النشأة "التي يصعب الجزم بوجودها في فترات تاريخية سابقة، مما يجعل هذه العبارة "تحيل إلى مفهوم حديث للكاتب صانع الأفكار ومروجها"، ويكون صورة المثقف، باعتباره صاحب موقف نقدي من قضايا المجتمع، وفاعل اجتماعي قادر على التأثير في الواقع. هذا إضافة إلى كونه أسس لنسق من المعارف الجديدة، اتخذت من الانقلابات العلمية الحديثة قاعدتها في إثبات نسبية الحقائق، لم يظهر

¹ برهان غليون: اغتيال العقل، محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، دار التنوير، ط1، 1979

² أحمد موصللي، لؤي صافي، جذور أزمة المثقف في الوطن العربي مرجع سابق، ص ص 18-19

إلا حديثاً بعد أن ارتبط بتحول عميق في الوعي لدى الكاتب ذاته، وأصبح يعبر بالفعل عن قاعدة اجتماعية من القراء تدعم مواقفه وسلطته الفكرية، وهو ما لم يتحقق في الواقع العربي الإسلامي.

والآن نرى مفهوم المثقف في البيئة الغربية. حيث نجده يرتبط باسم فلفيدو باريتو Vilfredo Pareto، عالم الاجتماع الإيطالي، لينطلق المفهوم بعد ذلك في استعمالات عديدة تتراوح بين الخصوص والعموم، والقوة والضعف.. من حيث تعدد "النخب" بتعدد مجالات المعرفة، أو خصوصيتها ببعض المجالات، . و يضيف باريتو مفهوم النخبة في صيغة المفرد أو الجمع، ويعمم مفهوم النخبة لتشمل الصيغتين معاً، كما يربط المفهوم بالمجال المعرفي الذي تتحرك داخله. وتتعدد المجالات المعرفية تتعدد النخب.. هذا فضلاً عن العلاقات التي يمكن أن تسود أفراد النخبة الواحدة أو النخبة مع غيرها من النخب، أو مع الجمهور.. إيجابية كانت تلك العلاقات أو سلبية..

ودائماً "بالنسبة لعالم الاجتماع الإيطالي الكبير، يوجد في نفس الآن نخبة مسيرة بالمعنى المفرد، ونخب غير مسيرة (Elites non dirigeantes) بالمعنى الجمعي أو المتعدد. كتاب آخرون يفضلون كتابة الكلمة بالمعنى المفرد فقط والكلام عن نخبة مسيرة (أو موجهة) مثل بوتومور Bottomore، أو عن نخبة ذات سلطة ونفوذ مثل ج.ر. ميلز G.Wright Mills.

ونجد مصطلح المثقف في اللغة الإنجليزية قد، استخدمت كلمات مرادفة للمثقف كالمتعلم (Educated) والباحث المتمرس (Scholar) والمثقف الواعي المطع (Cultured) ، والمثقف النشط (Intellectual). فماكس فير يعتقد أن المثقف يحمل صفات ثقافية وعقلانية مميزة، تؤهله للنفاذ إلى المجتمع، والتأثير فيه بفضل المنجزات القيمة الكبرى، أما إدوارد شيلز، فيعرف المثقف على أنه الشخص المتعلم الذي يمتلك طموحاً سياسياً للوصول إلى مراكز صنع القرار السياسي أو من خلال دوره المحوري الحاسم في توجيه المجتمع عن طريق التأثير على القرارات السياسية الهامة التي تؤثر على المجتمع ككل. ميزة هذا المثقف قدرته العالية لاستخدام رموز ودلالات ومفاهيم لغوية عالية متصلة مباشرة بالإنسان والكون والفرد والمجتمع) .

ولتعقيد الأمور أكثر، بعضهم يستعمل كلمة طبقة (Classe).. ف "نخبة موجهة" و "طبقة موجهة"، "نخبة حاكمة" و "طبقة حاكمة"، كلها تعابير قابلة للتبادل. أما بالنسبة لمفهوم "طبقة مهيمنة"،

فهو يوحي رغم التنوع "الظاهري" للنخب بوجود تداخل بين مصالح الأعضاء وتواطؤ بينهم، وتعاون بين سلطة وقوة البعض وتأثر الآخرين". ف"داخل أية جماعة، التبادلات غير متساوية بين النخبة، والقاعدة، و"إن كل جماعة، كل مجموعة مستقلة نسبيا، تتحو لأخذ شكل هرمي. والشريحة العليا التي تتمتع بأكبر قدر من التمثيلات الرمزية والكفاءات التنظيمية تشكل النخبة"، وحسب البعض "لا يوجد في التاريخ أمثلة لنخب ثقافية أو فنية أو اقتصادية.. الخ، تتطور في غياب.. أية نخبة سياسية". و"بالنسبة لماركس الطبقة ذات السلطة هي التي تملك وسائل الإنتاج".

ويستدرك ريمون آرون (B.Aron) بإضافة أمرين أساسيين يستوقفان الباحث. الأول: عدم الوضوح الكافي للمقاييس التي تسمح بتمييز أعضاء النخب، فقد يوجد هناك تعارض بين حكم المجموعة وحكم الجمهور، فقد يتمتع فيزيائي أو عالم اقتصاد أو أجناس بشهرة واسعة لدى الجمهور بينما يكون عمله موضوعا لأحكام تشكيفية من طرف نظرائه.. الثاني: أن حقول النشاط المختلفة غير متساوية من حيث التقييم، ومن ثم فهي ليست غير قابلة للتحديد خلافا لما يقترحه باريتو. وهذا الاعتراض الثاني يعود إلى سؤال مهم، وهو هل التقييم غير المتساوي لقطاعات النشاط يشير إلى وجود نظام موحد للتقييم. ثم هذا النظام الموحد للتقييم إذا وجد، هل يمكن (...) لطبقة مهيمنة ذات قدرة أن تفرض سلم قيمها الخاصة على المجتمع؟"

فبالإضافة إلى التسمية التي تحيل مباشرة على النموذج الحداثي الغربي، فإن موقف المثقف العربي كان بإزاء هذا النموذج تعبيراً عن الاندهاش والإعجاب والرغبة في اللحاق والمتابعة، أكثر مما كان موقفاً نقدياً للذات، وحتى إن فعل فإنه يفعل في الغالب من موقع المتعالي المجرد، أو من موقع الناقل المستعير لنماذج أجنبية.

قد لا نجد فروقا مهمة حول مفهوم النخبة في المفكرين العربي والغربي، من حيث دلالاته على فئة أو طبقة تتعدد بتعدد المجالات التي ترتبط بها والأنشطة التي تزاولها. لكن يوجد الاختلاف دون شك في مناهج وطرق مزاولة هذه النخب لأعمالها، وفي انتماءاتها و ولاءاتها، وفي رؤاها و منطقاتها. وهذه المبادئ التصورية، أو حتى بعض مناهج العمل المتفرعة عنها، التي تحاول بعض النخب العربية استعارتها وتوظيفها، تصطدم في الغالب بالقناعات المحلية فتفرض وتقاوم وتتحى إلى الظل.

يساهم هذا أيضا في عزل النخبة، أو على الأصح تساهم النخبة بهذا في عزل ذاتها وإبعاد نفسها عن تلك الفئات المحلية المعبرة عن هوية وانتماء حضاري. وعلى الرغم من وضوح هذا الأمر وظهور أخطائه في تجارب عديدة، تصر النخب على مواقفها وتعتمد إلى تبريرها، فتجدها تنحو باللائمة دائما على الوعي الشعبي التقليدي والمتخلف. فتصبح بهذا مهام وأشغال النخبة شيئا، وهموم ومشاكل المجتمع شيئا آخر. ويتم الابتعاد كليا عن الواجب الحقيقي للنخبة المتمثل في الالتحام بالجمهور وتوعيته ونشر القيم الثقافية الإيجابية فيه، ليساهم بدوره في عملية البناء والتغيير ومواجهة ثقافة الاستهلاك والانحلال لتحقيق ذاته واستقلاله.

نجد في فكرنا المعاصر من يذهب، مؤكدا نفس المعاني والتبريرات، إلى أنه: "يسعفنا لفظ الأنجلنسيا، برنته الإفرنجية في الحديث عن المثقفين كفئة اجتماعية متميزة وفاعلة. ذلك أن المثقفين بحكم تشابه دورهم وتمائل وضعهم، يشكلون فئة تتعالى على الأفراد الطبيعيين". و"الوسيط الاجتماعي الذي أوكلت إليه الحداثة أمر إنشاء هذه الصورة (صورة المجتمع عن نفسه، سلبية كانت أم إيجابية) وتقديمها للمجتمع، هو فئة المثقفين من حيث هي فئة اختصاصها الفك ر، وهما التساؤل والنقد والبناء.. وهو دور رفيع وحاسم خاصة إذا أتاح لها المجتمع أن تلعب هذا الدور الريادي. أما إذا أغلق المجتمع أبواب النقد ونوافذ التساؤل وانطوى على نفسه يجتر صورته عن ذاته، فإن دورها يتقلص ويدرك الخسوف مكانتها والذبول وظيفتها..". كما نجد من يحاول فعلا ملامسة الدور الحقيقي للنخبة، أو المثقف فيها، فبعد استعراض طائفة من التعاريف المتعلقة بمفهوم المثقف يستخلص أحد الباحثين تعريفا جامعا له أراه مناسبا من حيث المهام الواجبة في حقه، فالمثقف عنده هو ذلك الشخص المتعلم الواعي المشارك، وصفة المشارك "يقصد بها ذلك الشخص الذي تعلم وأدرك واستوعب وتفهم قضايا مجتمعه ثم نزل إلى ساحة الميدان للمشاركة التطوعية في العمل الوطني لبناء مجتمعه. أيا كان نمط مشاركته وطبيعتها ونوعها ومستواها ودرجاتها. بمعنى ألا يقف منعزلا.. عازفا لا مباليا إزاء ما يحدث في مجتمعه. وهذه المشاركة تحدث طواعية مدفوعا إليها اندفاعا ذاتيا..".

وهناك من ينوط الثورة بـ"الأنجلنسيا" ويعتبر هذه الأخيرة أعلى مستويات النخبة المثقفة، التي يمكنها وحدها فقط الاطلاع بمهام الثورة والتنظير لها. "فالأنجلنسيا لا تعني، كما قد يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى، وكما يشير معناها القاموسي "مجموع المثقفين في بلد من البلدان". فيما أن الأنجلنسيا

هي بالتعريف "حاملة الوعي الثوري" و"أداة العمل الثوري"، فإنها لا تضم في صفوفها سوى تلك الشريحة من المثقفين المنتمين إلي[ها]، فالمثقف لا ينضوي تحت لواء الأنتلجنسيا إلا عندما ينتهي إلى مفاهيم وتصورات رافضة للوضع القائم وداعية إلى تعديله جذريا". وخلافا لمقررات الفكر الماركسي فإن الذي يقود الثورة هذه المرة ويصنعها هي الأنتلجنسيا وليس البرولتاريا ويصبح الحديث لا عن عمال المعامل والمصانع بل عن "عمال العقل" و"العمال الفكريين" أو عن البرولتاريا الثقافية".

تنطلق هذه النظرية أيضا (نظرية نديم البيطار في المثقفون والثورة) من شرط آخر غريب هذه المرة، شرط التخلف كمجال موضوعي لعمل الأنتلجنسيا وبناء الثورة. ف"بقدر ما يزيد تخلف الواقع الموضوعي يزيد احتمال ظهور حركات ثورية جذرية تنظمها أنتلجنسا طليعية". و"التقدم الاقتصادي والصناعي يفرز جماهير متخلفة سياسيا، و.. الوعي الثوري أو السياسي يفترض تخلف الأوضاع الاقتصادية والسياسية". بل تصل المغالاة بالبيطار إلى القول بأن "التقدم" السياسي، أي وجود نظام ديمقراطي مستمر يسمح بحرية الرأي والتنظيم وتشكيل الأحزاب والمناقشة الحرة، يشكل حاجزا منيعا أمام قيام العمل الثوري، وأن "التخلف" السياسي، أي غياب نظام من هذا النوع يشجع على ذلك". وهذا غريب فعلا يدعو إلى التساؤل عن أهداف الثورة والتغيير إذا كانت مطالبهما متحققة؟

ولا يفوت أن نشير إلى بعض الإلماحات المهمة عند الكاتب خاصة تلك المتعلقة بدور المثقفين تجاه العامة، نذكر منها قوله: "لا يمكن إدراك التاريخ وصنعه إلا بتوسط العلماء، الجماهير تصنع التاريخ بدون شك، لكن ليس أي نوع من الجماهير، بل تلك التي ننظمها ونثقفها. إنها تصنع التاريخ بشرط إدراكه وبشرط ألا تفصل عنه بسماكة الإيديولوجيا، حيث تكون مستعدة دائما، لتصديقها، إن لم تكن نعلمها التمييز بين الأطروحات الجيدة والأطروحات السيئة..".

وجاء تعريف المثقف [intellectuel] في قاموس "dictionnaires de la sociologie"

"L'intellectuel est producteur de biens culturels et lesquelles ses pairs reconnaissent une qualité proprement intellectuelle"¹

¹André akoun K pierre ansart, dictionnaire de sociologie, le robert seuil ;1999 p288

2- التغيير:

- تعريف التغيير:

عندما نتحدث في إطار التغيير الاجتماعي - وهو نطاق البحث في هذه الدراسة - نعرف التغيير على أنه "انتقال المجتمع بإرادته من حالة اجتماعية محددة إلى حالة أخرى أكثر تطوراً"¹

- مفردات التعريف:

- **انتقال المجتمع:** وأي تجمع بشري كالدول أو المؤسسات أو الحركات أو الأحزاب من حال إلى حال، من الحاضر إلى المستقبل، لتصبح طرفاً فاعلاً في الأحداث، وتحقق التنمية والنهضة المستهدفة، وتمارس دورها في إعمار الكون. وهكذا يتسع نطاق التعريف ليشمل الفعل على مستوى الدول والمؤسسات والحركات والأحزاب، بل ومجموعات العمل الصغيرة.
- **إرادته:** أي بعموم الرغبة والإرادة الجماعية للمجتمع بمؤسساته وهيئاته وأفراده. ومن ثم فإن حالات التحول التي تحدث دون إرادة جموع وحدات المجتمع² لا تدخل في نطاق تعريفنا لمصطلح التغيير في هذه الدراسة.
- **من حالة اجتماعية محددة إلى حالة أخرى:** وتشمل كلمة الحالة الاجتماعية أنماط العلاقات الاجتماعية والنظم الاجتماعية المختلفة كنظم الأسرة والاقتصاد والسياسة والنظم التشريعية والقضائية والدينية، ومن ثم فإن هذا اختيارنا لمصطلح الحالة الاجتماعية يجعل نطاق التعريف يتسع ليشمل عمليات التغيير في مناحي الحياة المختلفة.³
- **أكثر تطوراً:** فمصطلح التغيير يعني عندنا الانتقال بأي تجمع بشري إلى الأمام، وبناء قدرته على الفعل. وبالتالي فإن انتقال المجتمع إلى وضع أكثر تخلفاً أو ارتداده خطوة إلى الوراء لا يدخل في نطاق تعريفنا، لأنه لا يمكن أن تتلاقى إرادة المجتمع بعمومه على الانتقال لوضع متخلف.

- يعرف صلاح العبد التغيير الاجتماعي " بأنه ظاهرة طبيعية تخضع لها نواميس

- الكون وشؤون الحياة من خلال التفاعلات والعلاقات والتبادلات الاجتماعية المستمرة

- " والتي تفضي إلى تغير دائم"⁴

¹ عبد الباسط محمد ، حسن أصول البحث الاجتماعي، مكتبة وهبة، القاهرة 1998، ص12.

² مصطفى الخشاب، المدخل إلى علم الاجتماع، مكتبة الأجلو المصرية، القاهرة، 1992، ص35.

³ مصطفى الخشاب، نفس المرجع

⁴ والتوزيع، والنشر للدراسات الجامعية المؤسسة للإنتاج، علم في التطبيقية والأساليب النظرية الأسس العسل، إبراهيم

- كما يعرفه أحمد زكي بدوي " :أنه كل تحول يقع في التنظيم الإجتماعي سواء في بنائه أو في وظائفه خلال فترة زمنية معينة، والتغير الإجتماعي على هذا النحو ينصب على تغير يقع في التركيب السكاني للمجتمع أو في بنائه الطبقي، أو نظمه الإجتماعية، أو في أنماط العلاقات الإجتماعية أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد والتي تحدد مكانتهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات الإجتماعية التي ينتمون إليها¹

- ويشير عاطف غيث إلى التغير الإجتماعي بأنه " :التغيرات التي تحدث في - "التنظيم الإجتماعي أي في بناء المجتمع ووظائف هذا البناء المتعددة والمختلفة²

- ويرى عاطف غيث كذلك أن التغيرات الإجتماعية تأتي على أشكال متعددة منها التغير في القيم الإجتماعية والتي تؤثر بطريقة مباشرة في مضمون الأدوار الإجتماعية والتفاعل الإجتماعي والتغير في النظام الإجتماعي أي في المراكز والأدوار الإجتماعية، كالانتقال من نظام تعدد الزوجات إلى نظام وحدانية الزوج والزوجة ومن الملكية المطلقة إلى الديمقراطية... الخ، والتغير في مراكز الأشخاص يحدث ذلك بحكم التقدم في السن أو نتيجة الموت³

• تصنيف التغير الإجتماعي

التغير الثقافي:

يميل علماء الاجتماع إلى التمييز بين التغير الاجتماعي والتغير الثقافي، فأولهما هو الذي يطرأ على العلاقات الاجتماعية، بينما الثاني يعتري القيم والمعتقدات والمثل والرموز الشائعة في المجتمع، غير أن الواقع الفعلي يشير إلى صعوبة الفصل بين هذين النمطين من التغير . ويوجد خلط بين هذين المفهومين ولا تميز بعض النظريات بينهما، وربما يرجع ذلك للارتباط الشديد بين مفهومي الثقافة والمجتمع، إلا أن هناك فروقا بينهما: فالتغير الاجتماعي يشير إلى التحول في أشكال التفاعل الاجتماعي والاتصالات الشخصية، بينما التغير الثقافي يشير إلى التغير في أنساق وأفكار متنوعة

75 ص ، 1997 لبنان بيروت، .

382 ص ، 1982 الصلح، بيروت رياض ساحة لبنان مكتبة عربي، فرنسي لئجلزي الإجتماعية، العلوم مصطلحات معجم بدوي، زكي أحمد¹

² محمد عاطف غيث، التغير الإجتماعي والتخطيط، دار المعارف ط 2 القاهرة، 1966 ، ص25

³ محمد الدقس، التغير الإجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار المجدلوي للنشر والتوزيع، عمان، 1987 ، ص18

من المعتقدات والقيم والمعايير، كما أن التغيير الاجتماعي يحدث في التنظيم الاجتماعي أي في بناء المجتمع ووظائفه ويعتبر جزءا

من التغيير الثقافي. ويشمل التغيير الثقافي جميع التغيرات التي تحدث في أي فرع للثقافة كالفن والعلوم والتكنولوجيا، إضافة إلى التغيرات التي تحدث في أشكال التنظيم الاجتماعي وقواعده، وبذلك يكون التغيير الاجتماعي نتيجة من نتائج التغيير الثقافي¹

- **التغيير السياسي** : يشير التغيير السياسي إلى "الانتقال من وضع لا ديمقراطي استبدادي إلى وضع ديمقراطي. والتغيير السياسي السلمي قد يطلق عليه مصطلح (إصلاح) ويمكن اعتباره مرادفا للتغيير الدستوري في القيادة أو لإعادة بناء التأثير السياسي داخل المجتمع²، والتغيير السياسي كذلك هو "مجملة التحولات التي قد تتعرض لها البنى السياسية في المجتمع أو طبيعة العمليات السياسية والتفاعلات بين القوى السياسية وتغيير الأهداف، بما يعنيه كل ذلك من تأثير على مراكز القوة بحيث يعاد توزيع السلطة والنفوذ داخل الدولة نفسها أو بين عدة دول³

بناء المفاهيم الإجرائية:

إنه من المجازفة أن نضع تعريفا شاملا و كاملا للمثقف، لأن الصعوبة تكمن - حسب هذه التجربة المتواضعة - في أن مفهوم المثقف مرتبط ارتباطا وثيقا بدور، المثقف، أو ما هو دور المثقف؟ فإجابة على هذا السؤال هي التي خلقت المشكلة في التعريف لأن دور المثقف يختلف من عصر إلى آخر، ومن ظرف معين لآخر، ومن بلد لآخر، فدور المثقف منوط ومرتبك كلياً بما تمليه عليه حاجات وقضايا المجتمع، وعلى المثقف أن يكتشف بدوره هذه القضايا، وعليه سنقوم ببناء مفاهيم الدراسة.

عادل مختار الهوارى، سوسيولوجيا التخلف والتنمية مطبوعات جامعة صنعاء، اليمن، 1981 ص 18¹

² عماد مؤيد جاسم محمد المرسومي، أثر دراسة قوى التغيير في استشراف مستقبل الدولة القومية - التنمية البشرية نموذجاً، أطروحة دكتوراه، العراق، جامعة النهدين، كلية العلوم السياسية، 2006) ص 27

³ إسماعيل صبري مقلد ومحمد محمود ربيع: موسوعة العلوم السياسية. الكويت: جامعة الكويت، 1994، ص 47

-النخبة المثقفة:

هي مجموعة من الأشخاص المتجانسين، يمتلكون رصيذا معرفيا ولهم تكوين عالي، ويتمتعون بسلطة رمزية تخول لهم التفكير في قضايا المجتمع ، كما أن مفردة **النخبة** تحيل الى نوع من الانتخاب الإجتماعي بمجرد امتلاكه كفاءات نظرية وفكرية في المعارف والعلوم والتقنيات، ومفردة **الثقافة** تشمل قطاعات واسعة الأدب والفلسفة والعلوم الاجتماعية وحتى التقنية والبحثية، فالمثقف هو من يتعدى حدود اختصاصه للتكلم في قضايا تشمل كعضو في المجتمع يرتبط مصيره به.

-التغيير:

هو عملية التحول الاجتماعية التي يخوضها المجتمع بعمومه للانتقال إلى أوضاع أفضل التي يخرج منها المجتمع - بأفراده ومؤسساته وهيئاته- أكثر إيجابية وفاعلية وقوة وقدرة على إدارة شؤونه

المقاربة السوسيولوجية للدراسة:

حسب مطالعتي وما توصلت إليه بعد اطلاعي على العلماء والمفكرين سواء كانوا من الحقل السوسيولوجي أو غيرهم لم يتسن لي مصادفة نظرية متكاملة أو واضحة ربما أحاول من خلالها بناء موضوع بحثي ويكون كنقطة أو كقاعدة انطلاقاً للبناء النظري ومن ثم البناء الميداني، إلا ما سيكون محاولة لجمع مجموعة من الأجزاء والمداخل النظرية كمحاولة متواضعة للتنسيق بين مختلف التيارات النظرية الأهم أو التي ربما تناسب الدراسة التي بصدد خوض غمارها ، لما يتميز به الموضوع من خصوصية تجعل الإطار النظري صعباً نوعاً ما، لأن معظم الأفكار التي بين أيدينا حول النخبة المثقفة سواء كانت كلاسيكية أو معاصرة تخص المجتمعات الغربية ، ربما لا تصلح لتطبيقها حول النخبة المثقفة العربية ، فالمجال الجغرافي، أيضاً الجانب الثقافي الخ... كل هذا يدخل في ما يعرف بخصوصية

" النموذج الثقافي الموجه للمعاني *Mode de l'orientation significative*"

الذي يختلف بطبيعة الحال بين النخبة المثقفة في الغرب و عندنا ، ومع ذلك لا يمنعنا ذلك من محاولة الاستفادة منها على لأقل في الجانب النظري ، انطلاقاً من **نظرية الفعل التواصلي** «*théorie de l'agir communicationnel*» لـ **Jürgen Habermas**.

وسنقدم أولاً عرضاً نبين فيه هذه النظرية بهدف تقديم معنى الفعل التواصلي وما ذا يقصد به هابرماس، ثم بعد ذلك نوضح كيف استفدنا من هذه النظرية وتوظيفها كمقاربة سوسيولوجية لدراستنا:

وصل يورغن هابرماس 18/يوليو/1929، إلى درجة من الشهرة والتأثير العالمي، لم ينجح الرعيل الأول من ممثلي النظرية النقدية الاجتماعية المعروفة في حقل الفلسفة المعاصرة بمدرسة فرانكفورت في الوصول إليه فعلى الرغم من الثقل العلمي لأفكار الجيل الأول (هوركهيمر، أدورنو، ماركو زه، إريك فروم...)، إلا أن هابرماس هو الفيلسوف الوحيد الذي فرض نفسه على المشهد السياسي و الثقافي في ألمانيا كـ"فيلسوف الجمهورية الألمانية الجديدة" وفقاً لتعبير **وزير الخارجية الألماني يوشكا فيشر**، وذلك منذ أكثر من خمسين عاماً¹، و قد اهتم هابرماس كثيراً بالحدثة ، حيث

¹ متتدا للعلوم الإنسانية والتطبيقية: موضوع: هابرماس والفكر النقدي في علم الاجتماع، الأربعاء يوليو 29: 10: 2009 .

اعتبر مشروع الحداثة لم ينجز بعد ، هكذا كان عنوان المحاضرة التي ألقاها في أيلول 1980 بمناسبة استلامه لجائزة أدورنو ، يقول هابرماس هذا الموضوع المثير للجدل المتعدد الأوجه ما أنفك يلاحقني منذ ذلك الحين ¹ ألا أن هابرماس لا يرفض الحداثة بل يجب أن تنتقد من الداخل و إعادة تصحيحها و ليس رفضها كليا كما ذهب إلى ذلك مفكرو ما بعد الحداثة الذين يصفهم بأنهم يمثلون نوعا من النزعة الفوضوية ذات العمق المحافظ²

كما أن تحاليل هابرماس تسعى إلى تحرير الفرد من الاغتراب الذي يعيشه أكثر من اهتمامه من تغيير البنية الاجتماعية الموجودة ، بالنسبة ل هابرماس ليس من الضروري أن نغير المجتمع لتحسين وضع الفرد بل يجب أولا وقبل كل شيء تغيير العلاقات التي هي بشكل عام غير عادلة بين الأفراد حيث نجد أحد مهيمن والآخر مهيمن عليه ، وعليه يرى هابرماس الذي يدعو الى تغيير المجتمع ليس بواسطة تعبير الأبنية الاجتماعية و لكن تغيير العلاقات بين الأفراد ، وأول شكل من أشكال هذا التغيير هو الخطاب ، فنظريته حول العقل التواصلي كانت محاولة لوضع الفرد في مكانه الطبيعي داخل AGIR COMMUNICATIONNEL المجتمع ، فرد يشارك بكل حرية في تشكيل و تحقيق المجتمع³

ويقول أيان كريب ، ولقد قارنت **لوكاش** بصفته ممثلا لنزعة تفاعلية بكل من **أدورنو** و**هوركهايمر** و **ماركيز** بصفته ممثلين لنزعة تشاؤمية ، ضمن إطار فكري متشابه من منطلقاتها الأساسية، وأن اهتمامهم الشديد بحرية الإنسان، أما في أعمال هابرماس فان هذا الحماس يظهر بدرجة أقل⁴

وهو كتاب **l'espace public** إلا أن ما تميز به هابرماس هو دراسته للمجال العام بعنوان **التحول الهيكلي في المجال العام** ظهر سنة 1962 تتبع من خلال هذه الدراسة كيفية تشكل و نمو وتدهور المجال العام بين القرنين الثامن عشر والعشرين⁵

¹ يورغينهابرماس ، القول الفلسفي للحداثة ، ترجمة فاطمة ألبوشي ، منشورات وزارة الثقافة سوريا ، 1995 ، ص 05

² محمد نور الدين أفاية : الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة ، نموذج هابرماس : ، إفريقيا الشرق ، بيروت لبنان ، ط2 1998 ص 124

³ عبد العالي ديلة ، مدخل إلى التحليل السوسولوجي ، دار الخلدونية ، 2011 ص 46

⁴ أيان كريب ، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس : ترجمة ، د محمد حسين غلوم ص 345 ، عالم المعرفة ، الكويت 1999

⁵ جون سكوت خمسون عاما أساسيا : ترجمة محمد محمود حلمي ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر : جزء 2 ص 382

أما أنتوني جيدنز اعتبر أن هابر ماس قد تخلى عن الكثير من أفكار كارل ماركس لأنها أتت عليها الزمن، أنه تحول إلى أفكار ماكس فيبر بحثاً عن مسارات فكرية بديلة¹

إضافة إلى أن هابر ماس لم يكتف في تكوين نظريته بعطاءات الفلاسفة وعلماء الاجتماع فقط من كانط إلى دريدا بل الأمر تجاوز ذلك إلى تخصصات أخرى مستلهما منها والاستفادة من نتائجها كالتحليل النفسي ونتائج دراسات أنثروبولوجية كما هو الشأن مع هريت ميد واستفاد من علم النفس التكويني عند جان بياجى والسوسولوجيا المعاصرة كما مارسها تالكوتبارسونز، إضافة إلى فيتجنشتاين في الفلسفة التحليلية و لوكا تش في تحليله للنشؤ وبيرس وتشو منسكي في التداوليات الصورية... الخ، فهو لا يطمأن إلى اتجاه واحد، أو مدرسة نظرية أحادية، وكذلك من أهم القضايا التي اهتم بها هابر ماس مسألة الحداثة والتواصل التي كانت تشكل له هاجسا أساسيا و محورا رئيسيا يتجلى ذلك في كتابه **الحداثة والتواصل** محاولة منه تحرير الذات الإنسانية من عقلانية المؤسسات الحديثة التي ترهن الجسد في مجال عمومي يضفي عليه العقل شرعية مشكوك في إنسانية قوانينها وتشريعاتها، في مجال عمومي يسجن الجسد داخل نسق صارم وفي عقلانية تمسخ الفردية الحقيقية ، ولا توفر شروط إمكانية إقامة أرضية صالحة للتفاهم بين الذات² ، وهذا ما يسميه هابر ماس **العقلية الأدواتية**، فهو أراد أن يؤسس بدلها **العقلية التواصلية**.

أما ما يقصد به هابر ماس بالفعل التواصلية، ليس كما نفهمه في إطاره البسيط الضيق، بل التواصل في المستوى الوعي أو الأفعال وليس الاتصال الظاهري بين الأفراد في شكله العادي بل الاتصال الديناميكي³، كما أن له خصائص هي ، القدرة على إحداث التغيير و يشترط هابر ماس في الفعل التواصلية أن يتميز بثلاث خصائص:

أولاً: أن يكون على درجة من الوعي الحقيقي و ليس الوعي الزائف، وحتى نفهم و نعي جيدا ما المقصود بالوعي الحقيقي نرى هابر ماس في كتابه **المعرفة والمصلحة يفرق** بين ثلاث أشكال من العلاقة التي تحكم المعرفة و العلم

¹ أنتوني جيدنز: **علم الاجتماع**، ترجمة وتقديم د فايز الصياغ ، المنظمة العربية للترجمة، طبعة ، 4ص 726 أكتوبر 2005

² محمد نور الدين أفاية، مرجع سابق، ص 68.

³ عمر مهيب، **من النسق إلى الذات** ، منشورات الاختلاف ، ط1، 2007، ص 126

أولا المصلحة التقنية **intérêt technique** : هي بني الأعماق التي تتمظهر :

التجريبية لتلبية حاجات مادية معينة وهي التي سادت في المجتمعات الحديثة وأطلق عليها اسم العقل الأداة وعلى الرغم من عدم رفض هابرماس لهذا النوع الأول من المعرفة ، بل واعترافه بأهميته الشديدة ، إلا أنه يؤكد أن العمل وحده ليس كافيا لتمكين الإنسان من تحويل بيئته.

ثانيا مصلحة المعرفة التطبيقية **Intérêt pratique** : وهي تتمحور حول مجال ظاهرات الأشخاص و التعبيرات أو حول بني الأعماق للمنظومات الاجتماعية

ثالثا مصلحة المعرفة التحررية **Intérêt d'émancipation** : في الوقت الذي تتأسس فيه مصالح المعرفة التقنية والعملية في بني " غير متغيرة " التجربة وبني الفعل المتأصلة ، وتحديدًا عندما تكون مرتبطة بتكوينات المنظومة

الاجتماعية فان مصلحة المعرفة المحررة يكون لها حالة مستنبطة وهي تضمن علاقة المعرفة النظرية مع براكسيس الحياة أي مع مجال موضوعات ينشأ بداية ضمن شروط تواصل مشوه نسقيا وضمن شروط قمع مشرعا ظاهريا مستنبطا يكون لهذا السبب أيضا نمط التجربة و الفعل الذي يناسب مجال الموضوعات هذا ، التجربة مع الطبيعة الموهومة هي يصوره خاصة تأملية وتتشابك مع فعل إلغاء أشكال القسر المرتبطة بالطبيعة الموهومة.¹

وعليه حسب هذا التقسيم للمعرفة والمصالح التي تنطلق منها المعارف، فالمصلحة التحررية هي التي يجب أن تنطلق منها النخبة المثقفة لإحداث تغيير حقيقي، و لا بأس أن نوضح بأن هابرماس يتفق مع جان بول سارتر ، في أن المثقف دائرة نفوذه هي الوعي الذي لا يعترف بأهميته أحد ، وان كانت الطبقة السائدة تعمل على تزييف هذا الوعي و إعادة إنتاج أيديولوجيتها المهيمنة ، هذا الوعي سماه سارتر بالبحث عن الحقيقة .

ثانيا : وثاني خاصية للفعل التواصلي عند هابر ماس هي القدرة على إنتاج معارف جديدة ، ويعني استئناف التفكير في مشروع العقلانية، دون السقوط في المثالية أو استبعاد عطاءات العلم

¹ يورغين هابرماس: المعرفة و المصلحة: ترجمة ، حسن صقر، منشورات الجمل ، ط الأولى، 2001 ص378

شريطة أن تكون عقلانية نسبية إن نقد العقل الأنثوري و كشف مظاهر البربرية للعقلانية وإدانة سيطرة الدولة الحديثة في أشكالها القهرية هو فعل ضروري لإعادة تنشيط السلب في الفكر وتجديد القوة النقدية... وهذا الفعل في نظر هابر ماس لا يقوم به إلا الفرد الناقد الايجابي ولا يتوقف الأمر إلى هنا فقط، بل يعتبر هابرماس إن من مهمة العلوم الاجتماعية بل ويقع على عاتقها عملية النقد لأنها علوم نقدية منذ تكوينها وهذا ما يميزها عن بقية العلوم التجريبية و العلوم التاريخية التأويلية، و هذا ما يسميه هابرماس ب: " التأمل الذاتي "، إنها توفر الإطار المرجعي للافتراض المرجعي للافتراضات النقدية باعتبار أن التأمل الذاتي يحرر الذات من تبعيتها للقوى الراكدة و الجامدة¹

وثالثا خاصية للفعل التواصلية حسب هابرماس هي **الفاعلية**، والمقصود بها العمل الميداني الواقعي ، فلا يكفي إذا توفر الوعي الحقيقي والقدرة على إنتاج معارف جديدة إذا لم تكون هناك فعالية و القدرة على التأثير والتغيير أي اكتشاف آليات و ميكانيزمات وطرق جديدة، في نفس السياق يقول : لا يستطيع المجتمع أن يضمن بقائه إلا إذا اعتمد على قدراته التعليمية أي كلما كان قادرا على اكتساب قواعد تفاعلية مع الآخرين فان ضمان وجوده يكون أطول وأقوى ،لأن ذلك يجعله قادرا على اكتساب مستجدات العصر وبخاصة المتعلقة بالعملية الإنتاجية ، لأنه إذا امتلك القدرة التعليمية عندئذ يستطيع أن يتفاعل مع الآخرين ،يكسب منهم معارف جديدة تشجعه وتدفعه للانخراط والمساهمة في الحياة الإنتاجية " الفكرية، الاجتماعية، الاقتصادية، العلمية...."، فالاتصالات المستمرة بين الأفراد تقلص من كم ونوع المشاكل الاجتماعية التي قد تحصل بينهم و تزيل أية أمور غامضة تحصل في مرثيا تم، والمتقف يحتاج إلى مثل هذا الاتصال مع الآخرين لكي يوضح أهدافه ومراميه في خطابه التي يوجهها لهم عبر عباراته ومؤلفاته وخطاباته، ونشير إلى أن هابرماس يركز بشكل لافت للنظر على النقد البناء كمحك ميزاني حقيقي يطلب من النخبة المثقفة استخدامه في مجتمعهم ...كوسيلة أو آلية في تصحيح أو تعديل أو تقويم ما هو فاسد وناقص أو مشوه أو منحرفا سياسيا، اقتصاديا... بل لا يقبل -هابرماس- بمواقف الطليعة المتأرجحة ،الذين يضعون ساقا في جانب والأخرى في جانب آخر .

¹ نفس المرجع : ص 68

بتعبير آخر يعتبر - هابرماس - النقد وسيلة فضلى و مناسبة لتعليم وتنوير الناس حول ما يدور حولهم ، أي أنه يعتمد على النشاط العقلي في رؤية وغريلة الأحداث والأفكار الدائرة في المحيط الاجتماعي .

لم ينس هابرماس وظيفة الجامعة في تخريج المثقفين....بل ويعتبرهم في الوقت الراهن المثقفين العضوين المالكين لنفوذ قوي لم يحصل عليه أي مثقف في عصور وأزمان غابرة ، ونسجل ملاحظة هامة ، وهي أن - هابرماس - لم يتناول موضوع النخبة المثقفة بشكل واسع، بل ركز على تكوينهم الثقافي ووظيفتهم النقدية للأحداث السلبية و دورهم في التواصل مع المجتمع من أجل تنويره و ارتقاء وعيه المجتمعي والسياسي¹

بعد هذا المدخل والمحاولة لعرض جوهر نظرية الفعل التواصلي وتحديد خصائص الفعل التواصلي عند هابرماس وهي، الوعي، القدرة على إنتاج معارف جديدة، والفعالية، وهي المنطلقات التي سنختبرها ونرى مدى توفرها على النخبة المثقفة الجزائرية، إضافة الى هذه المقاربة ، سنعتمد على مقاربة على الكنز هي الأخرى، التي من خلالها وضع مجموعة من المؤشرات السوسولوجية لدراسة النخبة المثقفة، عند علي الكنز، وهي : 1 تحديد المؤشرات السوسولوجية التي تميز النخبة المثقفة عن بقية فئات المجتمع، 2 تحديد طبيعة العلاقة بين النخبة فيما بينها " توافق، صراع، نزاع، " من جهة، وعلاقتها بالمجتمع من جهة أخرى، 3تحديد العلاقة التي تربطها بالنظام السياسي " معارضة ، اندماج ، تبعية " ، 4تحديد العلاقة بين النخبة والمجتمع المدني، بذلك سنحاول من خلال هذه التركيبة أو التوليفة بين المقاربتين، وذلك بغرض الإستفادة، والوصول الى نتائج أكثر دقة ومصداقية.

¹ معن خليل العمر ، علم الاجتماع المثقفين ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، ط1 ، ص125

² علي الكنز حول الأزمة ، 5دراسات حول الجزائر و العالم العربي ، دار بوشان 1990 ص15، 35

صعوبات البحث:

في البداية لم أكن أعتزم الحديث حول صعوبات التي يواجهها الباحث، لأنه ليس من المنطق العلمي الحديث عنها، كيف يتسنى الحديث عن ذلك والباحث أصلاً في مرحلة البحث فلا يمكن أن يتوقع عكس ذلك، كان العالم من الرعيل الأول يسير راجلاً مئات الآلاف بل حتى الآلاف الكيلومترات من أجل التأكد من رواية أو التثبت من سند، فكيف بنا نحن الآن، فلا يحق لنا الحديث عن أي صعوبات، لكن هناك وضع جعلني أكتب هذا المبحث وأنا مكروه لذلك، فأنا لا أتحدث عن أي صعوبة لكن الشيء الذي صدمني ولم أكن أتوقعه أصلاً منذ البداية، حيث كانت الصورة أمامي أنني ربما كنت محظوظاً نوعاً ما ، كيف لا وأنا سأقوم بالدراسة الميدانية مع النخبة المثقفة الجامعية، فالنتيجة واضحة، سهولة تامة في الدراسة الميدانية، يعني سيكون الاتصال بهم سهلاً جداً، لكن المفاجئة كانت للأسف معاكسة تماماً لذلك، ولم أعرف سبب ذلك، و تساءلت في نفسي، ربما يعود ذلك لطبيعة الموضوع ???

الفصل الثاني:
النخبة المثقفة

تمهيد:

سنحاول في هذا المطلب الحديث حول النخبة المثقفة في الفكر العربي المعاصر، وذلك من خلال مجموعة من المفكرين العرب الذين كانت لهم رؤية واضحة وتناولت موضوع المثقف وعليه سنتطرق إلى بعض النماذج اخترناها، من المفكرين العرب لأنه من الصعب جدا الحديث عن جميع المفكرين ، وعليه سيكون على سبيل المثال لا الحصر ونضيف إلى أن اختيارنا وقع على هؤلاء المفكرين ربما يعود سبب ذلك، إلى كثرة إنتاجهم الفكري وتأثيرهم وحضورهم القوي والبارز على الساحة العربية و حتى العالمية ابتداء من، مالك بن نبي، محمد أركون، محمد عابد الجابري، علي حرب،ادوارد سعيد، برهان غليون.

-المبحث الأول: النخبة المثقفة في الفكر العربي :

عند بداية مرحلة الاستكشاف والاطلاع على المفكرين وعلماء الاجتماع الذين اهتموا وكتبوا حول المثقف ودوره داخل المجتمع، كانت المفاجئة هي أنني لم أجد تقريبا أي مفكر سواء تعلق الأمر بالرعييل الأول أو المعاصرين إلا و كتب في الموضوع سواء بشكل واضح بين وفق منهج علمي، أو بطريقة ضمنية، وهذا دليل واضح على أهمية ه ذه الفئة لما لها من أهمية هذا للإشارة فقط، وعليه حاولت قدر الإمكان من خلال دراستي أن أطلع وأحاول الإلمام بقدر ممكن من المفكرين و السوسيولوجيين الذين اهتموا بهذا الحقل وحتى تكون الدراسة واسعة وأستفيد من أكبر قدر ممكن من الآراء لبلورة فكرة عامة وكذا المقارنة بين وجهات النظر بين المفكرين سواء في العالم أو العالم العربي أو الجزائر ففي أكثر من مكان ثمة سجل يدور حول وضعية النخبة المثقفة: أفكارها ، مشاريعها، نماذجها، صورها، مكانتها، دورها، مصداقيتها، وفعاليتها، هذا ما كان يجري وما يزال، ففي فرنسا ولد مصطلح المثقف وفي العالم العربي ازدهرت مهنة المثقف بقدر ما هيمنت العقلية النضالية على الساحة الثقافية و على المعنيين بشؤون الفكر والمعرفة، وعليه سنتحدث في هذا الفصل عن مجموعة من المفكرين و السوسيولوجيين الذين تحدثوا عن دور المثقف في المجتمع لأنه يجمع بين النشاط الذهني والمصلحة الشخصية بين الموقع الاجتماعي واعتباره، بين العقيدة و الريادة، بين الصراع والبناء، بين التفاعل والتبادل بين الشهرة والفقر بين النفوذ والقمع فضلا عن تبدله من حقبة تاريخية إلى أخرى ومن نظام سياسي لآخر و من مرحلة تطويرية اجتماعية لأخرى ، ولا جناح في القول بأن

لدور المثقف مستلزمات ومتطلبات دورية ظرفية يحددها المجتمع و المرحلة التاريخية التي يؤدي فيها مهمته.

-المطلب الأول: المثقف العربي المعاصر-

رغم الاختلافات الجوهرية المتواجدة بين السياق الثقافي الغربي و السياق الثقافي العربي، فإن المتطلع على الخطاب العربي المعاصر سيجد من ينادي بنهاية المثقف بطريقة اختزالية يعمها الكثير من الغموض والإبهام.

ويمكن أن نعتبر المفكر اللبناني علي حرب من المنادين إلى ذلك في كتابه "أوهام النخبة". إذ يرى بأن نموذج المفكر والمثقف صاحب المشاريع وصل إلى أفوله ولا بد من اقتراح مفهوم جديد للمثقف يرتكز على المستجدات الحديثة التي جاء بها المجتمع أو ما يسمى كذلك بالمجتمع الإلكتروني.

وجدت أفكار علي حرب صدى عند بعض الكتاب الشباب خاصة الباحث الجزائري القاطن في فرنسا محمد شوقي الزين. لخص هذا الباحث أفكاره حول المثقف في كتاب: "غيريات وهويات" المكتوب باللغة الفرنسية، وهي أفكار تقترب كثيرا من أفكار المفكر علي حرب فقط استبدل الباحث مصطلح النهاية بالتناهي. فالتناهي حسب رأيه يجعل المثقف وقافا عند حدوده وطاقاته، ويخول له أن يكون مختصا لا يحشر أنفه في كل شيء.

حسب إدوارد، يعد الاختصاص حيلة من حيل السلطة ما دام المثقف يبقى قابعا في مجالاته؛ إذ يتسنى للسلطة بهذا التوزيع التحكم في زمام الأمور بطريقة شاملة، والأخطر بكثير أن تكون من العواقب الوخيمة لهذا الاختصاص سقوط المثقف في العقل الذري، فلا يفسر الأشياء والعالم من منظور شمولي؛ بل يصبح هكذا تفسيره بعيدا كل البعد عن الواقعية والتأثير.

لهذا يدعو إدوارد سعيد صراحة المثقف أن يكون هاويا؛ أي أن يحشر أنفه في كل الأشياء كي يقلق ويخربط الأعياب السلطة، ليس المقصود من كون المثقف هاويا ومتطفلا تعالما ما، بل المقصود من ذلك تسجيل حضور، لأن الحضور في حد ذاته سلطة ترفضه كل سلطة جاهزة.

في بحث له بعنوان "ارث النهضة وأزمة الراهن"، يتساءل المفكر المغربي عبد الله العروي في إطار بحثه عن أزمة الراهن: هل عرف أي قطر عربي في أي فترة من تاريخه حالة تسبيق المجتمع

على الدولة؟ لنقل معه حالة توظف فيها قدرات الدولة لتأسيس المجتمع على شكل يؤهله للاستغناء لاحقاً وبالتدرج عن كثير من صلاحيات الدولة؟ (انظر مقدمات ليبرالية، المركز الثقافي العربي، 2000).

بالطبع الجواب عن تساؤل العروي هو لا، فالمجتمع العربي منذ فترة بعيدة، حتى قبل أخطبوط الدولة التسلطية التي أكلت الأخضر واليابس وأزهقت أرواح البلاد والعباد والتي يستقيض خلدون النقيب في رسم صورتها البشعة والكريهة، لم يعرف تلك الحالة، وكل ما يملكه، لنقل، كل رصيده في العقود المنصرمة من القرن العشرين، هو حالة من الحراك الثقافي والاجتماعي الذي بلغ ذروته في الحرب الأهلية العربية التي انتهت بانتصار السلطة/الغول على المجتمع و تجبيره لحسابها، بحيث أصبح المجتمع العربي شاهد زور لصالح الدولة التسلطية و تمسرحها المشوه على خشبات الحداثة والديمقراطية، حيث أدخل الاثنان من الخرم الضيق لدولة شرق المتوسط حيث كان على الحداثة أن تحل كحليف لها. وعلى مدى العقود الثلاثة الماضية من قرننا المنصرم، كان جل ما تطمح إليه النخب المثقفة الجديدة كما يسميها هشام شرابي والتي بنيت عليها آمال عر يمنية في تحديث المجتمع العربي بكيفية شاملة ومسترسلة كما كتب العروي ذات مرة، هو عقدا اجتماعيا بصيغة مجازية، على أمل أن يكون شريعة للمتعاقدین.

وجاءت أولى البواكير مع بداية عقد الثمانينيات من قرننا المنصرم، عندما دعا سعد الدين إبراهيم الذي قضى عقوبة في السجن مدتها سبع سنوات، إلى تجسير الفجوة بين المثقف والأمير. كانت الدعوة إلى تجسير الفجوة اقل بكثير من مستوى العقد الاجتماعي الذي تطمح إليه الأمة. ولكنها كانت دعوة إلى المصالحة بين المفكر وصناع القرار. دعوة تجد طريقها إما على جسر ذهبي يلتقي عليه المثقف والأمير أو فضي أو خشبي، وعلى الأغلب خشبي يزحف عليه المثقف وهو مطأطئ الرأس باتجاه الأمير داعياً له بالسلمة وطول البقاء. وطوبى للسائرين على جسر خشبي.

كانت الدعوة إلى تجسير الفجوة بين المثقف والأمير، أو إلى عقد اجتماعي يمهد إلى المصالحة، قد تزامنت مع التحول على صعيد الخطاب العربي المعاصر، وأقصد التحول من الثورة غلى النهضة، وقاد لاحقاً إلى تراجع المثقف العربي الثوري الذي تشكل بتأثير خارجي والذي بنى عليه العروي آمالاً

كبيرة في عقله الماضي والحاضر بكيفية شاملة ومسترسلة. فكثرت الحديث عن أزمة المثقف وأوهام النخبة ونهاية الداعية وتراجع دور المثقف/النبى... الخ.

وفي سياق هذا التحول قام بعض المفكرون العرب بإعادة اعتبار للمثقف المبدئي الذي يقول كلمة الحق في وجه السلطة كما يرى ادوارد سعيد في "صور المثقف" والذي يتمتع بصورة شخصية مستقلة، محبة للاستكشاف والتحري، وذات نزعة نقدية اجتماعية تشتغل باسم حقوق الروح كما يقول محمد أركون، والتي ينتظر منها المجتمع العربي مهام محسوسة لان الحال العربية لا تحتل التأجيل، وهذا ما يدعو إليه حليم بركات في كتابه (المجتمع العربي في القرن العشرين، 2001). كانت إعادة الاعتبار للمثقف تصدر عن رؤية ودور للمثقف الفدائي كما يسميه قسطنطين زريق أو المثقف المبدع كما يسميه حليم بركات. لنقل عن دور كبير للمثقف في المشروع النهضوي الجديد الذي راح يبشر به ناصيف نصار وحسن حنفي وهشام شرابي والذي هو بالضرورة مشروع سياسي يرمي إلى إصلاح الدولة وتحديث المجتمع العربي وتحريم المرأة ويلقي بكاهله على عاتق المثقف.

كان إصلاح الدولة يعني بالنسبة للمثقف الارتقاء بالدولة من دولة العصبية إلى الدولة الحديثة، دولة جميع المواطنين. وهذا يعني أن تكون الدولة في خدمة أهداف المجتمع وليس العكس. وكان يعني هذا أن المثقف سوف يرتطم بصخرة السلطة وامتيازاتها التي لا تعد ولا تحصى. وهذا ما حصل بالفعل، فعلى طول المسافة التاريخية الممتدة من ستينيات القرن المنصرم إلى بداية القرن الحالي، كانت "أزمة المثقفين" شاهداً باستمرار على أن السلطة العربية لا تقبل المشاركة في صنع القرار ولا في الحياة السياسية، وان الديمقراطية المرفوعة كشعار لا تزيد عن كونها لعبة بهدف خداع الجماهير، وان الوطن لا يزيد عن كونه ملكية عقارية للمؤسسة العسكرية والضباط الأحرار، كما يعلق أنور عبد الملك في كتابه "مصر مجتمع جديد بينيه العسكريون" (1964).

وفي كل الأحوال كان مشروع إصلاح الدولة وتحديث المجتمع العربي ينتهي إلى أنفاق مسدودة تقضي إلى الباحة الخلفية للسجن باعتباره العلامة الفارقة لدولة شرق المتوسط على حد تعبير الروائي عبد الرحمن منيف، التي قامت باختراق المجتمع العربي وتجبيره لصالحها والحوول دون كل عملية

تغيير من شأنها أن تمس امتيازات السلطة العربية التي عاهدت نفسها على الثبات ضد كل عملية تغيير؟

-المطلب الثاني: المثقف والمجتمع

تنتم العلاقة بين المثقف والمجتمع بأنها من النوع الجدلي بمعنى أن كلاً منهما يؤثر في الآخر، فليست العلاقة بين المجتمع والمثقف علاقة عامل مستقل وعامل تابع كما هي في علم الرياضيات، ولتوضيح ذلك باعتبار أن المثقف نتاج مجتمعه لأنه فرد في مجتمع، فالمثقف يتأثر بما يحمل المجتمع من قيم سلبية أو إيجابية وبما ويوجد فيه من تعقيدات، المثقف وليد تأثيرات المجتمع، فلا يمكن للمثقف العيش أو التفكير مع افتراض انعدام تأثير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مجتمعه عليه فمن الصعوبة تصور نشوء مثقف من فراغ بل هو نتاج ظروف معينة تمر وتؤثر عليه بقوة فالمثقف مشدود للواقع الذي يحيط به، إلا إذا أراد المثقف الانعزال بوعي منه لذلك أو من دون وعي بذلك، ومن هنا تتكون مواقف وأفكار ورؤى المثقف، فمثلاً مطالبة عدد من المثقفين العرب بالديمقراطية كان نتيجة لوجود حالات القمع والاستبداد تمارس في المجتمع من قبل أفراد أو جهات ضد غيرهم، أو مطالبة بعض المثقفين العرب بالعدالة الاجتماعية كان نتيجة وجود تفاوت طبقي كبير في المجتمع وهناك من يستفيد أو يتسلط على أموال وأحوال المجتمع ويهيمن عليها دون ترك المجال لغيره العيش بكرامة.

ليس بالضرورة أن يكون تأثير المجتمع على المثقف بتحديد اتجاهات المثقف التي يلزم على المثقف سلوكها، فقد يمارس المجتمع على المثقف دوراً سلبياً بممارسة الرقابة السلبية عليه، التي قد تكون أحياناً أفسى من رقابة السياسة، ومن هنا قد تبدأ مشاكل المثقف مع المجتمع ومن ثم يتواجه معه، وتأخذ هذه عدة مسارات منها:

1. أن " ينسلخ " المثقف عن مجتمعه، ولكن هل بمقدور المثقف الانسلاخ فعلاً عن المجتمع؟! وبالتالي لا يرى في المجتمع إلا كل شر، صحيح أن الموقف الجذري قد يكون فيه بعض الحق في نظرته للقضايا، ولكنه قد يكون أحياناً متطرفاً في وجهة نظره ولا يقبل إلا بوجهة النظر الحدية، والإشكالية التي تواجه أصحاب النظرات الحدية عدم قدرتهم على القيام بأي دور أو تأثير، وعدم قبولهم للمختلفين في أوقات كثيرة، ودائمي التذمر من الآخرين

والمجتمع والظروف ، و عادة ما يبادلهم المجتمع عدم القبول أو لا يحاول الاقتراب منهم بل أحياناً يمارس المجتمع ضغطاً على من يتصل بهم.

2. أن يعيش حالة عزلة ، وإن كانت هذه الحالة أقل من الحالة السابقة إلا أنها قد تكون مقدمة لها أحياناً ، ولهذه العزلة درجات كثيرة أقصاها حالة الانسلاخ ، ويعيش المثقف العزلة فيكون بدون أي تأثير على المجتمع أيضاً كلما زادت عزلته عن المجتمع، والتي قد تصل أن ينسى المجتمع هذا المثقف، أو أن يهاجر المثقف بعيداً عن مجتمعه عند عدم قدرته على العيش أو التكيف مع الواقع المعاش بسبب ذلك.

3. أن يرفض المثقف الحالتين السابقتين ويبقى مصراً على ممارسة دوره الناقد، وهذا النوع يبقى على صدقه مع نفسه بغض النظر عن نوعية أفكاره ، فإما يلتزم بهذا الدور وهذا قد يأخذ مسارين يرفض المجتمع أفكار هذا المثقف أو لا يسمع له فتكون للمثقف ردة فعل سلبية، أي يبادل المجتمع عدم الاهتمام بما يقوله المجتمع عنه، مع البقاء على ممارسة هذا النوع من النقد للمجتمع مؤمناً أن له رسالة عليه السعي لتحقيقها، وكذلك مع بقاء لومه للمجتمع لعدم الاستفادة منه كمثقف يحمل الفكر والتوير، أو يحاول المثقف أن يكون إيجابياً مع المجتمع بصورة أخرى، بأن يتواصل معه ويحاول إقناع المجتمع بأفكاره ورؤاه، صحيح يبقى هناك نوع من عدم قيام المجتمع بالتفهم أو عدم الأخذ بما يقوله المثقف في هذه الصورة، ولكن هذا المثقف ينظر لذاته باعتبارها جزءاً من المجتمع ويقع على كاهله واجب مواجهة الأخطاء الاجتماعية بالتفاعل الإيجابي ليحرك مياه المجتمع الراكدة فيبقى على اتصال بالمجتمع لأن ذلك قدره كمثقف.

إلا أن الجدير ذكره هنا، أن المثقف قد يدعي أنه يمارس نقداً للمجتمع ، ويمارس دوراً " إعلامياً " لنفسه بأنه لا يتأثر بما يحتوي المجتمع من سلبيات ، فأحياناً يمارس المثقف دوراً إعلامياً لذاته لا يقل عن وظيفة وزارة الإعلام والمؤسسات التابعة لها في الدول العربية لدعم توجهات النظام الحاكم فيها ، فيدعي المثقف أنه يقف موقفاً نقدياً من سلبيات المجتمع ، لكن واقعياً لا يمتلك هذا المثقف القدرة على تجاوز هذه السلبيات ، فمثلاً في المجتمعات العربية نجد أن المثقف ينتقد العائلية / القبلية / العشائرية / الطائفية ولكن قد تمارس عليه ضغوطاً من مجتمعه فيتماها معها، أو أنه يرى أن مصلحته تتطلب هذا التماهي، أو إن ينتقد المثقف أحدها بينما يتماهي مع غيرها ، وأحياناً يقع المثقف في فخ " عدم الصدق مع النفس " فكلامه ينبئ أنه ضد المحسوبيات والوساطة والرشاوى ولكنه يمارسها واقعاً، بل أحياناً لا يستطيع الاستغناء عنها ولا سيما إن كان من أصحاب العلاقات في

المجتمع وأصحاب المصالح التي لا يستطيع الاستغناء عنها ، بل قد تكون حياته العملية قائمة عليها ، وبالتالي لا يمكن لمثقفين يتمثلون هذه الصورة تحريك مياه المجتمع الراكدة بهدف القضاء على جرائم أو مُمرضات تستغل هذا الركود كي تنتشر .

ولكن السؤال الذي يتبادر للذهن هنا، هل يمكن أن تصل حالة مواجهة بين المثقف والمجتمع أكثر مما هي عليها الآن كما في بعض نماذج المثقفين؟ أي هل يستطيع المثقف مواجهة المجتمع بصورة أكثر جرأة وموضوعية بأن يكون مغضوباً عليه؟؟؟ بمعنى هل يمكن أن تصل الحالة بالمجتمع التنكر للثقافة وللمثقف ولا يرى للثقافة ولا للمثقف أي قيمة أم يحدث العكس؟ .

يمكن وصف المجتمعات العربية بأنها مجتمعات تحمل نزعة محافظة تتمسك بتقاليدها و موروثها وقيمها ودينها ، على سبيل المثال التراث الذي يأخذ منحى مهماً في حياة المجتمعات العربية ، والذي بحاجة في نفس الوقت لتجديد النظرة له ، فما لم يقم المثقف بتجديد نظرتة لتراثه فلا يمكنه القيام بدوره في المجتمع ، يقول المنصف الوناس في علاقة المثقف بالتراث " وقد تكون علاقة المثقف بالتراث علاقة واهمة مبنية على الانخداع بالسراب .

المثقف في المجتمعات العربية بحاجة للتخلي بعدد من الصفات الشخصية ليتمكن من السير في طريق يحقق له طموحاته ، كأن " يكون ذا نفس طويل " ، صابراً ، لا تثبطه الظروف الاجتماعية الصعبة أو عدم استجابة لمجتمع له ، بمجرد أن تحدث أزمات ينسحب لأنه لا يستطيع تحملها، مع التنويه على ، أن أمام المثقف في المجتمعات العربية ما يدعو للتشاؤم رغم الممانعة والمقاومة الذي يبيدها البعض لمثل هذه الأوضاع ، ولكن هذا قدر من يحمل الوعي والمعرفة أن يتحلى الصفات المذكورة.

إن حديث مثقفينا اليوم عن " دور المثقف " ، و " رسالته " حديث يخلط عادة بين الدور الذي يزعمونه لأنفسهم والرسالة التي يدعون القيام بها، وبين وضعيتهم الحقيقية في الواقع الفعلي. وحصيلة هذا الخلط هو وعي شقي لديهم نتيجة للتناقض الحاصل بين ما يدعون، ومكانتهم الحقيقية التي هي دون طموحاتهم ، والصورة التي يرون فيها أنفسهم.

-المطلب الثالث : المثقف والسلطة السياسية-

هناك مجالات متعددة لتناول علاقات المثقف المتعددة بالسلطة أو بالسياسة أو بأنظمة الحكم ، ولكن ما سيتم التركيز عليه هنا هو السلطة السياسية الحاكمة، فقد تكون السلطة أوسع من السلطة السياسية حيث السلطة الاجتماعية والسلطة الدينية والسلطة الإعلامية ، وقد تكون السياسة أوسع من السياسة السلطوية حيث السياسة الديمقراطية، وكذلك قد تكون السياسة أوسع من السياسة النظرية حيث السياسة العملية، و يمكن أن يأخذ حديث السلطة السياسية عدة أنحاء منها : الأول وهو سلطة أنظمة الحكم والثاني " سلطة " الأحزاب السياسية والثالث " سلطة " المعارضة السياسية ، وبينما تكون أثر الأولى على كافة الشعب بصورة مباشرة تكون أثر " السلطتين " الثانية والثالثة على أتباعها بصورة مباشرة وواضحة وقد يكون لها " سلطة " على الآخرين من خارج أتباعها ، ولأن الأحزاب السياسية والمعارضة السياسية ذات أثر أضعف في الحياة السياسية مقارنة بسلطة أنظمة الحكم وهذا ما أثبتته الواقع.

ونظراً لكون السياسة من الناحية العملية هي الاهتمام بالشأن العام ، والشأن العام للمجتمعات العربية يتمثل في مسائل عدة أهمها إدارة مؤسسات الدولة بمفهومها الحديث والتحديث السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتعليمي والثقافي ، وجدنا أن المثقف يهتم بهذه القضايا بصورة وثيقة ولم يكن بمعزل عنها ، وهذا ما جعل المثقف يكون في صلب المسألة السياسية.

ولكن قبل الدخول في مناقشة هذه المسألة هناك حاجة لتوضيح نقاط عدة:

- الأولى- ليس بالضرورة أن يكون السياسي هو من يكون في السلطة ، فقد يكون السياسي منتجاً لحزب أو تنظيم سياسي آخر أو معارض ونحو ذلك ويمارس السياسة، فالسياسة تتعلق بمسائل الدولة بصورة أشمل من أنها تتعلق بمسائل السلطة الحاكمة، ولتبسيط ذلك، نجد بوضوح أن هناك من يوصفون بالسياسيين وهم ليسوا داخل السلطة الحاكمة، ولتبسيط ذلك، نجد بوضوح أن المحللين السياسيين الذين لا يمارسون السياسة ، وما تؤكد عليه هذه الدراسة أن المراد من السياسي هنا هو الذي في السلطة الحاكمة أو الذي ينتمي إليها أو يتبعها، وقد يكون هناك تعرض للسياسي الذي قد يكون معارضاً أو حزبياً، إذا حدث أن هناك انطباقاً في الفعل بين السياسي خارج السلطة والسياسي داخل السلطة أو لأي حاجة ضرورية أخرى.

• الثانية - هناك حالتان أساسيتان لكيفية النظر لعلاقة السلطة - المثقف ، الأولى هي نظرة مثالية ، وهي تفترض أن تكون هناك علاقة طبيعية لا تخلو من الصراع وكل طرف بحاجة للآخر ، وأن المفروض أن يتعايشا ويتعاونوا لتحقيق الصالح العام بما فيه صالح الطرفين ، والثانية نظرة واقعية ، وهي ترى أن ما هو واقع هو عدم وجود توافق بين المثقف وبين السلطة باعتبار تكوين كليهما ، والأحداث تشهد أن كثيراً من المثقفين في جانب مخالف لجانب السلطة.

• الثالثة - في كون المثقف في السلطة ، الخصوصية الأساسية التي تميز مثقف السلطة أي سلطة كانت هي عدم ممارسة النقد بصورة واسعة تجاه السلطة التي ينتمي إليها أو يبرر ممارستها ، وإن وجدت فعادة ما تكون داخل أروقة السلطة ذاتها لا تخرج عنها، فهو بمجرد أن يكون مع السلطة كحال مؤيدي السلطة وليس ضرورياً أن يكون موظفاً فيها فهو يقوم بالدور التبريري لأفعال وتوجهات هذه السلطة .

ومن هنا نرى أن مثقف السلطة يفقد مضمون المثقف لأنه يفقد مقوماً مهماً من مقومات المثقف وهو النقد حيث يوصف بأنه موظف للسلطة ، وقد يتعدد توجه مثقف السلطة السياسية فقد يكون دينياً أي ذو مرجعية دينية أو يكون علمانياً ذا مرجعية علمانية فكلاهما سواء في الموقف من السلطة من حيثية أنهما يؤديان وظيفة مهمة واحدة وهي التبرير ، ففي مثال النموذج الأول هناك الفقهاء والمفتون ومن يُشغلون المناصب الدينية في الدولة كالإفتاء أو في مؤسسات الأوقاف أو الإرشاد الديني أو في الأقسام الأكاديمية الدينية في الجامعات ، وفي مثال النموذج الثاني الإعلاميون والمثقفون والأكاديميون والباحثون العلمانيون عندما يشتغلون في داخل السلطة سواء كان عملهم إعلامياً كما في وزارات الإعلام والصحف والمجلات التابعة لها ، أو ثقافياً كما في وزارات الثقافة ، أو أكاديمياً أو بحثياً سواء في الجامعات أو المكتبات العامة أو مراكز البحوث التابعة للدولة ، وهذا لا يعني أن كل من يشتغل في وظائف النموذج الثاني يكون فقط علمانياً بل قد يكون دينياً .

المهم أن ما يجمع بين هؤلاء هو انتقاد النقد الموجه للسلطة السياسية تحديداً ، وهذا يعني أن المثقف يفتقد المصادقية والاستقلالية في الرأي ، إلا أنه يلزم التدارك هنا ، حيث أن من يشتغل في مناصب وبصورة أكثر تحديداً في وظائف الدولة ولا يمارس دوراً تبريرياً لما تقوم به السلطة يعتبر خارج عن هذا التصنيف ، بخصوص المثقفين نلاحظ أن بلقزيز يساوي بين المثقفين العاملين لدى

الدولة التسلطية، وبين المثقفين السلطويين الذين يشاركون في السيطرة على الدولة والمجتمع. وبحسب إطلاعي ، أغلب الكتاب العرب لا يوافقون بلقزيز على رأيه بهذا الخصوص .

هذا يقودنا إلى توضيح ما ذكرناه سابقاً عن تبعية المثقفين معيشياً أو اقتصادياً للدولة ، بعدما أصبحت هذه في نظامها الكلياني ربّ عملهم شبه الوحيد. فمجالات عمل هؤلاء - كعاملين ذهنيين - يكاد ينحصر في وسائل الإعلام والثقافة وفي المدارس والمعاهد والجامعات، وفي بيروقراطية الدولة الإدارية والاقتصادية ، حيث الدولة هي المالكة ، والسلطة السياسية هي الأمرة الناهية ، وإذا لم يهاجر المثقف أو كان لا يقدر على إقامة مشروع اقتصادي خاص، فإنه سيضطر على الأرجح لأن يعمل لدى الدولة بشروطها الاقتصادية والسياسية، أو يبقى عاطلاً عن العمل. غير أن عمل المثقف لدى الدولة لا يفي عندئذ بالضرورة أنه مؤيد للسلطة. فلا نستطيع أن نحكم على المثقفين الموظفين سلفاً، وإن كان الإغراء أحياناً قوياً، والضغط أقوى، والانزلاق كثير الاحتمالات.

ما نستطيع أن نحكم به هو أن المثقف لم يعد في ربع القرن الأخير يجد لدى الدولة التسلطية الأمان الاقتصادي ، ولا الأمان السياسي والثقافي ، الذي يحتاجه كمتقف مستقل أو نقدي ، سواء كان يعمل لديها في أحد المجالات الثقافية أو يمارس نشاطاً ثقافياً بالارتباط مع عمله الوظيفي أو إلى جانب العمل الوظيفي بالاستقلال عنه " .

ففي الواقع العربي من الصعوبة خروج المثقف عن سيطرة السلطة السياسية الحاكمة التي استحوذت على المجتمع بعد أن استحوذت على الدولة التي بدورها تغولت في المجتمع وأضعفت أي مؤسسات اجتماعية فيه ، بمعنى أن المساحات التي يستطيع المثقف الاستقلال داخلها من دون أن يكون هناك تأثير للسلطة السياسية على هذه المساحات قليلة جداً ، فمثلاً هناك قلة من المطبوعات والمؤسسات غير الرسمية التي لا تستطيع منافسة المطبوعات والمؤسسات الحكومية، كذلك تستطيع السلطة بسهولة مضايقة مؤسسات المجتمع المدني - إن وجدت - التي قد يمارس المثقف من خلالها بعض نشاطاته وأدواره ، وواقعاً استطاع المثقف الاستفادة من ذلك، ولكن في الوقت ذاته فإن هذه القنوات الفضائية أتاحت لغيره الاستفادة من ذلك، فحتى من يعملون في أجهزة استخبارات الدولة الذين ليس هدفهم حفظ الدولة بمكوناتها بل مهمهم حفظ أمن النظام الحاكم يظهرون في هذه القنوات

ويقومون بالتشكيك بما يقوله المثقف وغير المثقف الذين لا يتفقون مع السلطة السياسية الحاكمة وترسيخ ما تراه هذه ، بل استطاع نفس الحاكم أو الرئيس الظهور بنفسه وتوجيه ما يريد قوله وفعله عبر هذه القنوات.

يذهب عبد الرحمن منيف بعيداً في علاقة المثقف بالسياسي ، فهو يرى أن السياسي قد لا يعاقب فقط المثقف بل يعاقب الثقافة " قد لا تظهر الشروخ واضحة أو حادة في فترات معينة، خاصة في أزمنة الرخاء والصعود ، ما دام السياسي قادراً على تسخير الثقافة لخدمة عمله اليومي ، وما دام المثقف متقبلاً القيام بمهمة الإفتاء والتبرير و التصريح، إضافة إلى بروزه أيضاً من خلال المنظمة السياسية.

أما إذا مارس المثقف حقه الديمقراطي بالنقد والاختلاف، أو لم يقم بالدور الموكل إليه، فعندئذ لا بد أن يقع الخلاف بين الطرفين ، وغالباً ما يلجأ السياسي ليس إلى معاقبة المثقف وحده بل ومعاقبة الثقافة أيضاً، معتبراً إياها ترفاً أو خيالاً ، لأنها تعيق العمل السياسي وتخلق له الصعوبات ، ويركز بالمقابل على ما يعتبره عملياً، أي الإعلام ، مُبعداً الثقافة أو مهمشاً دورها.

وفي سياق عمل المثقف في أجهزة وإدارات الدولة ، يرى برهان غليون أنه تتنازع المثقف مواقف أربعة رئيسية أحدها الالتحاق بالسلطة وقد سار عدد كبير من المثقفين في هذا الطريق ولكن لعوامل لا تتعلق بالجبن والانتهازية " موقف الالتحاق بالسلطة من منظور خدمتها والعمل تحت إشرافها. وفي هذه الحالة بتحول المثقف إلى موظف أو خبير فني يقدم خبرته للسياسي البيروقراطي ، لكن ليس له أي دور في إنضاج القرار أو المشاركة فيه ، إن على مستوى الرأي العام أو على مستوى الأحزاب أو الدولة. وقد سار قسم كبير من المثقفين في هذا الطريق لأنه الوحيد الذي يضمن للكثلة الأساسية البقاء والحد الأدنى من الرفات المادي، وربما الحماية الذاتية. وما حصل في المجتمعات العربية لا يختلف عما كان يمكن أن يحصل في كل المجتمعات. فلا يتعلق هذا الالتحاق بالجبن أو بالانتهازية ولا يرتبط بمسألة أخلاقية. إنه موضوع اجتماعي سياسي لأنه يتعلق بظاهرة جماعية خارجة عن إرادة الفرد وقدراته الذاتية.

-المطلب الرابع: النخبة في فكرمالك بن نبي:

مالك بن نبي (1905-1973م) من أعلام الفكر الإسلامي العربي في القرن العشرين[1]

1. حياته:

ولد في مدينة قسنطينة شرق الجزائر سنة 1905 م، وترعرع في أسرة إسلامية محافظة. [2] فكان والده موظفا بالقضاء الإسلامي حيث حول بحكم وظيفته إلى ولاية تبسه حين بدا مالك بن نبي يتابع دراسته القرآنية. والابتدائية بالمدرسة الفرنسية. وتخرج سنة 1925م بعد سنوات الدراسة الأربع، سافر بعدها مع أحد أصدقائه إلى فرنسا حيث كانت له تجربة فاشلة فعاد مجددا إلى مسقط رأسه. وبعد العودة تبدأ تجارب جديدة في الاهتمام إلى عمل، كان أهمها، عمله في محكمة أفلو حيث وصلها في مارس 1927م، احتك أثناء هذه الفترة بالفئات البسيطة من الشعب فبدأ عقله يتفتح على حالة بلاده. وقد استقال من منصبه القضائي فيما بعد سنة 1928 إثر نزاع مع كاتب فرنسي لدى المحكمة المدنية،

أعاد الكرة سنة 1930م بالسفر لفرنسا ولكن هذه كانت رحلة علمية. حاول أولا الالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية، إلا أنه لم يكن يسمح في ذلك الوقت للجزائريين أمثاله بمزاولة مثل هذه الدراسات. فتركت هذه الممارسات تأثيرا كبيرا في نفسه. فاضطرّ للتعديل في أهدافه وغاياته، فالتحق بمدرسة (اللاسلكي) للتخرج كمساعد مهندس، ممّا يجعل موضوعه تقنياً خالصاً، أي بطابعه العلمي الصرف، على العكس من المجال القضائي أو السياسي.

انغمس مالك بن نبي في الدراسة وفي الحياة الفكرية، واختار الإقامة في فرنسا وتزوج من فرنسية ثم شرع يؤلف الكتب في قضايا العالم الإسلامي، فأصدر كتابه الظاهرة القرآنية في سنة 1946 ثم شروط النهضة في 1948، الذي طرح فيه مفهوم القابلية للاستعمار ووجهة العالم الإسلامي 1954، أما كتابه مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي فيعتبر من أهم ما كتب بالعربية في القرن العشرين.

انتقل إلى القاهرة بعد إعلان الثورة المسلحة في الجزائر سنة 1954 وهناك حظي باحترام كبير، فكتب فكرة الإفريقية الآسيوية 1956. وتوالت أعماله الجادة. وبعد استقلال الجزائر عاد إلى

أرض الوطن، فعين مديراً للتعليم العالي الذي كان محصوراً في جامعة الجزائر المركزية، حتى استقال سنة 1967 متفرغاً للكتابة، بادئاً هذه المرحلة بكتابة مذكراته، بعنوان عام مذكرات شاهد القرن.

2. وفاته:

توفي يوم 31 أكتوبر 1973م، مخلفاً وراءه مجموعة من الأفكار القيمة والمؤلفات النادرة،

3. النخبة المثقفة في فكر بن نبي:

انه لمن الصعب جدا الحديث عن فكر مالك بن نبي لما تميز به من تحليل و عمق في تحليله لمشكلات الحضارة بمنهجية علمية دقيقة، وهو على وجه الخصوص أول المفكرين المسلمين ممن غاصوا حديثا في أعماق الحضارتين الغربية والإسلامية بحثا عن أسباب التخلف وشروط النهضة ومقارنة بين المفاهيم الغربية والإسلامية وما تميز به من التحليل الدقيق والملاحظة الشديدة وعمق النظر واتساع واسع، فهو كما قال البروفيسور محمد مولاي السعيد جمع بين موسوعة خلدونية وعقلانية كانط¹ وسنحاول في بحثنا التركيز على أفكار بن نبي و مرئيته لدور النخبة المثقفة في تغيير المجتمع، وهو يحدد مصدر الصعوبات التي تعبر عن أزمة نمو وهو يشبهها بالحالات المرضية ويرجعها إلى ثلاث عناصر: 1 إما أن تنشأ من خلل في عالم الأشخاص، وإما خلل في عالم الأفكار، وإما خلل في عالم الأشياء أو من خلل في **علاقة العوالم بعضها ببعض**،² ويترتب على النخبة أن تقوم بدورها في بناء المجتمع الجزائري الجديد، إن عالم الأفكار لدينا يجب أن تبنيه تلك النخبة، تلك هي مهمتها الأساسية وعليها - في هذا المجال كذلك ودون شك - أن تحرر أذهاننا من بعض البلبلة التي فيها والعالم ليس مجرد تكوين للأشياء والأفكار على الأخص، فيما يتعلق بالأفكار التي يعني تكوينها الاختلال و الفوضى والتفوقية والمواطنة العالمية، أي كل ما يجعل الفكرة تفقد أصالته أو قيمتها البناءة فالحضارة ليست (كومة) من الأشياء والأفكار ولكنها بناء يعكس عبقرية البلد وشخصياته،³ ويسترسل أستاذنا في الحديث عن أهمية عالم الأفكار في حياة المجتمع حيث تتجلى في صورتين: فهي إما أن تؤثر بوصفها عوامل نهوض بالحياة الاجتماعية وإما أن تؤثر على عكس ذلك بوصفها عوامل مرضية، تجعل النمو الاجتماعي صعبا أو مستحيل، فلكل

¹ مالك بن نبي: حياة وآثار، شهادات و مواقف، إعداد مسعودان نور الدين، دار النشر، النور و القلم

² مالك بن نبي: تأملات، دار النشر، دار الفكر المعاصر، 2009 ط 9 ص 22

³ مالك بن نبي: من أجل التعبير، دار النشر، دار الفكر المعاصر 1995، ص 57

نشاط على علاقة مباشرة بالفكر، فمتى انعدمت هذه العلاقة عمي النشاط واضطرب وأصبح جهدا بلا دافع وكذلك حين يصاب الفكر و ينعدم و عندها يكون تقدير الأشياء تقديرا ذاتيا¹

ويتحدث بن نبي عن فكرة الفاعلية باعتبارها المحرك الأساسي في التغيير فمن خلال مشروعه الحضاري الذي أراد من خلاله أن يعيد للأمة فاعليتها التي فقدتها على مستويات متعددة في الوقت الذي تتقدم فيه الحضارة المجاورة الغربية التي لا تملك بقدر ما تملكه الأمة الإسلامية ، فوجد أن الفاعلية من أهم الخصائص للفكر الغربي وأن هذا الأخير يخضع لمبدأ الفاعليةالتي توفرت للرجل الغربي على مستويين الفردي و الجماعي، كما أنها على المستوى الأخير هي القدرة على توليد ديناميكية اجتماعية ،وهنا يستشهد بن نبي بديكارت وهو يتحدث في كتابه عن مشكلة الثقافة "وأتى ديكارت بالتجديد الايجابي الذي رسم الثقافة الغربية طريقها الموضوعي الذي بني على المنهج التجريبي، والذي هو في الواقع السبب المباشر لتقدم الحضارة الغربية.²

كما نلاحظ مفكرنا أنه دائما يركز على الطريقة أو المنهج الفعال في التغيير فه والذي يتوقف عليه نجاح أو فشل مشروع التغيير الاجتماعي، ويعطي أستاذنا أمثلة من الواقع ليوضح أهمية المنهج و دوره المهم، فبالرغم من إعجابه بالحركة الإصلاحية الجزائرية، "إن مجهود الحركة الإصلاحية لا ينكر، فبدايته كانت سليمة، إذ سخر رجاله فكرهم وأوقاتهم لإدخال مفاهيم جديدة تساعد على التغيير الاجتماعي و تقضي على الآفات المتسلطة على المجتمع، لقد دأبوا على إدخال الوعي في صفوف الجماهير وتشخيص المرض الذي يفتت أجسادها، ويشعر بآلامه البعض وتتعايش معه الأغلبية تعايشا سلميا لا ترى فيه أذى ولا خطر ، فليبن باديس رائد الإصلاح في الجزائر كان من الأوائل الذين انتبهوا لهيمنة المرابطين على ثقافة الشعب الجزائري، الذين شكلوا إحدى أسباب انحرافه ،فاستطاع المصلح الجزائريأن ينزع ذلك المرض من قلوب الجزائريين" لكن بن نبي يبقى غير راضي عن نشاطها السياسي مقتنعا أن الحركة الإصلاحية انحرفت عن منهجها الصحيح عندما دخلت المعترك السياسي فأفرغوا الحركة من محتواها الثوري والعلمي و أصبحت في نظر أستاذنا تابعة لجماعة هدفها الوصول إلى السلطة،نعود مرة أخرى إلى الجانب المنهجي، فإذا يتجاوز أستاذنا على الخطأ

¹مالك بن نبي : وجهة العالم الإسلامي ص 8

² مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ، دار الفكر دمشق، ط4 ، 1984 ، ص71

السياسي ووجد له مبرراته، فلم يتسامح مع سلوكيات المصلحين في منهجهم التربوي والتعليمي وفي معاملتهم للجماهير، فهو ينتقد نشاطهم الاجتماعي ويعيب منهجهم التعليمي فيقول "إن الفكر الإصلاحى يهدف إلى إصلاح الإنسان ، لكن لا نرى أبدا المصلح في المكان الذي يجب فيه أن يظهر و يتواجدفأستاذنا نجده لا يعبأ بمظاهر الخلافة ، فهو يبحث عن اللب حتى يستطيع أن يحكم على سلامة الحركة و يستنتج مستقبلها ، فالتغيير في عالم الأشياء فقط هو بمثابة ترقيعات سطحية غير كافي و هي ناتجة عن خلل في منهج التغيير .

ويشير أيضا أستاذنا في كتابه إنتاج المستشرقين وأثره على الفكر الإسلامى الحديث وهو يتحدث عن كيفية اكتشاف الغربيين لتراثنا نجده يتحدث عن نقطة مهمة وهي أن النخبة المثقفة قد أصيبت بمرضين خطيرين ألا وهو مركب النقص، ومنهجية التغلب عليه وهي الصدمة التي إصابته بها الثقافة الغربية ولقد أحدثت هذه الصدمة، عند قبيل من المثقفين شبه شلل في جهاز حصانتهم الثقافية، حتى أدى بهم مركب النقص إلى أن ولوا مدبرين أمام الزحف الثقافى الغربى وألقوا أسلحتهم في الميدان كأنهم فلول جيش منهزم في اللحظة التي بدأ فيها القتال يحتدم بين مجتمع الإسلامى والغرب فأصبح هذا القبيل من المثقفين يبحث عن نجاته بالتزى ن بالزى الغربى، وينتحل في أدواقه وسلوكياته كل ما يتسم بالطابع الغربى حتى ولو كان هذه الطابع ليس إلا مظهر لاشيء وراءه من القيم الحضارية الغربية الحقيقية،¹و يشير أستاذنا إلى مشكلة أخرى تواجه الأمة هي النقطة التي تبدأ منها تاريخها وبناء حضارتها فعندما تحدث بن نبي عن شروط النهضة ووضع لها القانون التالى الحضارة = إنسان+تراب+وقت ،ولكن هناك الأهم من هذا وهو العنصر الذي يجمع بين هذه العناصر وهو مركب الحضارة أي العامل الذي يؤثر في مزج العناصر الثلاثة بعضها ببعض، فكما يدل عليه التحليل التاريخى مفصلا ، نجد أن هذا المركب موجود فعلا هو الفكرة الدينية التي رافقت تركيب الحضارة خلال التاريخ

¹مالك بن نبي :إنتاج المستشرقين وأثره على فى الفكر الإسلامى الحديث:دار الإرشاد : ط1 1969

-المطلب الخامس: علي حرب :

كاتب ومفكر علماني لبناني من مواليد عام 1939, له العديد من المؤلفات منها كتاب نقد النص وهكذا أقرأ: ما بعد التفكيك ويعرف عنه أسلوبه الكتابي الرشيق وحلاوة العبارة. كما أنه شديد التأثر بجاك دريدا وخاصة في مذهبة في التفكيك. وهو يقف موقفاً معادياً من المنطق السوري القائم على الكليات العقلية التي يعتبرها علي حرب موجودات في الخارج وليست أدوات وآليات فكرية مجردة للنظر والفكر. فهو يتبع منهج كانط في نقد العقل وآلياته وبنيته الفكرية.¹

-النخبة في فكر علي حرب:

قبل الحديث حول نظرية المثقف لعلي حرب، نشير إلى قوة وعمق هذا المفكر فهو يمتاز بباع طويل وصعوبة في فهم أفكاره وقدرته الخارقة في التحليل ومن الصعب جدا تصنيفه هل هو في خانة السياسيين، أو الفلاسفة، أو علماء الاجتماع..، فهو بحق موسوعة، لذا وجدت صعوبة بالغة في قراءة أفكاره على الرغم من أسلوبه السهل في الكتابة.

انطلقت في البحث عن مرئية علي حرب حول المثقف من خلال مجموعة من كتبه القيمة، وعلى رأسها، (كتاب أوهام النخبة , هو كتاب مهم جدا ترجمه إلى اللغة الفرنسية الباحث الجزائري محمد شوقي الزين)* وحديث النهايات، أزمة الحداثة الفائقة، أصنام النظرية وأطياف الحرية،

¹علي_حرب/ ar.wikipedia.org/wiki/

*كاتب وفيلسوف من الجزائر. من مواليد 1972 مدينة وهران. درس في جامعة بروفونسفرنسا. تحصل على الدكتوراه في الدراسات العربية، تخصص الفلسفة والتصوف. إنه أحد الباحثين الذي يقرأ بعدة نقدية الفكر الكلاسيكي والفكر المعاصر. قراءته ل جاك دريدا و هانس جيورغادامير أتاحت له قراءة النصوص الفلسفية والعرفانية بأدوات نقدية معاصرة. كما أنه معجب بالفيلسوف اللبناني علي حرب حيث كتب عنه وذكره في عدة كتبه. وترجم أحد كتبه إلى الفرنسية. انه يشتغل الآن على ابن عربي حيث كان موضوع رسالة الدكتوراه. يستلهم العديد من أفكاره من هذا المفكر الصوفي الأندلسي. ويحضر دكتوراه ثانية حول المؤرخ والمفكر الفرنسي ميشال دو سارتو حول الفلسفة العملية وفلسفة الفعل والأداء المرتبطة بالتداولية (البراغماتية) والسوسولوجيا تالميكروبنائية مثل التفاعلية الرمزية و الإثنوميتودولوجيا. أنشأ مؤخراً منتدى التفكيكيين العرب كمبادرة للتواصل العربي حول فلسفة جاك دريدا، ونتاج الاحتفائية بجاك دريدا التي نُظمت في مهرجان "تاء الشباب" بالبحرين من 10 إلى 13 أوت 2009 مؤلفاته

- تأويلات وتفكيكات : فصول في الفكر الغربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، 2002.
- هويات وغيريات، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002.
- سياسات العقل، دار الغرب، وهران، 2005.
- إزاحات فكرية: الحداثة والمثقف، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2005.
- فلسفة التأويل (ترجمة عربية لكتاب غادامير الفيلسوف الألماني)، منشورات الاختلاف، الجزائر؛ الدار العربية للعلوم والمركز الثقافي العربي، بيروت، 2006.
- الإزاحة والاحتمال. صفايح نقدية في الفلسفة الغربية، الجزائر-بيروت، منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم، 20

الاستلاب والارتداد ، وكما أشرنا منذ قيل سننطلق من كتاب أوهام النخبة حيث نجد علي حرب قد فتح النار على النخبة (المثقفون العرب بشكل خاص، كما يطال هذا النقد المثقفون غير العرب أي المثقفون بشكل عام)، إن هذا المصطلح ولد في فرنسا، وازدهرت مهنة المثقف في الوطن العربي بصفة عامة، فهذا الكتاب لم يخلق المشكلة بقدر ما حاول تشخيص الأزمة والمقصود بالأزمة حسب رؤية الكاتب فقدان المصادقية والفعالية النضالية... وهذا ما جعل المثقف في مأزق حرج ، وبالتالي المثقف بات أعجز من أن يقوم بتتوير الناس¹ "جاء في كتاب حرب "الإنسان الأدنى أمراض الدين والحداثة" ، على النخبة إعادة ترتيب العلاقة، وإعادة الدور النخبوي الذي مارسه .. المثقفون بوصفهم وكلاء على القيم والحقوق لقد ولى زمن المثقف بوصفه مفتاح الحداثة أو مشعل الثورة والتغيير، أو عاشق الحرية أو رمز القضية المقدسة، إذ هو أصبح يحتاج إلى التتوير"² ، ومن هنا نفهم لماذا انطلق علي حرب من مشكلة الآتية وهي أن إشكالية النخبة الثقافية تكمن في نخبويتها بالذات، حيث أن المثقفون مازالوا يشتغلون بحراسة الأفكار ومعنى الحراسة التعلق بالفكرة كما لو أنها أقنوم يقدس أو وثن يعبد (نشير إلى أن علي حرب له كتاب بعنوان أصنام النظرية وأطياف الحرية ينتقد فيه ببيير بورديو ونعوم تشو مسكي فهو يرى - حرب- أن مشروعهما ونضالهما تحول إلى توهامات أيديولوجية ومعالجات طوباوية)³ بل إن الأفكار والنظريات ما هي في الحقيقة إلا أدوات تساعدنا في فهم الواقع إنها حينها في التدبر والتعقل ، ويكمل علي حرب في نقده للمثقف انطلاقاً من المثقف في حد ذاته خاصة بعد فشل المشاريع الأيديولوجية -أي الحداثة- في تحقيق العدالة والرفاهية التي كانت تدعيها، ومن هنا على المثقفين أن يعيدوا تشكيل أفكارهم ومفاهيمهم بنقد أفكارهم، وعلى نحو يحرر اللغة من التوهم المثالي وهذا هو معنا أزمة المثقف، إن مشكلة المفكر تكمن في أفكاره ، وعلى النخبة إعادة ترتيب العلاقة بالأفكار لنسج العلاقات مع الواقع، من خلال شبكة جديدة من المفاهيم، ذلك أن المفكر هو فاعل فكري بالدرجة الأولى ... يبتدع ممارسات فكرية جديدة،⁴ و يبتدع منهجا فكريا جديدا.

¹ علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، ط3، 2004، ص13

² علي حرب ، الإنسان الأدنى أمراض الدين والحداثة، المؤسسة العربية لدراسات النشر ، ط2، 2010 ، ص180

³ علي حرب ، أصنام النظرية وأطياف الحرية ، المركز الثقافي العربي ، ص07

⁴أوهام النخبة، مرجع سابق، ص21

كمشغل في ميدان الفكر همه إنتاج أفكار جديدة، - " كما انتقد حرب آداء النخبة المثقفة في الدول العربية ووصفهم بالهشاشة الفكرية وأنهم كانوا أصوليين حداثيين¹ - تتجدد معها أدوات الدرس والتحليل أو شبكات الفهم والتشخيص، لكن من هو المثقف الذي يقصده علي حرب؟ و ما هي خصائصه؟ وإلى أي مدى تمتد مسؤوليته؟ وما هو دوره في المجتمع؟ إن علي حرب لا يعطي تعريف محدد للمثقف ولا خصائص واضحة له، فكأنه جمع بين تعاريف كل من غرامشي، وسارتر، و بورديو ،و منهايم المثقف اللأمنتمي لأي طبقة، فهو يقول- علي حرب- : "وأعني بالمثقف بالمقام الأول من تشغله قضية الحقوق والحريات، أو تهمه سياسة الحقيقة ، أو يلتزم الدفاع عن القيم المجتمعية أو الكونية، بفكره أو سجالاته أو بكتابات ز مواقفه ، قد يكون المثقف طوبا ويا أو عضويا، ثوريا أو إصلاحيا، قوميا أو أميا ،اختصاصيا أو شموليا، متفرغا لمهمته أو غير متفرغ، وقد يكن شاعر أو كاتباً أو فيلسوفاً أو عالماً أو فقيهاً أو مهندسا أو أي صاحب مهنة أو حرفة ، ولكن أيا كان نموذج المثقف وحقل اختصاصه أو مجال علمه ، فهو من يهتم بتوجيه الرأي العام...فهذه صفة المثقف ومهمته، بل هذه مشروعيته ومسؤوليته، بهذا المعنى، فالمثقف هو الوجه الآخر للسياسي، والمشروع البديل عنه، والمثقف بصفته يستخدم سلطة الكلام أو الكتابة، ويعمل في حقل الإنتاج الرمزي، أي ينتج أو يستخدم هذه السلع الرمزية المتمثلة

بالعقائد والمعارف..... أو بسواها من المنتجات الثقافية، إنما يتصرف كصاحب حظوة وامتياز، أي بوصفه يمثل الطبيعة و ينتمي إلى النخبة الممتازة أو الصفوة المختارة "² وقد اعتمد حلي حرب في نقده للمثقف على مجموعة من عوائق تمسك بفكر المثقفين وهذه العوائق تتعلق بخمسة أوهام لم يتطرق إليها أي باحث وهي : الأول هو الوهم الثقافي ويرتبط بمفهوم النخبة ، والثاني هو الوهم الأيديولوجي، ويرتبط بمفهوم الحرية، والثالث هو الوهم الأناسي ويرتبط بمفهوم الهوية، والرابع هو الوهم الماورائي ويرتبط بمفهوم المطابقة، والخامس هو الوهم الحداثي ويرتبط بمفهوم التنوير،³ إنها خمسة أوهام تستوطن الذهن وتعرقل عمل الفكر ونشاط الفهم ، على ما تكشفته عنه تجربتي الفكرية وقادنتني إليه طريقتي في ممارسة تفكيري، واني إذ سعيت إلى تفكيك تلك الأوهام . مارست في الوقت

¹ علي حرب، توافق الأضداد، الآلهة الجدد وخراب العالم، منشورات الاختلاف، ط1، 2008، ص 123

² نفس المرجع ، ص38

³ نفس المرجع ص 27

نفسه فاعليتي الفكرية ، بقدر ما أقمت مع فكري علاقة نقدية أتاحت لي التفكير بدورة جديدة ومغايرة أو سبر مناطق لم يجري التفكير فيها والعمل عليها من قبل.¹

وهذا يعني حسب علي حرب، الوهم الأول: وهم النخبة، وهي تحمل وهم نخبويتها وهي لم تنجز المشروع الثقافي الديمقراطي التنويري الذي حققته النخب الغربية بالمقابل والتي أصبحت لها مكانة رمزية حقيقية وسلطة فكرية ، ثانيا: يستندون إلى هوية مفقودة وغير محددة وواضحة لم يتمكنوا من التوفيق بين الأصالة والحداثة، ثالثا الحرية، يرفعون شعارها وهم أول من يغتالها في ممارساتهم فلا يتقبلون بعضهم بعضا، ورابعا: وهم المطابقة المرجعية بين ما يوجد في الواقع وما يعيشه الناس وبين ما يحملون من أفكار

وخامسا : وهم الحداثة والتنوير، واهمين أنفسهم بأنهم حراس الحداثة وهم في الحقيقة غارقين في غيابات الماضي السحيق.

من خلال هذا التعريف للمثقف وخصائصه، وكذلك النقاط التي اعتمدها في نقده للمثقف - العربي - يتضح لنا أن علي حرب وقع في ما كان يتجنبه و ينتقده وهو حراسة الأفكار، فهو لم يقدم بديل واضح لتعريف النخبة، بل قدم لنا تعريف واهم غير واضح بل جمع بين عدة متناقضات ومفارقات ، كما أنه سقط في فخ الإيديولوجية الغربية ، أي أنه على ما يبدو.

"لا ينطلق من نقد للمثقف العربي بالاحتكام إلى الثقافة التي ينتمي إليها ، بل من أطروحات الاتجاه الحداثي ، يتقدمه جاك دريدا ومثال فوكو وما بعد الحداثي ، كهابرماس الألماني.

ينطلق (حرب) في هجومه على المثقف العربي من مقولة أن المثقف يسعى من خلال عمله الفكري و التنويري إلى توظيف سلطته العلمية والمعرفية لزيادة نفوذه الاجتماعي، وتحقيق سلطة سياسية مدفوعاً بإرادة القوة، الغريزة الوحيدة التي يعتمدها المفكر بعد الحداثي لتفسير السلوك الاجتماعي والسياسي. لذلك نجد حرباً يسارع ليعيد أزمة المثقف تحديداً إلى بداية الاضطرابات الطلابية في فرنسا، ((التي اندلعت في شوارع باريس في شهر أيار من عام 1968م)). فقد أدت هذه الاضطرابات، كما يدعي حرب، إلى اهتزاز ((صورة المثقف، سواء في نظر نفسه أو في نظر غيره.

¹ نفس المرجع ص27

إنه لم يعد يثق بقدرته على تنوير العقول والتأثير في الرأي العام، أو بكونه صاحب عقيدة صلبة قادرة على قود الناس لتنوير المجتمع وتغيير العالم)).

ويحق لنا أن نتساءل: ما الذي يدفع كاتباً عربياً إلى اعتماد الاضطرابات الطلابية التي

اندلعت في العاصمة الفرنسية عام 1968م بداية لأزمة المثقف؟ ما علاقة الاضطرابات الطلابية الفرنسية بمشكلات الثقافة العربية وأزمة المثقف العربي؟

لماذا لم يختر (علي حرب) هزيمة 1967م التي سبقت الاضطرابات الطلابية في فرنسا بسنة والتي هزت الوجدان العربي وزلزلت أحلام مثقفيه وتطلعاتهم؟¹

كان ممكناً قبول اختيار (حرب) لتاريخ الحدث الفرنسي في معرض دراسة مقارنة بين المثقف و العربي والغربي. بيد أنه من الواضح أن حرباً لا يرى اختلافاً بين الأزميتين، ولا يميز بين الزمن الثقافي العربي والغربي، لذلك يرى أن نقد الأول نقد للآخر، وأن أزمة المثقف العربي هي أزمة المثقف الغربي.

إن الملاحظة المتكررة التي تعترضنا ونحن نقرأ لعلي حرب، وغيره كثير من الكتاب العرب، غياب الرؤية الأصيلة التي تدفع إلى النظر في الأشياء والأحداث من زاوية الكاتب، وتحليل المعطيات، كما تبدو من الموضع الذي يتمركز فيه. فكما تدعو الأصالة الوجدانية مفكراً فرنسياً إلى اعتبار الاضطرابات الطلابية في فرنسا حدثاً هاماً له تداعياته العميقة على وجدان المثقف الغربي، يؤدي غياب الأصالة عند نظيره العربي إلى تجاهل حدث ملاصق قريب كهزيمة حزيران 1967م وأثرها على العقل العربي، ويدفع به إلى تبني حدث لا يكاد يחדش وعي المفكر العربي، بله الفرد العربي الغارق في مشكلاته وأزماته الثقافية والاقتصادية والسياسية المتلاحقة. بل إن غياب الرؤية الأصيلة تحول دون إدراك تمايز الزمن الثقافي، حتى عندما تصرخ المعطيات التاريخية في وجه المفكر مشيرة إليه. لذلك نجد حرباً يضع أصبعه على الفارق الجوهرية الذي يفاضل بين المثقف العربي والغربي، ويمسك طرف الخيط الذي يؤدي إلى ملاحظة الاختلاف بين الزمن الثقافي العربي والغربي، دون طائل.

د. أحمد موصلي : د. لؤي صافي، جذور أزمة المثقف في الوطن العربي ، تأليف ، دار الفكر المعاصر، ط1 2002 ، ص75¹

يقول حرب في معرض المقارنة بين المثقفين العرب والغربيين: ((هذا في الغرب، حيث المثقفون مارسوا مهنتهم بامتياز. أما في العالم العربي فالوضعية مختلفة. ذلك أن المثقف العربي الحديث لم يُؤتَ له أن يلعب الدور الذي لعبه المثقفون الغربيون منذ فولتير وروسو إلى سارتر و فوكو، أي لم يشارك في صناعة الرأي العام وصوغ الوعي الجماعي أو في التأثير في الدينامكية الاجتماعية والسيروية التاريخية؛ كما لم يُؤتَ له أن يمارس الدور الذي كان يمارسه العلماء والفلاسفة في العصر الإسلامي، بمعنى أنه لم يشكل سلطة رمزية معترفاً بدورها وأهميتها، وقلماً تمكّن من إقامة علاقة فاعلة و متوازنة مع السلطة السياسية)).

نعم لم يُؤتَ المثقف العربي أن يلعب الدور الذي لعبه نظيره في الغرب، ولم يشارك في صناعة الرأي العام وصوغ الوعي الجماهيري اللازم لتطوير حياة فاعلة كريمة تعيد للأمة دورها التاريخي، وتمكنها من التأثير في مجريات الأحداث محلياً وعالمياً. ولكن ألا يثير هذا احتمال اختلاف الزمن الثقافي الذي تخضع له الأمة والزمن الثقافي الغربي؟ ألا يجدر بالباحث الجاد والمفكر الواعي العمل على تحديد النموذج الاجتماعي والسياسي والاقتصادي المطلوب تحقيقه، ومن ثم السعي لتحقيق النموذج المثالي، وشحن الهمم لذلك؟

-المطلب السادس: محمد عابد الجابري

محمد عابد الجابري (1936 بفكيك، الجهة الشرقية - 3 مايو 2010 [1] في الدار البيضاء)، مفكر مغربي وأستاذ الفلسفة والفكر العربي الإسلامي في كلية الآداب بالرباط. حصل على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة في عام 1967 ثم دكتوراه الدولة في الفلسفة عام 1970 من كلية الآداب بالرباط. عمل كمعلم بالابتدائي (صف أول) ثم أستاذ فلسفة عضو مجلس أمناء المؤسسة العربية للديمقراطية.

1. نشأته:

ولد محمد الجابري بمدينة سيدي لحسن في شوال 1354 هـ بمدينة فجيج الواقعة في شرق المغرب على خط الحدود الذي أقامه الفرنسيون بين المغرب والجزائر، وتتألف فجيج من سبعة قصور - أي تجمعات سكنية - من بينها قلعة زناكة التي ولد فيها الجابري بعد أن انفصلت والدته عن والده، فنشأ نشأته الأولى عند أخواله وكان يلقى عناية فائقة من أهله سواء من جهة أبيه أو أمه. وكان جده لأمه يحرص على تلقينه بعض السور القصيرة من القرآن وبعض الأدعية، وما لبث أن ألحقه بالكتاب فتعلم القراءة والكتابة وحفظ ما يقرب من ثلث القرآن، وما إن أتم السابعة حتى انتقل لكتاب آخر، وتزوجت أمه من شيخ الكتاب فتلقى الجابري تعليمه على يد زوج والدته لفترة قصيرة، ثم ألحقه عمه بالمدرسة الفرنسية فحضى عامين بالمستوى الأول يدرس بالفرنسية.

بدأت أمارات التفوق على الجابري حين برع في الحساب كما كان يجيد القراءة في كتاب التلاوة الفرنسية، وكان الانتساب للمدرسة الفرنسية ينطوي على نوع من العقوق للوطن والدين فكان الآباء يخفون أبناءهم ولا يسمحون بتسجيلهم في هذه المدرسة إلا تحت ضغط السلطات الفرنسية

أتيحت للجابري فرصة الالتقاء بالحاج محمد فرج وهو من رجال السلفية النهضوية بالمغرب الذين جمعوا بين الإصلاح الديني والكفاح الوطني والتحديث الاجتماعي والثقافي، وكان محمد فرج إماماً بمسجد زناكة الجامع، فكان الجابري وهو لا يتجاوز العاشرة يواظب على حضور دروسه بعد صلاة العصر، وفي هذه الأثناء راودت شيخه فكرة إنشاء مدرسة وطنية حرة بفجيج، وبالفعل حصل على رخصة من وزارة المعارف لإنشاء مدرسة "النهضة المحمدية" كمدرسة وطنية لا تخضع للسلطات الفرنسية ولا تطبق برامجها، بل يشرف عليها رجال الحركة الوطنية حيث جعلوا منها مدارس عصرية

معربة لتصبح بديلاً للتعليم الفرنسي بالمغرب، فالتحق الجابري بالمدرسة وتخرج فيها سنة 1368 هـ / 1949 بعد أن حصل على الابتدائية. [نقد العقل العربي، استطاع محمد عابد الجابري عبر سلسلة نقد العقل العربي القيام بتحليل العقل العربي عبر دراسة المكونات و البنى الثقافية واللغوية التي بدأت من عصر التدوين ثم انتقل إلى دراسة العقل السياسي ثم الأخلاقي وهو مبتكر مصطلح "العقل المستقل" وهو ذلك العقل الذي يبتعد عن النقاش في القضايا الحضارية الكبرى. وفي نهاية تلك السلسلة يصل المعلم إلى نتيجة مفادها "أن العقل العربي بحاجة اليوم إلى إعادة الابتكار".

2. مآخذ منتقديه:

حمل الجابري عدداً من المشاريع الفكرية، صاحب صدورها جدل ونقاش لم يتوقف حولها، فكانت "ثلاثية نقد العقل العربي" والتي تكونت من ثلاثة إصدارات رئيسية كانت باكورة أعمال الجابري، أعطى فيها للعقل دوراً محورياً في إعادة قراءة العقل العربي.

تلك الإصدارات الثلاثة هي: تكوين العقل العربي، وبنية العقل العربي، والعقل السياسي العربي، وقد أحدثت هزة في الأوساط الفكرية العربية. وقد دفعت هذه الثلاثية كاتباً لبنانياً مثل جورج طرابيشي إلى إصدار كتاب ناقد لها سماه "نقد نقد العقل العربي" يرد فيه على الجابري.

ينتقد الأستاذ فتحي التريكي بعض أفكار الدكتور محمد عابد الجابري أن فكرة وجود عقل

عربي وآخر غربي، التي قال بها الجابري، كما خالف علي حرب الجابري في بعض القضايا الاصطلاحية أهمها "تفضيل حرب استخدام مصطلح الفكر على مصطلح العقل، لأن العقل واحد وإن اختلفت آلياته ومناهجه وتجلياته، كما يؤثره على مصطلح التراث".

تعتبره جمعيات أمازيغية "أحد المنظرين الأساسيين لإبادة اللغة والثقافة الأمازيغية"، رغم كونه أمازيغياً أصلاً، و"الترويج المبالغ فيه للإيديولوجيا العروبية حتى أضحي من المدافعين المتشددین عن الأنظمة العربية العنصرية الدموية"، واعتبرت تلك الجهات تكريم اليونسكو له "خيانة للقيم الإنسانية".

حذر بعض الفقهاء من محمد عابد الجابري، ومنهم عبد الرحمن البراك، حيث وصفه بأنه ماهر في الترميم ومخادعة القارئ في نفث فكره العفن مما أدى إلى اغترار كثير من الأغرار بكلامه وكتبه، وفرح به من يوافق على فكره، وحذر من كتابه "مدخل إلى القرآن الكريم"، الذي تضمن فصلاً

بعنوان "جمع القرآن ومسألة الزيادة فيه والنقصان"، خصوصاً حول محتوى صفحة 232 وقوله عن القرآن الكريم:

« (ومن الجائز أن تحدث أخطاء حين جمعه، زمن عثمان أو قبل ذلك، فالذين تولوا هذه المهمة لم يكونوا معصومين، وقد وقع تدارك بعض النقص كما ذكر في مصادرنا، وهذا لا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾، فالقرآن نفسه ينص على إمكانية النسيان والتبديل والحذف والنسخ..)»

لكن الجابري يوضح كلامه ويزيد:

«ومع أن لنا رأياً في معنى " الآية " في بعض هذه الآيات، فإن جملتها تؤكد حصول التغيير في القرآن، وإن ذلك حدث بعلم الله ومشيتته»

في حين يعتقد البعض الآخر من المدافعين على الجابري أن ناقيه أخذوا المتشابه، والذي يحتمل أنه يقصد التحريف في بعض المصاحف ووقوع الأخطاء في بعضها لا في القرآن ككل خاصة أن الجابري يقر بأن القرآن محفوظ في الصدور قبل السطور، وتركوا المحكم من كلامه كقوله : (لا نستطيع الشك في صحة النص الذي بين أيدينا اليوم. لأنه نفس المصحف الذي جمع ورتب وأقر كنص رسمي زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وكما هو معروف فلقد كان للنبي كتاب يكتبون الوحي وكان هناك حرص شديد على أن لا يكتب غيره من كلام النبي حتى لا يقع اختلاط...ولا شيء يشجع أو يبرر الشك ولا حتى اصطناع الشك المنهجي بصدده.

أن أول ملاحظة انتابنتي وأن أحاول فهم نظرية الجابري حول المثقف هو أنه حاول إعادة بناء مفهوم المثقف بالصورة التي تجعله يعبر داخل الثقافة العربية عن المعنى الذي يعطى له اليوم في الفكر الأوروبي حيث يجد مرجعيته أصيلة وهو ما عبر عنه الجابري بـ " التبيئة " أي تبيئة مفهوم المثقف في ثقافتنا و تراثنا العربي الإسلامي ، ذلك حسب الجابري انه لا معنى في الحديث عن مفهوم دون أن تكون له مرجعية أصلية واضحة، وإلا يكون الحديث عنه شبيه بشيء معلق في فراغ -التعبير للجابري- ، ومن هنا نتساءل أي نموذج يستحضره المثقف العربي المعاصر وهو بصدد الحديث عن قضية من قضايا مجتمعه ؟ بل أي مثال يجد نفسه على الأقل مشدود إليه؟

والتبئية تعني حسب الجابري ربط المفهوم بالحقل المنقول إليه ربطا عضويا،¹ وذلك ببناء مرجعية له فيه تمنحه المشروعية والسلطة، وعملية البناء هذه تتطلب الرجوع والاطلاع على المرجعية الأصلية، وتتبع ظروف تشكلها ومراحل تطورها، أي استحضار تاريخيتها وذلك للتعامل مع المعطيات التي وضع المفهوم للتعبير عنها في الحقل الأصلي، ومقارنتها بنوع "قياس الأشباه بالنظائر" مع الاحتفاظ دوما بالفارق، لكن لا بوصفه جدار حديدي، بل بوصفه جسرا و معبرا ، وهذه عملية النقل كخطوة ابستمولوجية لازمة بل، ضرورية لتحقيق نتائج يصعب إلى حد الاستحالة في التوصل إليها من دون هذه الخطوة، يقول الجابري في ذلك: "لقد لاحظنا ضبابية واسعة في الخطاب بالعربي المعاصر في استخدام مصطلح " المثقف" رغم رواجه الواسع، إذ هو لا يشير إلى شيء محدد ولا يحيل إلى نموذج واضح ولا يرتبط بمرجعية واضحة ذلك لأنه بقي يفتقد إلى التبئية الصحيحة في الثقافة العربية الإسلامية، ذلك لأن مفهوم المثقف الذي نقل إلى الثقافة العربية عبر ترجمة ناجحة دون شك، غير أنه لم تتم تبيئته بالصورة التي تمنحه مرجعية واضحة في فضاءنا الثقافي، فبقي غريبا رغم انتشاره الواسع"،² أما عن استخدام كلمة المثقف ، فقد قسم الجابري، ثلاث أصناف مختلفة من حيث الاستخدام، الصنف الأول، هناك من يستخدم كلمة مثقف وينشدون إلى مرجعيته الأوربية ويعطونه معنى في خطابهم من هناك في خطابهم العربي، الجابري يعيب عليهم هذه التعبير الغريب لكونه يرتبط بظروف تاريخية غير ظروفنا، أما الصنف الثاني، فيستخدمونه من غير علم سوى ما يتصورونه من هذا المفهوم فهو لا يتجاوز حروف "ث،ق،ف" بالمعنى العام، أما الصنف الثالث، فلا يستخدمونه إطلاقا، كون مصطلح مثقف لا ترتبط أبدا بمرجعيتهم الثقافية، فهم بالنسبة إليهم بضاعة دخيلة غير صالحة الاستخدام، ونشير إلى أن هذه الفئة التي يقصدها الجابري، هم أساتذة وخريجي الدراسات التراثية والتي تطلق على أعضائها أسماء تراثية ذات مرجعية عربية إسلامية مثل، الشيخ، الفقيه، العلامة ، الإمام، المفتي.³

ومن خلال هذه المدخل وحتى لا نطيل الكلام ولا يكون فيه إطناب حاولت تلخيص الخطوات التي قام بها الجابري في تأصيل كلمة "مثقف"

¹ محمد عابد الجابري ، المثقفون في الحضارة العربية ، - محنة ابن حنبل و نكية ابن رشد-، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط2 2000، 14

² المرجع نفسه، ص 14

³ المرجع نفسه ، ص16

- 1 - ناقش دلالاته اللغوية العربية
 - 2 - عرض تاريخ تطور مصطلح مثقف في الثقافة الأوربية
 - 3 - استنتاج المعطيات الخاصة التي تستعمل للدلالة عليه
 - 4 - قياس الأشباه بالنظائر بين الثقافتين العربية و الأوربية، وتبيان العلاقة القائمة بينهما (يرى الجابري أن ظهور المثقفين في أوربا مرتبط أساسا بالحضارة العربية الإسلامية، للمزيد من المطالعة في هذا الشأن الرجوع ، كتاب المثقفون في الحضارة العربية، ص22-34)
 - 5 - و من هنا حاول بناء مرجعية عربية إسلامية لمفهوم "المثقف "
- ثم تحدث الجابري إلى عودة المثقفين في الحضارة العربية ابتداء من القرن الماضي، كما أنه حاول أن يقدم لنا الجابري منهجية تطبيقية لعملية التبيئة لمفهوم "المثقف" ذلك من خلال تقديم نموذجين لبناء المرجعية داخل ثقافتنا، وهما دراستين منفصلتين لمحن العلماء، "محنة الإمام أحمد ابن حنبل 218 234 هجرية، ونكبة ابن رشد فيلسوف قرطبة 595 هجرية" عمل على كشف الأسباب الحقيقية لمحتنيتهما، ويعتبرهما الجابري نموذجين تاريخيين يعطيان مرجعية "المثقف" و هو البعد الضروري في كل مرجعية بعد النموذج والمثال.

ونشير إلى أن عملية تبيئة مفهوم المثقف ، تدخل في المشروع الذي عمل الجابري على بناءه و هو " مشروع التأصيل الثقافي"، يقول الجابري هذا ما ينقصنا بالذات أعني التأصيل الثقافي للمفاهيم الحديثة وبالخصوص تلك التي تشكل قوام الحداثة، وحن الوقت لتجاوز التصنيفات الثلاث في الفكر العربي) ويقصد : تيار عصري مشدود إلى الحضارة الأوربية وحدها، في المقابل تيار مجذوب إلى التراث العربي الإسلامي وحده وتيار ثالث يحاول التوفيق بين التيارين) والعمل على تجاوز هذا التصنيف و هذه المواقف و ذلك بانكباب على عملية التأصيل الثقافي لقيم الحداثة وهذا ما يطلق عليه الجابري " إستراتيجية التجديد من الداخل" تجديد ثقافتنا من الداخل لها ثلاث أبعاد، الأول النقد الابستمولوجي لتراثنا ،الثاني التأصيل الثقافي للحداثة في فكرنا ووعينا، الثالث نقد الحداثة الأوربية نفسها والكشف عن مزلقها ونسبية شعاراتها، و ربما زيفها.¹

ونعود إلى ما يهنا دائما، المثقفون ، فحسب الجابري من هو المثقف ؟ وما هي مميزاته؟وما هو دوره في المجتمع المعاصر؟ و على أي أساس يتحدد المثقف ؟

¹المرجع نفسه ، ص17

يجيبنا الجابري على هذه الأسئلة من خلال كتابه المعروف "المثقفون في الحضارة العربية" المعنى العام السوسولوجي لكلمة "مثقف" المشتغل بأفكاره، في فرع من فروع المعرفة، والذين يحملون آراء خاصة بهم حول الإنسان والمجتمع ويقفون موقف الاحتجاج والتنديد ايزاء ما يتعرض له الأفراد والجماعات من ظلم و عسف من طرف السلطات أيا كانت سياسية أو دينية، ونضيف إلى أن هذا التعريف للمثقفين، يرجع و يكتسب معناه من "قضية دريفوس"، أما عن وضع المثقف فلا يتحدد لا بنوع علاقته بالفكر ولا بأنه يكسب عيشه بفكره، بل بالدور الذي يقوم به في المجتمع كمشرع و معترض و مبشر بمشروع أو على الأقل كصاحب قضية، يقول "بول باران: عندما يتعلق الأمر بموقف إزاء قضية تطرحها الصيرورة التاريخية، يظهر خط فاصل بين العمال الفكريين والمثقفين إن المفكر إذن هو ناقد اجتماعي، ويصبح بذلك ضميرا للمجتمع، وأما عن ظهوره في العالم الغربي فقد ارتبط بثلاث محددات تاريخية:

- 1 - معطى حضاري قوامه ظهور المدن في أوربا نتيجة الاتصال مع الحضارة العربية الإسلامية (تحدث عن هذه العلاقة في المحور الثاني من الكتاب: المثقفون في القرون الوسطى الأوربية)
- 2 - معطى ثقافي متمثل في ترجمة الفلسفة والعلوم من العربية إلى اللاتينية
- 3 - معطى مهني، قوامه ظهور فئة تمتهن العمل الفكري و تمتهنه و يتعلق الأمر بأساتذة الجامعات أساسا

بعدما حدد لنا الجابري من هو المثقف، ودوره، في المجتمع وخصائصه، ووضع لمفهوم المثقف سلطة مرجعية عربية إسلامية، انطلاقا من النتائج المتحصل عليها في ظهور مفهوم المثقف في أوروبا باعتماد المنهج الارتدادي، إي الانطلاق من النتائج إلى المقدمات، لكن ليس باعتبارها قوالب جاهزة بل كخبرة أو لياقة فكرية، نتساءل مرة أخرى كيف ظهر المثقف ومتى ظهر في التاريخ العربي الإسلامي، طبعا حسب الجابري؟ ولماذا العالمين أحمد بن حنبل، وابن رشد بالذات؟ كمنودجين للمثقف؟

يرى أولا الجابري أن ظهور المثقف مرتبط بظهور الخلاف، أي ظهور الآراء والاختلافات المتعددة والمختلفة، وأول خلاف كان بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وظهر الجيل الأول من فئة المثقفين الذين اعتزلوا الفتنة والقتال بين علي ومعاوية - رضي الله

عنهما - وتوقفوا عن مناصرة (علي، معاوية، الخوارج) لكن كان اعتزالهم ليس سلبيا، بل كان لهم رأي في الحرب والافتتال بين المسلمين وهي فتنة كبرى، و إن هذه الحرب تحركها أما الغنيمة، أو العصبية، أو الغلو والتطرف، نعم ربما هو موقف ديني وسياسي، لكن ما يهنا هو أنه موقف فكري، و عليه وحتى لا ندخل في الجانب التاريخي الذي لا يهنا هنا، يربط الجابري مسألة ظهور المثقف في أول مرة في التاريخ الإسلامي بظهور الفرق الإسلامية و على رأسها المعتزلة وبظهور على الكلام بشكل عام الذي كان ميدان ارتقى به أصحابه إلى ترقى لرأي شخصي في قضايا الأمة و المجتمع، وكانت تدور في محور إشكالية الإمامة، إلا أنه لم يكن لهم تأثير كبير في العصر الأموي، بل اتسعت دائرتهم مع بداية الدعوة العباسية فكانوا بمثابة الفلاسفة التنويريين ويمكن وصف أفكارهم بأنها كإيديولوجيا تنويرية قامت في وجه إيديولوجية الجبر وأفكار الزندقة، فقد كان لهم - أي المعتزلة - دور أساسي في تعبئة الرأي العام يومئذ في إنجاح قيام الدولة العباسية و بذلك تحولوا إن صح التعبير إلى مثقفين عضويين في العصر العباسي، ظهرت في هذا الوقت بالذات مسألة كان لها شأن كبير مسألة خلق القرآن التي كان يقول بها المعتزلة في عهد المأمون والمعتمد والواثق، وهنا ظهرت فئة . تحدث الأيديولوجية الاعتزالية متخذة من ذلك سلاح المعارضة لهذه الأيديولوجية حيث تعرض هؤلاء المثقفون الفقهاء إلى محن، لكن نجد الجابري هنا يميز ويحدد بدقة المثقف، فيقول إن المثقف يتميز عن الفقهاء و أهل العلم و المؤرخون .. الخ، لا يتخذ من العقيدة مجرد إطار للانتماء و الاحتماء، بل يمارس " فرديته" فيها و عليها فيحولها إلى رأي له، انه يمارس العقيدة لا كمجرد اعتقاد، بل أيضا كرأي و تعبيرا عنه، ويتجه بكلامه إلى الجمهور ويتخذ من الأطر الاجتماعية التي تؤطر هذا الجمهور موضوعا لكلامه،

وهنا نعود لسؤالنا لماذا اختار الجابري أحمد بن حنبل كنموذج؟ وهل يوجد أفراد بالمعنى المعاصر لمصطلح الفرد في الثقافة العربية الإسلامية في العصر الأول؟ حاول الجابري الدخول على رواق المثقفين من باب ظل مغلق أو شبه مغلق وهو "الفرد"، ومرة أخرى نعود إلى المعنى المعاصر الغربي لنحدد ما المقصود بالفرد الذي يعني في الخطاب السياسي والسوسيولوجي و السيكولوجي " الموجود البشري بوصفه بوصفه كائن متميز عن الآخر ويقابل في الغالب المجتمع و الدولة " ¹ وهو

¹مرجع نفسه، ص34

بدون تعقيدات علاقة الفرد بالمجتمع علاقة تأثير وتأثر وعلاقة تمرد و اندماج ، يقول الجابري :
صحيح أن مصطلح الفرد لم يكن موجود في الثقافة العربية الإسلامية ، إلا أننا يمكن أن نجد دلالاته
وهذا هو المقصود، ويزيد الجابري أن المثقف يمتلك سلطة فكرية و يحظى بمساندة شعبية ، ومن
هنا اتضح لنا جواب تساؤلنا حول سبب اختيار الجابري محنة الأمام ابن حنبل كنموذج لبناء سلطة و
مرجعية فكرية وتأسيس مصطلح المثقف ، إن المحنة يقول مفكرنا لا تتعلق بفرد بل بجماعة علماء ،
أصحاب رأي، أو قضية فهم يشكلون بصورة أو بأخرى "معارضة" و هي تشكل خطرا على الحكم، و
أيضا" يذكرهم التاريخ " وقد نظر إليها من الجانب السياسي الذي بقي لغزا ، إن هذه المحنة لا تتعلق
بالجانب الديني أو بفتوى شرعية ، بل لها بعدا آخر، حيث تحولت إلى ما تشبه في عصرنا بقضية
أخرى وهي أمن الدولة ، حيث تم توظيف قضية دينية " مسألة خلق القرآن" ، وهنا يتساءل الجابري،
لماذا امتحن(المأمون والمعتصم و الوثائق 218،234هجري)، الفقهاء العلماء والمحدثين وعلى
رأسهم الأمام بن حنبل على القول بما تقول به الدولة في أن القرآن مخلوق أي على عهد الخلفاء
الثلاثة المذكورين ؟ ويجب باختصار الجابري !وهي مسألة في الفروع و ليست حتى من الأصول في
الدين.

في مسألة المحنة ، هناك كلام ظاهر و خفي و منطوق به و مسكوت عنه، أما الظاهر
والممنطوق حول مسألة خلق القرآن ، أما المسكوت عنه فهو الشغب على الخليفة ومحاولة الخروج عنه
. تلك هي الدوافع الحقيقية التي كانت وراء قيام المأمون والمعتصم و الوثائق من امتحان الناس عامة
ورجال الدولة والقضاة و رجال العلم خاصة ، فهي في ظاهرها قضية دينية وجوهرها سياسي محض ،
ويقول الجابري كلام لم يكن موجودا و مهم ، هو أن أيا من الطرفين لم يكن يرغب في تسمية
الأمر مسمياتها ، سواء العلماء الذين تعرضوا للمحنة وعلى رأسهم الأمام ابن حنبل، أو الدولة أو
حتى المعتزلة الذين يشبههم الجابري بالمتقفين العضوين أو كما وصفهم أحمد أمين بأنهم كانوا الحزب
الحاكم للدولة أنا ذاك ، وما يبرر هذا الادعاء ، هو حادثة قتل الوثائق للفقهاء الثائر الإمام احمد بن
نصر الخزاعي اثر انكشاف مؤامرة انقلاب ضد الوثائق - حاكمه - كان قد تورط فيها فحاكمه الوثائق
لا باسم المؤامرة بل في مسألة خلق القرآن فقتله سنة 231 هجرية بسبب رفضه قول أن القرآن مخلوق
، وحتى لا نطيل الكلام في الجانب التاريخي، و لا نخرج عن موضوعنا ، نختصر الكلام و نقول

إن مسألة خلق القرآن اتخذت كأيدولوجية تحارب بها التيار المعارض والذي كان ضد الدولة آنذاك، ومايهمنا هو مواقف العلماء و مضمونها السياسي، أو ما يمكننا تسميته مثقفين بالمعنى المعاصر و ما حاول إثباته الجابري في كتابه الذي اعتمده في هذا المبحث.

كذلك الأمر يتعلق بقضية نكبة ابن رشد ، فبعد التحليل الذي قام به الجابري في هذا الكتاب في المسألة الثانية ، وحتى لا نطيل ، يقول الجابري إن نكبة ابن رشد كانت بسبب ما نسب إليه من أور ذات طبيعة سياسية ، هي ما ورد في كتابه جوامع سياسة أفلاطون من انتقادات الأوضاع في الأندلس ، وهي انتقادات كان لا بد من أن تثير الشكوك حول علاقته بأبي يحيى المنصور ، وتعلق الأمر كذلك بـ"الأعيان و الفضلاء" الذين تعرضوا للنكبة ، معه فسبب نكبة ابن رشد لم تكن إذن بسبب المنشور الذي أصدره الخليفة المنصور و الذي يتهم ابن رشد و جماعة من أصحابه بالاشتغال بالفلسفة و العلوم القديمة كلا ، و هنا وقع الفلسفة ضحية للسياسة ، وبدلاً من أن يأمر الخليفة بإحراق الكتاب الذي أثار غضبه كتاب جوامع سياسة أفلاطون أمر بإحراق كتب الفلسفة ذاتها بل تغطية للكتاب المقصود ، و بدلاً من أن يحقق الخليفة المنصور مع ابن رشد بعلاقته بأخيه يحيى ، حقق معه في عبارة قيل أنه حكى فيها قول اليونان "إن الزهرة أحد الآلهة" ¹ .

في نهاية هذا المبحث سنحاول تلخيص ما جاء به الجابري في كتابه هذا المثقفون في الحضارة العربية، حاول بناء مرجعية و سلطة فكرية لمفهوم المثقف في الحضارة العربية الإسلامية ، وذلك من خلال البحث عن مدلولها في التاريخ العربي الإسلامي و تسجيل بعض المواقف المشابهة التي نشأت من خلالها مفهوم المثقف في العالم الغربي، و المقصود بالتحديد قضية دريفوس، وبيان المثقفين و اعتبر موقف علماء المسلمين والمحن التي تعرضوا لها مشابهة لقضية دريفوس من حيث البعد الفكري و السياسي في السياق العام ، "وربما باختصار، حاول الجابري البحث عن مفهوم المثقف كصفة لا كاسم"، و التساؤل الذي نطرحه الآن على الجابري هل أفلح الجابري في هذا القياس ، كما أسماه قياس الأشباه بالنظائر؟ و إلى أي مدى نجح الجابري في إزالة الغموض حول مفهوم المثقف ؟ و ما هي الإضافة التي قدمها من خلال هذا البحث و التنقيب عن دلالة المثقف عندنا؟

¹ المرجع نفسه ص153

ليس الغرض من هذه التساؤلات الجواب، ولا أدعي القدرة على إعطاء جواب لهذه الأسئلة، لكن ما يمكنني أن أشير له، هو المنهج الذي اتبعه في عملية إسقاط وربط تحديد مفهوم المثقف في الثقافة العربية، بالرجوع إلى الثقافة الغربية مرة أخرى.؟(وأنه استخدم لفظ المثقف بمعنى واسع بنيوي وظيفي و لا تاريخي للدلالة على نمط من رجال الفكر الذين يوجدون في كل العصور التاريخية مستلهما عمله هذا من عمل لوغوف ،جاك لوغوف ولد سنة 1924 من أبرز المؤرخين الفرنسيين الذي يذهب هو الآخر الى وجود ظاهرة المثقفين في أوروبا الغربية منذ القرن الثالث عشر ميلادي و جودا فسره في ضوء نظرية غرامشي) ربما الإجابة على مثل هذه التساؤلات تتطلب قراءة أكثر عمقا لفكر المفكر الكبير الراحل محمد عابد الجابري

-المطلب السابع: " المثقف المعارض " Edward said النخبة المثقفة في فكر ادوارد سعيد

هو عالم وكاتب وناشط أمريكي فلسطيني، ولد في القدس بفلسطين عام 1935 وتوفي في نيويورك عام 2003 اشتهر ادوارد ، الذي كان شخصية حقيقية لعصر النهضة في زمن تزايد التخصص الفكري بصورة كبيرة بأعماله في الأدب والنقد الفكري ، وحول الصراع العربي - الإسرائيلي، وبخاصة في دفاعه عن القضية الفلسطينية ، وفي مجال الاستشراف الذي كان عمله البارز، ومن بين أكثر من عشرين كتابا كتبها طوال حياته بما فيها النصوص الكلاسيكية هو أن هذا الكتاب جمع التطور الحادث في الدراسات الثقافية و سلط الضوء على ظهور دراسات " الفئات الدنيا" و" دراسات ما بعد الاستعمار" وبالفعل من وجهة نظر العلوم الاجتماعية فان هذا الكتاب من الكتب الكثيرة للنقاش وإعمال العقل.¹

وكذلك كتابه المهم في بحثنا صور المثقف صدر بثلاث ترجمات عربية حيث عرض بصورة فعالة بإمكانية عمل المثقف المعارض وعن الوسائل التي من خلالها يؤدي دوره، كما نجد معظم أفكار سعيد حول المثقف، هي عبارة عن توليفة أو جمع بين ما جاء به غرامشي وجولييان بندا اللذين استعرضهما بشكل واضح في بداية كتابه صور المثقف في الفصل الأول، فنجده يقبل بفكرة أن المثقفين شريحة اجتماعية واسعة وكبيرة لها ارتباطاتها الطبقية، فضلا عن اتصالها بالحركات والتقاليد والأعراف، حيث يقومون بكل الأدوار الاجتماعية و بضمنها إنتاج وإعادة الإنتاج الإيديولوجيات

¹خمسون عالم اجتماع أساسيا، مرجع سابق ، ص199

والأفكار، في الوقت نفسه يقبل من جهة أطروحة بندا القائلة : بأن المثقف هو عضو مجموعة صغيرة متحمسة ومندفع أخلاقيا لمعارضة التيارات السائدة بغض النظر عن عواقب تلك المواقف وتأثيراتها عليه شخصيا ، وهو يرى أن معظم المثقفين يؤدون الدور الاجتماعي الذي قال به غرامشي، لكن قلة منهم يرتقون بأنفسهم إلى المصاف الذي وصفه لهم جوليان بندا لكي يصبحوا حسب تعبير سعيد أحد أوّلئك المتمكنين من قول الحقيقة بوجه السلطة بشجاعة وبصلافة وبلا مواربة، كما نوه سعيد إلى خطر اختفاء المثقف أو صورته، واحتمال تحول المثقف إلى مجرد مهني أو أحد وجوه تيار اجتماعي ما، فالمثقف يقول سعيد : هو فرد في المجتمع له دور علني محدد لا يمكن تصغيره إلى مجرد مهني لا وجود له، أو عضو كفو على مجموعة أو طبقة ما ، لا يهمله سوى أداء مهامه، فالحقيقة بالنسبة إلى ، المثقف هو وهب ملكة عقلية لتوضيح رسالة ، أو وجه نظر أو موقف أو فلسفة أو رأي أو تجسيد أي من هذه ، أو تبيانها بألفاظ واضحة لجمهور ما ، وأيضا نيابة عنه، و لهذا الدور محاذيره ، و لا يمكن القيام به من دون شعور المرء بأنه إنسان مهمته أن يطرح علنا لمناقشة أسئلة حرجة، ويجابه المعتقد التقليدي و التصلب العقائدي بدلا من أن ينتجها ، ويكون شخصا ليس من السهل على الحكومات أن تستوعبه.....ويقوم المثقف بهذه المهمة على أساس مبادئ عمومية¹ و لكن هل يجب على المثقف أن يكون دائما معارض حتى يسمى كذلك حسب ادوارد ؟ يجيبنا ب لا، لا يجب أن يكون المثقف دوما ناقدا وليس شرط ذلك، بل يرى في المهنة الفكرية حفاظا على حالة من اليقظة المتواصلة و من الرغبة الدائمة في عدم السماح لأنصاف الحقائق و الأفكار التقليدية بأن تسير المثقف معها ، وينطوي ذلك على واقعية ثابتة....على الأقل تغني المثقف فكريا ولو أنها لا تجعله يحظى بشعبية واسعة،² وهناك نوع آخر من المثقفين تحدث عنهم سعيد في كتابه صور المثقف في الفصل الثاني، وهو المثقف المداهن، وظيفتهم الرئيسية هي حماية الوضع الراهن، والتأكد من أن الأمور تجري بسلاسة، لا تبديل فيها، لا اعتراض عليها، واستعرض كلام جورج اورويل عن ذلك على نحو مقنع جدا ، أن لغة هؤلاء مصممة على جعل الأكاديميين صادقة أو تبدو كذلك وتضفي مظهر الحصافة على الهراء³ أما في الفصل الرابع تطرق سعيد إلى قضية مهمة وهي، هل على

¹ ادوارد سعيد ، صور المثقف ، ترجمة ، غسان غصن ، النهار للنشر ش.م.ل . بيروت ، 1996 ، ص 27 ، 28،

² المصدر نفسه ، ص 37-38

³ المرجع نفسه ، ص 41

المثقف أن يكون محترف أم هاوي؟ للإجابة على هذا التساؤل استعرض سعيد في مطلع كلامه لكتاب راسل جاكوبي المعنون بـ "آخر المثقفين" وهو محاولة منه إثبات أن المثقف الأكاديمي قد اختفى نهائياً من الو.م.أ، ولم يخلف وراءه سوى مجموعة من الأساتذة الرعايد ممن تستحوذ عليهم اللغة الاصطلاحية ولم يعد المجتمع يعرهم أي اهتمام ، وقد حل محله جيل تقنيو غرف التدريس متحفظون لا مبالون / مستخدمون لدى لجنة، توافقون الى إرضاء جهات معينة ، وأنه قد ولى جيل المثقف العنيد الذي لا ياتمر لجهة معية ، مستقل بذاته وقراراته،¹ وظهر ما يسمى بالمثقف المحترف و المقصود هنا بالاحترافية هو الانجرار وراء السلطة ومقتضياتها، والعمل مباشرة في خدمتها، و التوجيه السياسي للأبحاث العلمية لخدمة إيديولوجية ما، كما حدث بين أمريكا والاتحاد السوفيتي سابقا في إطار ما عرف بالحرب الباردة ، وعليه المشكلة التي على المثقف أن يتكيف معها ويحتويها تكمن في المقدرة على التعاطي مع التعديلات العصرية ، ويتحتم على المثقف أن يكون هاويا أي عضوا عاقلا ومعنيا في مجتمع ما بإثارة قضايا أخلاقية حتى في صميم أكثر النشاطات تقنية واحترافية ، وعلى المثقف قول الحقيقة في وجه السلطة- وهو المحور الخير الذي تطرق إليه في الفصل ما قبل الأخير من الكتاب "صور المثقف" - فهو التزام أخلاقي ، و التخلي عنه يعني السقوط و الإخفاق الأخلاقي ، بل الأكثر من ذلك يجب على المثقف حسب سعيد أن يمتنع عن الارتباط بأي حزب سياسي ،أو جمعيات ، بل ليس عجا أن المثقف المنغمس في قضايا المصلحة العامة مجرد معارض على طريقة السياسيين، بل يجب عليه أن يتخذ طريقة متميزة وأسلوبا فرديا منفردا ، بهذا المعنى تناول سعيد لدور المثقف كان أمرا حديثا في تصور هذا الدور كان بمعنى آخر مشروعاً فنيا بقدر ما كان سياسياً جدا ، مركزا على "السمات الشخصية" للمثقف بكارزماتيته المميزة وأسلوبا توقعيا خاصا به بحيث يمكن تمييز عمله، وعليه ليس من الصدفة أن نجد سعيد و هو يستحضر مثقفين كبار في تحليله ورؤيته لدور المثقف أمثال سارتر، بندا، غرامشي ، فرانز فانون، راسل، جان جينييه، جورج أنطونيوس، أيديه سيزار، كل منهم ارتبط واتخذ مواقف سياسية وثقافية معينة، لكن بأسلوب متميز فني وشخصي فريد وحضور عميق وبالطبع كاريزما قوية² ، وهي نفس الصفات التي نجدها في ادوارد سعيد نفسه، ويظهر لنا مناشدة ادوارد سعيد للمثقف لاستعادة الدور التقليدي للمثقف، وأسلوبه المعارض بذاته إنما

¹ المرجع نفسه ص 79

² مجلة الثقافة الجديدة، بغداد، العدد 331، سنة 2009

هو خاصية مركزية بذاته بالمعنى العام الواسع، أسلوب ومنهج المثقف الحقيقي مهم في توصيف المثقف و إبرازه فهو لا يستحيل تميزا فريدا يحيط به من التجانس الموجود والتخصص والمهنية بل يسجل أيضا رفضا لقبول امتيازات السلطة وإغراءاتها و ضغوطاتها، لكن إذا كانت الحداثة زمن المثقف الأسطوري والكارزماتي، فهل تتيح لنا ما بعد الحداثة نفس المثقف أي التقليدي؟ وهو ما حاول الإجابة عليه بعض المفكرين ممن يرون بأن زمن ما بعد الحداثة لا توفر المثقف بالمعنى الحداثي بحجة أنه أصبح النظام الاجتماعي غني بمعارفه ، على الأقل أكثر ديمقراطيا فالمجتمع لم يعد بحاجة الى من يوجهه فمثل هذه الشخصيات السحرية لم تعد تجذبه فوداعا لهم بلا أسى كما قالها برخت وأسفاه على بلد يحتاج الى عباقرة وأنبياء و كتاب عظماء أو الآهة ثانوية، وهو ما طرح هذا الاتجاه فريدريك جيمسون في كتابه ما بعد الحداثة ،وكما رأينا مع علي حرب في أوهام النخبة ونهاية المثقف ، وراسل جاكوبي في كتابه نهاية اليوتوبيا و مشال فوكو

-المطلب الثامن: محمد أركون (1928 - 14 سبتمبر 2010 [1]) مفكر وباحث أكاديمي

ومؤرخ جزائري راحل ولد عام 1928 في بلدة تاوريرت ميمون (آث يني) بمنطقة القبائل الكبرى الأمازيغية بالجزائر، وانتقل مع عائلته إلى بلدة عين الأربعاء (ولاية عين تموشنت) حيث درس دراسته الابتدائية بها. ثم واصل دراسته الثانوية في وهران لدى الآباء البيض [2]، قبل أن يدرس الأدب العربي والقانون والفلسفة والجغرافيا بجامعة الجزائر ثم بتدخل من المستشرق الفرنسي لويماسينيون (Louis Massignon) قام بإعداد التبريز في اللغة والآداب العربية في جامعة السوربون في باريس [3].

ثم اهتم بفكر المؤرخ والفيلسوف ابن مسكويه الذي كان موضوع أطروحته.فارق الحياة في 14 سبتمبر 2010 عن عمر ناهز 82 عاما بعد معاناة مع المرض في العاصمة الفرنسية.

عُين محمد أركون أستاذا لتاريخ الفكر الإسلامي والفلسفة في جامعة السوربون عام 1980 بعد حصوله على درجة دكتوراه في الفلسفة منها، وعمل كباحث مرافق في برلين عام 1986 و1987. شغل ومنذ العام 1993 منصب عضو في مجلس إدارة معهد الدراسات الإسلامية في لندن.

النخبة في فكر محمد أركون:

قبل الحديث عن النخبة عند محمد أركون ، نود أن نشير الى ملاحظة مهمة ، وهي لماذا اعتبر د عمر مهيبيل في كتابه من النسق الى الذات و تطرق في فصل "الأركيولوجيا الى الإسلامولوجيا اشكالات المنهج عند محمد اركون" ، معتمدا على فرضية أو مقارنة مؤداها أن رفض العربية التي تزج بمحمد أركون داخل الفضاء الثقافي العربي... وان كان جزائري المولد، مجال بحثه الإسلامولوجيا فهذان العنصران لا يصمدان أمام إنخراط محمد أركون في المناخ المعرفي الغربي والفرنسي تحديدا بأدواته المنهجية...منهجا من خلال تبنيه لمنجزات الفلسفة البنيوية و توظيف لأركيولوجيا فوكو.¹

بعد الحديث حول الجابري و تحديده للمثقف ، ارتأينا أن نعرض لمنهج مغاير و رأي مناقض تماما لما جاءنا به الجابري في تحديد المثقف ، وقبل ذلك نود أن نشير بأن محمد أركون لم يكن منظر يحرث في الهواء، بل كان يغوص في غيابات التاريخ التراث الإسلامي، بحثا عن إيجاد حلول وأجوبة لمشاكل المسلمين في العصر الحالي، ودليلنا هو مؤلفاته "قضايا في نقد العقل الديني، الفكر العربي، الإسلام أوروبا الغرب، العلمنة والدين، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر... الخ "

التي كانت عبارة عن مشروع حضاري و طرح مغاير يعتمد في ذلك على التفكيك والطرح الابستيمولوجي وهو ما جعله يقف بجرأة فكرية محدثة في جسد العالم الإسلامي المريض، فهو يعتقد أن المجتمعات الإسلامية المعاصرة تعاني من قطيعتين : الأولى مع الفترة المبدعة من تراثها ، والتي تنتهي بابن رشد ، والثانية مع الحداثة الأوروبية المتواصلة منذ القرن 16 عشر حتى الآن.

ضمن هذا المشروع الحضاري لأركون ، احتل المثقف نافذة مهمة في فلكه الفكري، حول تحديد مفهوم المثقف ، ودوره في العصر الحالي، خلافا لعديد من المفكرين العرب الذين حاولوا أن يسقطوا مفهوم المثقف في الثقافة الغربية، وكما رأينا ذلك مع الجابري في كتابه المثقفون في الحضارة العربية الإسلامية الذي سعى إلى تبيئة مفهوم المثقف بقياس الأشباه بالنظائر و"إعادة بناء هذا المفهوم بالصورة التي تجعله يعبر داخل الثقافة العربية عن نفس المعنى الذي يعطى له في الفكر

¹عمر مهيبيل ، من النسق الى الذات ، مرجع سابق ، ص91

الأوروبي حيث يجد مرجعيته الأصلية"، وخلافاً كذلك لعلي حرب الذي أخذ مفهوم المثقف كما هو جاهزا من الثقافة الغربية وحاول أن يعالج به أزمة المثقف العربي الإسلامي، وخلافاً لمسعى المفكر المغربي "علي أومليل" في مؤلفه الهام: "السلطة الثقافية والسلطة السياسية"، الذي توقف فيه عند الدلالة التاريخية لمفهوم المثقف، معتبراً أن هذا المفهوم هو من بين المفاهيم الحديثة النشأة التي يصعب الجزم بوجودها في فترات تاريخية سابقة، مما يجعل هذه العبارة "تحيل إلى مفهوم حديث للكاتب صانع الأفكار ومروجها"، ويكون صورة المثقف، باعتباره صاحب موقف نقدي من قضايا المجتمع، وفاعل اجتماعي قادر على التأثير في الواقع. هذا إضافة إلى كونه أسس لنسق من المعارف الجديدة، اتخذت من الانقلابات العلمية الحديثة قاعدتها في إثبات نسبية الحقائق، لم يظهر إلا حديثاً بعد أن ارتبط بتحول عميق في الوعي لدى الكاتب ذاته، وأصبح يعبر بالفعل عن قاعدة اجتماعية من القراء تدعم مواقفه وسلطته الفكرية، وهو ما لم يتحقق في الواقع العربي الإسلامي.¹

خلافاً لهذا وذاك اعتمد أركون على "إستراتيجية النقد من الداخل" متأثراً بمنج

التفكيك deconstruction* لجاك ديريدا** وهذا يعني كشف الأوهام والفبركة الموجودة في التراث وهدمها وإعادة بنائها بطرق تقوم على المنهج والإثبات العلمي.

ينطلق أركون لتحديد مفهوم المثقف (للاشارة فقط نود أن نشير الى أننا اعتمدنا في هذا

المبحث بشكل رئيسي على كتاب محمد أركون الفكر الإسلامي نقد واجتهاد الذي عالج فيه بشكل توضيحي مفصل، المثقف العربي ودوره في العصر الحديث) من فرضية مفادها، أنه من المضجر وغير المفيد وبلا أي قيمة أن نعود مرة أخرى إلى تلك المناقشات التي دارت في فرنسا حول مفهوم

¹ علي أومليل، السلطة السياسية والسلطة الثقافية - بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 1996م، ص 09

² التفكيكية منهج نقدي أسسه الفيلسوف الفرنسي جاك ديريدا (1930-2004) ويهدف من خلاله دراسة النصوص التي غلبت عليها صفة المطلق و المثالية اعتماداً على هذا المنهج التفكيكي الذي لا يعطي اعتباراً للمقدس فيولد من خلاله أشياء كثيرة سكت عنها النقاد القدماء ، وقد طرح آراءه في ثلاثة كتب نشرت في سنة 1967 وهي (حول علم القواعد) و (الكتابة والاختلاف) و(الكلام والظواهر) واستند ديريدا في هذا المنهج إلى قطيعة سبق أن أعلنها الفيلسوف نيتشه تجاه الميتافيزيقيا ، وتتجلى التفكيكية في أنها تقوض مفهوم ويعتبر منهج . الحقيقة بمعناه الميتافيزيقي كما تقوض الواقع بمعناه الوضعي التجريبي وتحول سؤال الفكر إلى مجالات اللغة والتأويل أهم حركة ما بعد البنيوية في النقد الأدبي إضافة إلى أنها الحركة الأكثر إثارة للجدل في الوقت deconstruction التفكيك المعاصر ويستخدم التفكيك ((للدلالة على نمط من قراءة النصوص بنسب ادعاها المتضمن أنها تمتلك أساساً كافياً في النظام اللغوي الذي نستعمله ، كي تُثبت بنيتها ووحدتها ومعانيها

** جاك ديريدا Jacques Derrida فيلسوف فرنسي من مواليد الجزائر، صاحب نظرية التفكيك. ولد في 15 تموز 1930 في حي البيار بمدينة الجزائر،

المثقف، بل إن في ذلك إضلال للقارئ والبحث العلمي إذا ما نقلنا بشكل سريع وآلي النموذج الغربي وطبقناه بصورة آلية على حالة الإسلام، وبالمقابل سيكون من المفيد، أن نرجع إلى التراث العربي الإسلامي وأن نبحث على من نسميهم بالعلماء = رجال الدين، وعند طرح المسألة بهذا الشكل فإن ذلك يعني العودة إلى دراسة تطور مجريات تراث فكري وطريقة عمله ضمن سياقات تاريخية واجتماعية محددة.¹

فإذا كان التعريف الذي يعطى للمثقف، باعتباره "فاعلا اجتماعيا"، يتميز عن غيره من الفاعلين الاجتماعيين الآخرين، وبكونه يسهم من موقعه الفكري في "إنتاج المعنى"، فإنه يمكن القول بناء على هذا المفهوم حسب أركون، بأن العلماء من رجال الدين هم مثقفون بامتياز، لأنهم يركزون كل جهودهم لتفسير معنى الوحي، ولتحديد المعاني الدقيقة للنصوص المقدسة، ولاستنباط الأحكام انطلاقا من هذه المعاني"²

غير أن مجال الممارسة الثقافية للمثقف العربي الإسلامي سيتسع ابتداء من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، بفعل التصدع الاجتماعي والإيديولوجي الذي شهده الحقل الثقافي الإسلامي. ومن ثم احتدم الصراع بين ممثلي اتجاهين رئيسيين: أصحاب المعارف الدينية النقلية أو "الأصلية"، و أصحاب المعارف العقلية التي اعتبرت دخيلة، وإن كانت الغلبة في هذا الصراع تميل دوما للفاعل التقليدي، الذي ظل يراقب ويتحكم في الحقل الثقافي برمته.

وابتداء من القرن الرابع الهجري سيتبلور مفهوم المثقف هذا بشكل خاص في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، باعتباره "ذلك الرجل الذي يتحلى بروح مستقلة، محبة للاستكشاف والتحري، وذات نزعة نقدية واحتجاجية تشتغل باسم حقوق الروح والفكر فقط". وفي هذا الصدد، يورد أركون بعض النماذج الكبرى من هؤلاء المثقفين، الذين مارسوا مثل هذا الموقف الحر المستقل، كالجاحظ والتوحيديين اللذين يعتبرهما الأكثر جرأة وحدائة من بين هؤلاء المثقفين، هذا إضافة إلى أسماء أخرى مثل الفارابي وابن سينا وابن رشد.³

¹ محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1993، ص03

² مرجع نفسه، ص04

³ مرجع نفسه، ص05

غير أن هذه التجربة الرائدة سرعان ما تراجعت وبدأت "تضيق وتقلص بدءا من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، عندما راح تأسيس المدرسة (السكولاستيكية) والإعلان الرسمي للمذاهب السنوية يفرضان بالتدرج ممارسة "أرثوذكسية" سكولاستيكية للفكر الديني بعيدا عن العلوم الدنيوية¹ بسياج دوغمائي مغلق clôturedogmatique حسب تعبير أركون، ما زال يجد أكبر تعبيراته إلى حدود اليوم في خطاب الحركات الإسلامية المعاصرة،¹ وحتى لا نبق حبيسي التاريخ ننتقل مباشرة إلى تاريخ ظهور المثقفين في العصر الحديث، حيث قسم أركون ظهور المثقفين منذ القرن التاسع عشر، فهناك أولا ظهور المثقفين النقديين الليبراليين 1820-1952، ثم مرحلة المثقفين الثوريين العرب التي امتدت 1951-1970، ثم مرحلة الثورين الإسلاميين، لكن هذا لا يعني غياب علماء الدين بل أثبتوا مكانتهم وناقسوا الليبراليين مؤكدين على أسبقية العامل الديني نوقد مثلت مرحلة الثلاثينات من القرن الماضي حركة الإخوان المسلمين التي لعبت دورا بارزا في السيطرة على الأملاك الفكرية الرمزية خاصة الفضاء الثقافي، ويبرر أركون فشل المثقفين الليبراليين العرب - "أي الذين درسوا في الجامعات الغربية"- أنهم كانوا قليلي العدد، فلم تكن لهم قاعدة اجتماعية يركزون عليها من أجل نشر أفكار جديدة، زيادة على هذا السبب هو ردود الفعل العنيفة من طرف علماء الدين الذين بقوا مغلقين بفكرهم الدوغمائي، وهذا ما ساعد على اتساع الهوة بين الليبراليين من جهة - الذين أصبحوا ينعنون بالبورجوازيين التابعين للغرب - وعلماء الدين من جهة ثانية، لقد أشار أركون إلى قضية جد مهمة وهي الصراع الحاصل بين المثقفين بسبب توجهاتهم وتكوينهم الثقافي، فهو يدعو من خلال كتاباته إلى ضرورة التقارب والحوار بين مختلف أطياف المثقفين العرب والمسلمين بصورة عامة.²

لكن السؤال المطروح من قبل أركون هو: هل ينبغي للمثقف أن يكون اختصاصيا حرفيا لا يعرف شيئا خارج دائرة اختصاصه؟ ولا يحشر أنفه في القضايا العامة؟ إن إجابة أركون واضحة هي طبعا لا فالمثقف مسؤول وليس مجرد باحث في ميادين المعرفة، ينبغي على المثقف أن يكون منتجا للبحوث العلمية الناضجة، وأن يخرط كذلك في الهموم العامة لمجتمعه خصوصا إذا كان المجتمع

¹مرجع نفسه، ص 08

²مرجع نفسه، ص 13

يعاني من مشاكل حارقة كالمجتمع العربي الإسلامي، فالمثقف الفرنسي المعاصر يمكنه في نهاية المطاف ألا ينخرط وألا يلتزم إذا شاء، يمكنه أن يكون عالم اجتماع فقط، أو عالم نفس أو تاريخ.. الخ و ذلك لأن مجتمعه تجاوز مرحلة الانعطافات الحادة والأزمات الكبرى، انه ينتمي إلى مجتمع قوي ومستقر نسبياً، أما المثقف العربي كيف له ذلك في الوقت الذي يعيش مجتمعه في ظل مشاكل وأزمات كبرى¹ وبالتالي أركون يلح على المثقف ألا يكتفي بالعيش، بل عليه أن يتساءل عن معنى الوجود أي يرى ويراقب ويفهم، ولعل من المهام التي يجب على المثقف العربي المسلم بحسب أركون هو أن يعيد النظر في ما هو "الأمفكر" فيه والمستحيل فيه وهو "نقد العقل اللاهوتي القروسطي المسيطر علينا منذ مئات السنين. إذ بدون القيام بهذا العمل فلا تحرير ولا خلاص". والنقد بهذا المعنى لا يعني مغالطة النصوص الدينية من بعيد، أو استرجاعها حرفياً إلى الذاكرة، بل بتشريحها وتفكيكها وإعادة قراءتها من جديد. هذا النوع من المعرفة التقليدية بالتراث الديني، يجعل التفكير لا يخرج عن كونه عبارة عن تذكر، ويجعل العقل الإسلامي، يتلقى تراثه وكأنه معطى هلامي متعال على معطيات الواقع والتاريخ. وضمن هذه الشروط، فإن مهمة المثقف المسلم ووظيفته، تختزل إلى مجرد التعرف على الشيء، لا مجرد المعرفة الحقيقية به".²

إن دعوة أركون النخبة المثقفة إلى أن تقوم بدور تغيير الأطر الفكرية التي يستند إليها الفكر العربي وتحريره من القيود والدوغمائية على حد تعبيره هي إحدى أكبر المشاكل التي جعلت من تسارع الخط البياني الحضاري إلى الهبوط، وبالتالي على النخبة المثقفة ذات الطابع النقدي عليها أن تضطلع بمهمة إعادة الخط البياني إلى الصعود من الدخول من باب إعادة قراءة التراث بنظرة نقدية وفق منهج علمي موضوعي .

في الأخير نود أن نسجل بعض الملاحظات بالنسبة لما جاء في قراءة محمد أركون لمثقف الذي يجب عليه أن يواجه أكبر مشكلة في التاريخ و هي الدين، حيث يرى أركون أن أوروبا وصلت إلى ما وصلت إليه، لأنها تجرأت على مقارعة العقل الديني المسيحي وفتح معركة الحقيقة أو الصراحة معه، وهذه خطوة لا بد منها من أجل التحرير، وهذا ما لم يحصل عندنا حتى الآن أي في

¹المرجع نفس، ص 27

²المرجع نفسه ص 08

السياق الإسلامي، ويجب عن سبب عودة التيار الأصولي بقوة عندنا؟ لأنه يقول أركون : لأننا المسلمين لم نتيح الوقت الكافي لكي نواجه أخطر مشكلة في التاريخ، وهذا ما حصل في أوروبا التي أتيج لها الوقت الكافي لمواجهة الخطر الديني المسيحي.¹

إذن أركون يدعوا المثقف العربي أن يقوم بنفس دور فلاسفة التنوير في النهضة الأوروبية الحديثة والقيام بقطيعة إبستيمولوجية ، وذلك في إطار مشروع نقد العقل الإسلامي من خلال تفكيك الخطاب الديني واعتماد المنهج التفكيكي*

المبحث الثاني: النخبة المثقفة في الفكر الأوربي المعاصر

تمهيد:

لا نكاد نفتح كتاب أو قراءة مقال يتحدث عن المثقف إلا و قد أشار كاتبه إلى قضية دريفوس في تحديد المثقف ، وكم من مرة نجد عبارة أن - هناك شبه إجماع للمفكرين ،على أن ميلاد مصطلح المثقف مرتبط بقضية دريفوس الفرنسية - وعليه خصصنا في هذا المبحث للحديث من مفهوم المثقف في الفكر الفرنسي وارتباطه بقضية دريفوس، ونشير إلى انه قد اعتمدنا بشكل كبير في هذا المبحث على كتاب "المثقف والسلطة للكاتب محمد الشيخ " الذي حاول فيه رصد العلاقة القائمة بين المثقف و السلطة في التاريخ الفرنسي المعاصر حتى الفترة الراهنة، وسنحاول بدورنا رصد ما يهمننا في هذا الكتاب، ابتداءً بنشأة سلطة المثقف بقضية دريفوس

- مفهوم المثقف في الفكر الفرنسي المعاصر:

"إن مفهوم المثقف" L'intellectuel ارتبط بقضية اجتماعية وسياسية شهيرة عرفت في تاريخ فرنسا الحديث باسم قضية دريفوس، في 22 من ديسمبر 1894 أدانت إحدى المحاكم بتهمة Alfred dreyfuse الفرنسي ضابطاً فرنسياً برتبة مقدم اسمه الفريد دريفوس تسريب معلومات لصالح الحكومة الألمانية العدو التقليدي لفرنسا، لإشارة أن دريفوس يهودي الأصل، وعليه تنامت في فرنسا نزعة معادية للسامية Anti-sémitisme أو ما تعرف آنذاك، فبمجرد الإعلان عن خيانة دريفوس

¹محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، ترجمة هاشم صالح، درا الطليعة للطباعة والنشر، ص 317

* للمزيد من الاطلاع على هذه الفكرة الرجوع الى الحوا الذي أجراه محمد البنكي مع أركون في الحصة التلفزيونية لقناة البحرين " موجودة على

بادرت مجموعة للإعلان عن حملة واسعة لمعدات السامية، ظهرت في المقابل جماعة تحاول تبرئة دريفوس و إعادة محاكمته و تبرئته، هنا ظهر انقسام في الفضاء الفرنسي الثقافي والفكري و بروز ظاهرة جديدة يتعلق بنزول الأدباء والمفكرين وأساتذة الجامعات إلى الساحات العمومية ، وهنا سيظهر أول بيان في الفكر الفرنسي من طرف مجموعة تسمى نفسها مثقفين le manifeste des intellectuels وأصدرت بيان .وهو المعسكر المؤيد "عرف بيان المثقفين " لدريفوس) وهم الجمهوريون، اشتراكيون، راديكاليون، الخ...)، في المقابل نجد المعسكر المعادي لدريفوس) و هم الوطنيون ورجال الدين والمناهضون للسامية) وبعض ما جاء في بيان المثقفين في 14 يناير 1998 بجريدة الفجر ما يلي : " إن الموقعين أسفله يحتجون ضد الاختراقات القانونية لمحضر سنة 1998 ويحتجون على التعديلات المحيطة بالقضية، ويلحون على مراجعة الحكم الصادر في حق دريفوس" ¹ وهكذا انقسم الجسد الفرنسي الثقافي الفكري إلى تيارين متعارضين، لكن هذا التعارض الذي يبدو في الظاهر خلاف سياسي، هو في جوهره صراع بين جيلين ثقافيين، جيل القدامى الذي مثلته الأكاديمية. الذي كان يحتقر، الفرنسية بميولها الوطنية الذي حمل اسم جيل "الورثة" Leshéritiers أي الذين درسوا بمنح في الجامعة الجيل الثاني جيل الممنوحين " Les boursiers وأغلبهم كانوا ذوي أصول ريفية. كان أدباء ومفكرو فرنسا من غير عاصمتها نخب مثقفة مدافعة عنه لكن ألا نتساءل لماذا أطلقت كلمة مثقف، على المدافعين على دريفوس؟ إن الغرض من تساءلنا هو فقط تحديد مفهوم المثقف، أو لماذا ارتبط هذا المفهوم " المثقفون" في أول الأمر بقضية دريفوس؟ كما أن هذا الجيل كان يبحث عن مكان له في الأكاديمية التي طالما حرم منها ،و تحول تدريجيا ليحرب حظه مع اليسار، لقد كانت قضية دريفوس ثورة وانتصارا للمثقفين ، لكن إلى هنا لم نصل بعد إلى تحديد دقيق للمثقف ؟ يظهر لنا بعد هذا العرض لقضية دريفوس ، أن مفهوم المثقف ارتبط بها لسببين :

- أولا: تحول قضية دريفوس إلى قضية وطنية ، اقتحم فيها المفكرين والأدباء وأدلوها بدلهم ربما لأول مرة بهذا الشكل و النظام.
- ثانيا: شكلوا لأول مرة فئة أو جماعة اجتماعية لها رأي موحد تجاه قضية وطنية

¹محمد الشيخ، المثقف و السلطة، دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر، دار الطليعة بيروت، ط1، 1991 ص18

وعليه يمكن أن نستنتج من بعد قراءتنا هذه أن تحديد المثقف تحدد لأول مرة بموقف وبرأي وبتخاذ موقف النقد، لا بوظيفته أو مستواه التعليمي، أو انتماء إلى حزب أو دين معين، وقد نتساءل أليس الذين كانوا ضد دريفوس هم مثقفين كذلك؟ الإجابة سهلة وواضحة، " لا " لأنهم لم يكونوا في موقف الناقد ، ورأيهم لم يكن يخالف السلطة.

أما في الفكر الفرنسي الحديث أي المعاصر، هناك الكثير من بين المفكرين الفرنسيين الذين تناولوا موضوع المثقف و دوره في المجتمع نجد . ادغار موران Edgar Morin فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي معاصر . ولد في باريس في 8 يوليو 1921. المعروف بمناهضته للعولمة ولكل أشكال الحيف والظلم التي تلحق بالإنسانية أن المثقف لا يجب أن يتراجع عن خدمة مجتمعه بذريعة أن دوره قد تقلص في المجتمع الحالي، في مقابل بروز الخبير والتقني والتقنوقراط، الذين يخضعون العالم لأفكارهم، ولا ينظرون إلى الأمور في شموليتها وتعقيداتها، بل ويتطلعون دائما إلى ما سيوجد به المثقف من أفكار ونظريات تخرج عن المألوف لدى العموم، باعتباره الموجه له والقارئ للأحداث من زاوية مغايرة. كما أنه على المفكر والفيلسوف الالتفات لقضايا المجتمع، وقضايا الإنسانية في العالم، عوض الانكباب على دراسة الماضي وما يحيط به.، وللمثقف دورا كبيرا يجب أن يلعبه في المجتمع، من خلال توجيه الرأي العام، والاهتمام بالقضايا الجوهرية، التي تشغل باله، خاصة أن الحقيقة كما قال "أصبحت معقدة وخرقاء"، وأن الكثير من المفارقات، لها تأثير كبير على المجتمعات، وهو ما جعله يدعو إلى القطع مع نظام "الأنا" أو الأناية، والعمل بنظام "النحن"، أي التفكير من خلال التموضع وسط المجتمع، لخدمة الكل لا نرجسية الإنسان الكذابة.

وأضاف موران، أن المثقف يمكن أن يكون كاتباً، أو شاعراً، أو روائياً، أو محامياً، أو عالماً، يتحدث في المواضيع والقضايا الراهنة، مثل فلاسفة القرن 19، الذين كانوا يطرحون مواضيع تتعلق بالأسئلة الكبرى على الجمهور، وعلى الخصوص "اللاعذالة"، التي كانت سائدة آنذاك وكما يقول نيتشه : يجب على المثقف أن يتوجه الى الجميع ، ليعالج مشاكل تبدو جوهرية و شاملة و مرتبطة بمصير الإنسانية، ولذلك المثقف يلعب دورا أساسيا في عالم أكثر تخصصا ، رغم الانتباه إليه أقل لكن مع ذلك قد يحدث أحيانا وبشكل منتظر أن تجد رسالة المثقف إشعاعا ، وهذا ما حدث في فرنسا

مؤخرا مع "ستيفان هيسيل" الذي أصدر كتابا من عشرين صفحة بعنوان استتكمروا - Indignez¹. VOUS

ولهذا احتل المفكرون في فرنسا مكانة مهمة لدى الجمهور، نظرا لمناقشتهم القضايا الراهنة، مشيرا، في هذا الصدد، إلى كل من فولتير، وروسو، وديدرو. للإشارة أن ادغار موران فيلسوف وعالم بيولوجيا فرنسي معاصر، يهتم بعلاقة نتائج علم البيولوجيا وانعكاساتها على تصور الإنسان لذاته ومجتمعه وموقعه داخل هذا الكون، عرف بنظرية التركيب (" la complexité"، يقول موران: عندما نرى العالم في الحقيقة، فهو ليس مقسما إلى أصناف، كما هو الشأن بالنسبة إلى الجامعة، فكل شيء في العالم مترابط ويتواصل فيما بينه، فأصلاح المعرفة هو القدرة على فهم الروابط وهو ما أسميه بالتركيب أو بالنسيج التركيبي، وأعتقد أننا بحاجة إلى فكر التركيب لأنه الوحيد الذي بمقدوره مواجهة تحديات عصرنا التي هي شمولية وجوهرية، فمثلا بخصوص العولمة، ثمة تفاعلات قريبة بين ظواهر سياسية وديموغرافية واقتصادية واجتماعية ونفسية ودينية، وبالتالي لا يمكننا أن نضع معارف الخبراء، واحدة بجانب الأخرى، بل يجب أن تكون هناك معرفة رابطة وجامعة، وهذا تحدٍ ليس بالهين²).

واستراتيجية الفكر المركب، وهو أحد المنظرين للمقاربة عبر مناهج هـ، صدرت له مجموعة من المؤلفات الفلسفية والفكرية، منها كتابان مترجمان هما: "الفكر والمستقبل"، وهو ترجمة لكتابه "مدخل إلى الفكر المركب" و"ثقافة أوروبا وبربريتها" الكتابان معا يضيئان فكر فيلسوف عنيد، يعمل على النقد والتشريح في جسد الثقافة، ليكشف عما يكمن خلف بداهة مفاهيمها وتصوراتها ونزعتها التبسيطية المريبة من عناصر التعقيد، التي تفرض على الفيلسوف التسلح بمعرفة متشعبة، تستدعي عناصرها الاستدلالية من العلوم الفيزيائية والبيولوجية ومن الآداب والتاريخ والعلوم الإنسانية جميعا.

¹ من حوار أجراه هشام فهمي مع موران بعد أحداث الحراك المصدر نفسه

² www.youtube.com/watch?v=9N8HKfageSgAjoutée par dabatvle 24 févr2011 العربي

- المطلب الأول: فلفيدو باريتو (1848-1923) الاتجاه السيكلوجي

يمثل باريتو (1848-1923) (vilfredo Pareto) الاتجاه السيكلوجي في تحليله لمفهوم النخبة حيث يعرف النخبة بخصائصها ومميزاتها السيكلوجية. وفي المستوى السوسيولوجي يرى باريتو أن المجتمع - أي مجتمع كان - ينقسم إلى قسمين هما: النخبة التي تحكم، والمحكومون الذين يخضعون لهيمنة النخبة هذه التي تشكل الأقلية المتميزة والمتفوقة في المجتمع في مختلف تشكيلاته الاجتماعية. وضمن التوجه السيكلوجي الذي ينطلق منه باريتو في نظريته عن النخب، يرى باريتو: أن النخبة تتميز بخصائص سيكلوجية تمنحها نوعاً من التفوق في فرض سيادتها وهيمنتها وهي النخبة الحاكمة التي تمارس سلطتها وهيمنتها السياسية. فالنخبة لدى باريتو ليست نتاجاً لفعالية تاريخية اقتصادية كما يرى ماركس، ولا تستند في قوتها إلى قدراتها التنظيمية على نحو ما ذهب موسكا وميتشل، بل هي نتاج لما يسميه باريتو بالرواسب Residues وهي نوع من الخصائص السيكلوجية التي يتميز من خلالها أفراد المجتمع، وقد دأب باريتو على استخدام مفهومه السيكلوجي عن الرواسب لوصف الميول السيكلوجية الفطرية القيادية في الإنسان. 1 يصنف باريتو الرواسب إلى مجموعتين: تتمثل المجموعة الأولى في رواسب التأمل والتفكير، وتتمثل الثانية برواسب البقاء والنظام والاستقرار. ويوضح باريتو في هذا السياق أن هذه الرواسب تؤهل بعض أفراد المجتمع للوصول إلى مرتبة النخبة وممارسة السلطة بينما يفتقد إلى ذلك الأكثرية الكبيرة من أفراد المجتمع، ويتوسع باريتو في رؤيته هذه إذ يرى أن نمط الحكم وصورته يتحددان على أساس نوعية هذه الرواسب التي يتمثل أفضلها في النخب. فرواسب التأمل والتفكير تمكن النخبة من الحكم عن طريق الاقناع والترغيب، وترتكز على بناء التصورات والأيديولوجيات للسيطرة على الجماهير واستلابها، ولكن عندما تهيمن رواسب البقاء والنظام فإن النخبة تحكم بالقوة والهيمنة وتعمل استخدام أساليب القمع والتسلط والترهيب. 2.

وقد جاءت نظرية النخبة عند باريتو تعبيراً عن قناعته باستحالة تطبيق الديمقراطية الليبرالية

¹ محمد بن حنينان، النخب السعودية: دراسة في التحولات والإخفاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه (48) بيروت، ص

² كمال المنوفي، أصول النظم السياسية المقارنة، (الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، 1987)، ص 77.

السائدة في الغرب بوصفها تعبيراً عن الشعار المعروف "حكم الشعب نفسه بنفسه ولنفسه"، كما أنها جاءت نقضاً للنظرية الماركسية في تأكيدها على مبدأ الصراع الطبقي وحتميات التطور التاريخي. فباريتو في كتابه "العقل والمجتمع" يعرف النخبة بأنها "مجموعة من الأفراد الذين حققوا نجاحات مميزة في مختلف أنشطتهم ووظائفهم ضمن "مباراة الحياة"، وذلك "بطريقة تجعلهم قادرين على احتلال مناصب قيادية للقيام بأدوار سياسية واجتماعية محورية داخل المجتمع؛ وتظل هذه القيادة غير مشروطة بالضرورة بموافقة أفراد هذا الأخير" [ويختلف مفهوم النخبة عند باريتو عن مفهوم "الطبقة" عند ماركس بصورة جذرية، فمفهوم النخبة - على خلاف مفهوم الطبقة - يتميز بمرونته السيكلوجية وانفتاحه أمام المتفوقين والناهبين علمياً واجتماعياً وفكرياً. و على خلاف ذلك فإن مفهوم الطبقة الماركسي يتميز بانغلاقه على معايير اقتصادية وسياسية تقليدية للمحافظة على هيمنتها وترابط مصالحها. فماركس يؤكد دوماً بأن الحياة السياسية لا يمكن أن تفهم أو تفسر إلا بواسطة الاقتصاد، فالإقتصاد محدد للسياسة، وعليه فالدولة - كبنية فوقية - ما هي في نهاية الأمر إلا عنصراً تابعاً في عملية اجتماعية شاملة تحركها قوى الإنتاج وعلاقاته². فالطبقة البرجوازية في النظرية الماركسية هي التي تحكم، وهي التي تمتلك أدوات الإنتاج ووسائله في الوقت نفسه، وهذه الطبقة البرجوازية تشمل تضم عادة كبار الأثرياء والأغنياء (أصحاب الملكية) في المجتمع كما كانت الحال في المجتمعات القديمة حيث نجد: الطبقة الإقطاعية أو طبقة الأسياد، وغالبا ما كانت الطبقات المالكة تنفرد بالحكم والسيطرة والهيمنة لاعتبارات اقتصادية تفرضها معايير الملكية لوسائل الانتاج. ويمكن القول في هذا السياق: أن مفهوم النخبة عند باريتو وغيره من المنظرين لا يركز على العوامل الاقتصادية والملكية كما هو الحال في النظرية الماركسية، فالعامل الاقتصادي - كما يرى باريتو - لا يكفي وحده لتهيكل النخب، فهناك عوامل أخرى مسؤولة عن توليد النخب وهي تتعلق بالسمات السيكلوجية والثقافية التي تشكل عوامل متجددة في تكوين النخب . وبعبارة أخرى هناك تعارض جوهري بين التحليل النخبوي لباريتو، وبين

¹ إدريس لكريني، النخبة السياسية وأزمة الإصلاح في المنطقة العربية، مجلة الديمقراطية، مؤسسة الأهرام بمصر، العدد 25 يناير 2007.

² - إبراهيم خليل أبراش، علم الاجتماع السياسي، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، الأربعاء، 16 مايو، 2012:

التحليل الماركسي لمفهوم المصالح والسلطة والنفوذ، فالماركسية ترى - كما اسلفنا - أن النظام السياسي في المجتمع يجسد مصالح الطبقة السائدة في المجتمع، أي: الطبقة التي تمتلك وسائل الإنتاج والقوى المادية فيه. ويرى كارل ماركس في هذا الخصوص "أنه توجد في السلطة، في كل سلطة، نخبة حاكمة واحدة تتمثل في مالكي وسائل الإنتاج، التي - وإن قدمت نفسها للمحكومين على أنها مختلفة في ما بينها ومقسمة الى جماعات - إلا أنها في الحقيقة واحدة"¹ ولكن باريتو يرفض هذه الرؤية الاقتصادية للماركسية ويؤسس لرؤية جديدة تقوم على أسس سيكولوجية لتفسير النظام السياسي الاجتماعي، فالسلطة والهيمنة السياسية عند باريتو تقوم على "سيكولوجيا" البشر وليس على المعطيات التاريخية للوجود الإنساني كما يرى الماركسيون². فالنخبة التي تسيطر سياسيا كما يرى باريتو تمتلك في ذاتها خصائص التفوق والهيمنة والسيطرة، سواء أكانت تعبر عن مصالح الأغلبية، أو عن مصالح الأقلية. وهو هنا أيضا يقدم وجهة نظر متناقضة مع النظرية الماركسية، وذلك لأن الماركسية - كما نوهنا أعلاه - تنطلق في نظرتها للنخبة من اعتبارات اقتصادية اجتماعية تحكمها قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج في المجتمع. وعلى خلاف هذه الرؤية الماركسية يرى باريتو - ونكرر مرة أخرى لمزيد من التوضيح - أن النخبة - التي تسيطر - تهيمن بوصفها طبقة تمتلك خصائص التفوق والتنظيم والنجاح، وهي ترتكز على خصائص نفسها غالبا ما يسميها باريتو: بالرواسب التي هي - كما أشرنا سابقا - اعتبارات ومزايا سيكولوجية وعاطفية ترتكز إلى الذكاء والقدرة والعقلانية والتنظيم.

ففي تحليل باريتو (الدورة النخبة) تحولات السلطة في داخل النخب لا نجد أي اهتمام بدور الجماهير في هذه العملية التي يقتصر دورها على ردف النخبة الحاكمة بالعناصر المتفوقة والمؤهلة للممارسة السلطة. والجماهير عند باريتو تتصف بخاصية العجز والضعف وعدم القدرة على التنظيم وهذا يمكن النخبة الحاكمة من تحقيق أهدافها بفاعلية وقوة حيث تبقى الجماهير خارج دائرة الفعل السياسي الذي يشكل ممارسة نخبوية واضحة المعالم ومن جديد

¹ Jean-Louis Bergez، "Elites ou élite?"، CAPES de SES، 2005-2006.

² أحمد زايد، النخب السياسية والاجتماعية - مدخل نظري: مع إشارة خاصة إلى تشكلها في المجتمع المصري، ضمن مجموعة مؤلفين، النخب الاجتماعية، عن مركز البحوث العربية والإفريقية بالقاهرة، 2005.

يحاول باريتو في مؤلفه الشهير "العقل والمجتمع" The mind and society أن يعرف مفهوم النخبة بمحك المقارنة أي بين هؤلاء الذين يملكون مقاليد¹ السلطة وأولئك الذين لا يملكون شيئاً أي الجماهير². وضمن جهوده لبناء مفهوم النخبة، يرى باريتو أن المجتمع ينقسم إلى طبقتين، الأولى: الطبقة أو النخبة العليا التي تنقسم بدورها إلى نخب حاكمة Governing Elite ونخب غير حاكمة Non-governing Elite، والثانية: الطبقة السُفلى أو غير النخبوية. وهذا يعني أن باريتو يميز بين طبقتين في المجتمع طبقة تحكم هي طبقة النخبة، وطبقة محكومة وهي طبقة الجماهير الواسعة في المجتمع. ويعتمد باريتو في تحديده للنخبة على معيار النجاح الذي يؤديه الفاعلون الاجتماعيون في مختلف مستويات نشاطاتهم من منطلق مزاياهم السيكولوجية. على هذا الأساس ينطلق باريتو ليعرف النخبة بأنها تكوين اجتماعي يشمل هؤلاء الذين يتفوقون في اختصاصاتهم ومجالات عملهم في (مباراة الحياة) ويتمرسون بنجاح في ممارسة وظائف سياسية أو اجتماعية تخلق منهم طبقة حاكمة ليست بحاجة إلى دعم وتأييد جماهيري، لأنها تقتصر في حكمها على مواصفات ذاتية تتمتع بها، الأمر الذي يميزها ويؤهلها لاحتكار المناصب العليا في المجتمع. وهذا يعني أن باريتو ينظر إلى الأفضل في كل اختصاص وممارسة اجتماعية على أنهم النخبة، وضمن تصوره هذا تتشكل نخبة في كل نسق اجتماعية فهناك على سبيل المثال: نخبة بين المثقفين وتدل على هؤلاء الذين حققوا أعلى درجة ممكنة من النجاح ضمن طائفة المثقفين في المجتمع وهم المبدعين في مجال الإنتاج الفكري والثقافي، وهذا الأمر ينسحب على القطاعات الاجتماعية الأخرى، ففي مجال الطب هناك نخبة الأطباء، وفي قطاع المهندسين هناك نخبة متميزة من كبار المهندسين، وهكذا دوليك في مختلف القطاعات الاجتماعية. وضمن نظريته السيكولوجية عن النخبة، يرى باريتو: أن النخبة تحافظ على استقرارها واستمرارها ضمن فعالية ديناميكية يطلق عليها مفهوم "دوران النخبة"، وهي آلية تعتمد النخبة للمحافظة على ديمومة وجودها

¹ Pareto، Vilfredo، **The Mind and Society** (4 vol. London، Jonathan Cape 1933

² - بوتومور، الصفوة والمجتمع: دراسة في علم الاجتماع السياسي، ترجمة محمد جوهرى وعلياء شكري ومحمد علي محمد والسيد محمد الحسيني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص 25.

و استمراريتها. ويميز باريتو في هذا السياق بين فعاليتين في عملية "دوران النخبة": تتمثل الأولى فيما يطلق عليه "الدوران الداخلي" التي تتجلى في قدرة النخبة على امتصاص الأفكار والأشخاص من خارج النخبة وإدخالهم في دائرة وجودها حفاظاً على وحدتها، ومنعاً لتشكيل نخبة مضادة؛ وتتمثل العملية الثانية فيما يسميه "الدوران الخارجي" وهي العملية التي تؤول إليها أوضاع النخبة الحاكمة التي عندما لا تستطيع تحقيق غايتها في "الدوران الداخلي"، - أي: عندما تفشل النخبة القائمة في عملية امتصاص الأفكار والأشخاص من خارج النخبة- تتراجع تاركة مكانها لنخبة جديدة قادرة على أداء الوظيفة الأساسية للنخبة الحاكمة في المجتمع. ويفسر باريتو (دورة النخبة)، أي: إحلال نخبة محل أخرى أو صعود أفراد من الطبقات الدنيا إلى النخبة الحاكمة، بالتحويلات التي تطرأ على الخصائص النفسية لأعضاء النخبة حيث يفقد هؤلاء بعض (الرواسب) التي كانت تمنحهم الحماس والفعالية، وفقدان هذه (الرواسب) يؤدي إلى فساد النخبة، في المقابل تتراكم (رواسب) التفوق والفعالية لدى أفراد من الطبقة الدنيا مما يؤهلها للوصول إلى السلطة. وهكذا فإن ما يطرأ على النخبة ليس فقط تغييراً في الأفراد بل تغييراً على مستوى النوع، فالمجتمع يفرز في كل مرحلة نخبة تعبر عن المصالح المهيمنة أو الغالبة في المجتمع¹

ومن الطبيعي أن تثير نظرية باريتو موجة كبيرة من النقد لأنه لا يمكن اليوم تجاهل العوامل التاريخية والاجتماعية في تشكيل النخب وفي دورة بناء السلطة. فلا يستطيع أحد أن ينكر اليوم بأن القوى الاقتصادية تلعب دوراً تاريخياً في توجيه الحياة الاجتماعية. وعلى الرغم من أهمية نظرية باريتو ولكن لا يمكن الوثوق اليوم بقدرة السيكولوجية وحدها على تفسير التاريخ والأحداث التاريخية. فالسيكولوجية في النهاية نتاج لسلسلة من الفعاليات التاريخية. إذ كيف نستطيع اليوم أن نفسر وجود هذه النخب التي تقوم على معطيات الولاء للعائلة، والحاكم العسكري، والعرق والمحاصة. وكيف نفسر وصول بعض الأفراد إلى الحكم وهم لا يملكون أي خبرة سياسية أو فكرية ولكن الظروف الاجتماعية والتكوينات التقليدية للمجتمع هي التي قادتهم إلى هذه المراكز العليا في الدولة والمجتمع. وهنا علينا أن نأخذ برأي عبد الرحمن

¹ إبراهيم خليل أبراش، علم الاجتماع السياسي، مرجع سابق

الكواكبي الذي يصف هذه النُخب في المجتمعات الاستبدادية حيث يقول: "يكون أسفلهم طباعاً أعلاهم وظيفة وقرباً". فالنُخب في البلدان التقليدية لا يمكن أن تعتمد على سماتها السيكولوجية، بل على معايير القرب من الحاكم، وعلى نسق علاقات الدم والقبيلة والطائفة، وعلى قيم الانتهازية والوصولية. أما الأذكىء والقادة الحقيقيين فهم في غمرة من التلاشي والعدمية في هذه المجتمعات حيث لا تنفع مواهبهم ولا قدراتهم السيكولوجية في الوصول إلى أي نقطة من نقاط التمرکز النُخبوي في المجتمع.

-المطلب الثاني : النخبة في فكر كوزر : Lewis Alfred Coser-

Novembre 27, 1913 – July 8, 2003¹

عالم اجتماع أمريكي و لد في برلين ثم انتقل إلى الوم أ، من مؤفاته ، وظائف الصراع الاجتماعي، 1956* نظرية سوسيولوجية، 1964 النظرية الاجتماعية (مع برنارد روزنبرغ) 1969، سادة الفكر السوسيولوجية، 1970 النخبة المثقفة يقول كوزر: هم المتحدرون من الكهنة و الأنبياء و الرهبان والمتعلمين أم هم ورثتهم، إنهم المعنيون بالدرجة الأولى بالبحث عن الحقيقة وبالاحتفاظ بها وبالقيم الجمعية والمقدسة تلك التي تتحكم في جماعة معينة وفي مجتمع وفي حضارة، تشكل هذه القيم المركزية حقلاً متميزاً بوضوح عن الاختصاصات المهنية، ثمرة تقسيم العمل العقلي وثمره ما نسميه الكشف أو المعاينة على أن نفهمها بمعنى مباشرة العمل المحدود للعلوم العملية التطبيقية.

المثقف هو كائن هجين الذي من ناحية مهنية ينتج عملاً فنياً أو علمياً و يوصف بأنه فاعلاً ملتزماً بشؤون المدينة أو الحاضرة ، يرى نفسه شاء أم أبى و قد تمتع بقدرة على الرؤية العامة فالمثقف يعيش من أجل الأفكار عبر ما يشبه الدعوة إلى الالتزام، في حين تعيش المهنة الثقافية بالأفكار إن الاستثمار في الأفكار أو لها وللأنظمة الرمزية سواء، دينية ، سياسية ، أيديولوجية ، لها استثمار يختلف كلياً عن الاستثمار الذي يربط الاختصاصي بحقله المهني ، أي أن المثقف يتجاوز حقل مهارته المهنية ليتكلم في أمور ليس خبيراً بها بل هو يرى نفسه معنياً بها و متورطاً فيها..... فالمثقف كائن طفيلي بطبيعته يتجاوز بما عنده من روح نقدية وباحثة كل إلزام مهني ، وهو يتفق مع ماركس كما سنرى ذلك في هذا الاتجاه فيقول ماركس إذا أشار الفيزيائي

¹http://en.wikipedia.org/wiki/Lewis_A._Coser

المتخصص بالذرة حين يتحدث عن الانشطار النووي فهو يتحدث بوصفه متخصص عالماً أما حين يتحدث عن الاستخدام العسكري للذرة فهو يعبر عن نفسه مثقفاً و تتسع المسافة بين المثقف والاختصاصي حين يقوم الروائي أو عالم الاجتماع أو المؤرخ باتخاذ موقف من مجزرة تقع على الطرف الآخر من الكرة الأرضية .. ولتوضيح فكرة كوزر ليسعنا إلا أن نقرأ تحليله الذي يميز فيه بين العقل و الذكاء فالمثقف بالنسبة لكوزر هو رجل عقل قبل أي شيء آخر، انه ليس رجل ذكاء فالأخير هو بمثابة الاهتمام الذرائعي بالعالم الخارجي بالطبيعة ، فعلى القدرة التقنية أن تطور العالم وهذا ما يتمظهر من خلال المهارة المتخصصة ، القدرة العلمية والمهنية ، الأهلية وسلطة الخبرة، أما العقل فهو يحيل إلى شكل من الانفصام عن التجربة المباشرة إلى شكل من المسافة تجاه العالم الدنيوي يعبر عن نفسه عن طريق الالتزام تجاه القيم والمعايير عبر اهتمامهم قوى بالأفكار بوصفها أفكار باختصار عبر شكل تأملي ونظري، ما يتعارض مع الفكر العلمي عند التقنيين، بشكل أعم عند المهنيين ،وبدوره يتعارض مع الفكر النقدي الذي يميز المثقفين مع الفكر الأمثالي نسبياً ، والذي نجده غالب الأحيان لديهم أن ما نسميه بالتجربة،¹ و بشيء من الدقة نجد كوزر يختلف مع وجهة نظر غرامشي كما سنرى الذي بأن تأثير المثقف يأتي بشكل أكثر فاعلية عندما يشغل منصب حساس و راقياً و هو في نفس الوقت يتفق معه من حيث كون المثقف في المجتمع الصناعي وما بعد التصنيع لا يكون مستقلاً بفكره أو رأيه بل متأثر بالنظام الاقتصادي الرأسمالي السائد في المجتمع

-المطلب الثالث:النخبة في فكر هوفشتادتر Hofstadter-

دوغلاس رينشارد هوفشتادتر (ولد في 15 شباط 1945 في نيويورك) أكاديمي أمريكي عرف بشكل خاص عن طريق كتابه غودل، إيشر، باخ : الجديلة الذهبية الأبدية الذي نشر عام 1979، وفاز بجائزة بوليتزر Pulitzer Prize عام 1980 ككتاب غير خيالي عام.[1] حقق هذا الكتاب مبيعات هائلة واعتبر ملهما للعديد من الطلاب لبيدوا حياتهم المهنية في الحوسبة والذكاء الاصناعي، كما جذب انتباه العديدين من خارج نطاق المهتمين في الذكاء الاصطناعي نتيجة احتوائه على مواضيع متنوعة في فيزياء الطاقة العالية high-energy physics وعلم الأحياء الجزيئي وحتى الموسيقى والفنون التصويرية visual arts إضافة للأدب والفلسفة ارتأينا أن ندعم فكرة كوزر

¹سوسيولوجيا المثقفين ص19

بالتوضيح أكثر وعليه سنتحدث حول مقاربة هوفشتادتر وهي اتجاه ومنحى يوضح التفرقة بين العقل العلمي والعقل النقدي أو ما يمكن تسميته "نخبة مهنية و نخبة نقدية " إذا جاز لنا القياس وفق مفكرنا الذي يتفق مع كوزر بأن هناك بون شاسع بين " النخبة المهنية" والتي تقوم بتطبيق الأفكار الموجودة مثل الوضعيات المهنية: طبيب، مهندس، أستاذ... والفئة الثانية وهي النخبة النقدية التي تنتج أفكار ولها شعور عميق برسالة يجب تحقيقها خدمة للجماعة ومن أجل صالح المجتمع والإنسانية، ويمثل المثقف حسب Hofstadter¹ تأليف غير ثابت، سريع العطب دائماً، قابلاً للتحويل على مزاج الأفراد ما بين توظيف كامل في عالم الأفكار بوصفها قيمة عليها أن تقود الحياة الاجتماعية كلياً وفي مجملها وهذا ما أطلق عليه ماكس فيبر اسم الحياة هاهنا بين الناس وما بين الانسحاب خارج العالم.... أو ما يطلق عليه نيتشه² اسم العوالم الخفية، ربما تكون الجامعة هذا المكان الغامض والمركب الذي يمزج القدرة التي تستخدم وسيلة من قبل الأذهان الراغبة في إطلاق الأفكار جديدة على الساحة العامة ، فالجامعة تضم في آن واحد الأذهان التي تميل إلى التأمل إلى جانب الأذهان الملتزمة المنظرين الأكثر استخدام للتجريد والمناضلين الأكثر نشاطاً، بعد هذا العرض هوفشتادتر نلاحظ أنه ربط النخبة المثقفة بالجامعة ، واعتبر أن صفة الإلزام يجب أن تتوفر عند النخبة حتى يمكننا أن نضفي عليها هذه الصفة لأنها المؤهلة والأكثر نقداً ونشاطاً فكرياً داخل المجتمع ، فصفة الإلزام هي نوع من الحد الفاصل إذا ما أردنا المقارنة بين النخبة المثقفة والنخبة السياسية التي تدفعها صفة التعصب والدوغمائية والأيديولوجية لا الصفة العلمية الموضوعية التي نجدها عند النخبة المثقفة الجامعية طبعاً حسب ما قاله هوفشتادتر

- المطلب الرابع: النخبة المثقفة في الفكر الماركسي:

لعل أول موقف ماركسي من المثقفين هو هذا الذي نجد ماركس وأنجلز يعبران عنه في كتبهما الفلسفية و السجالية الأولى ولعل أهم هذه الكتب على الإطلاق هو الأيديولوجية الألمانية الذي و إن لم ينشر في حياتهما إلا بعد وفاتهما بعشر سنوات لا يخلو من قيمة في ما يتعلق بالموقف الماركسي

¹ نفس المرجع ص 21

² فريديريك فيلهلم نيتشه (ولد 15 أكتوبر، 1844 - 25 أغسطس، 1900) فيلسوف وشاعر ألماني، كان من أبرز المهتمين بـ علم النفس، وكان عالم لغويات متميزاً. كتب نصوصاً وكتباً نقدية حول المبادئ الأخلاقية، والنفعية، والفلسفة المعاصرة، المادية، المثالية الألمانية، الرومانسية الألمانية، والحداثة عموماً بلغة ألمانية بارعة. يعد من بين الفلاسفة الأكثر شيوعاً وتداولاً بين القراء

الأصلي من موقف المثقفين في المجتمع الحديث ووظائف وأدوارهم، ونبدأ من مقولة ماركس المشهورة "Les philosophes والفلسفة التأملية speculative التي قالها وهو يحاول بذلك قلب المفاهيم الهيجلية n'on fait qu'interpréter le monde de différentes manières, mais IL s'agit de le transformer »¹

إن ما يقوم به الفلاسفة مجرد وصفهم للعالم بطرق مخلفة ، لكن الأهم من ذلك هو تغيير هذا العالم ، نلاحظ أن ماركس وأنجلز في كتبهما لا نجد مصطلح نخبة أو مثقف بل يستخدم لفظ أيديولوجيين وفلاسفة باعتبارهم منتجي الأفكار " الوعي الزائف" على حد تعبير ماركس ففي كتابه الأيديولوجية الألمانية الذي يحلل فيه في الفصل الأول عملية التطور العملي للبشر يقول أن علمائنا الفلاسفة لم يعملوا على تحرير الإنسان من الوهم و الوعي الزائف و لم يتقدموا خطوة واحدة في ذلك، وسبب ذلك ببساطة هو أنه لا يمكن تحقيق تحرير فعلي إلا في الواقع و بوسائل واقعية ...أي التحرير هو فعل تاريخي عملي نضالي وليس فعل ذهني² إلا أن لفظ الفلاسفة أو الأيديولوجيون عند ماركس يعبر عن دلالة لموقع اجتماعي وللدلالة عن وظيفة اجتماعية ثقافية هي التي كان يقوم بها هؤلاء لصالح الدولة، ويحيل هذا الموقع والوظيفة والدور هذا إلى بنية منظمة وهذه البنية هي البنية الفوقية الأيديولوجية للمجتمع، والظاهر أن اسم مثقف أو مثقفين لم يكن واردا في اللغة أو الثقافة الألمانية حينئذ ونحن نعلم أن هذه الكلمة لم تتشع في اللغة الفرنسية بصيغة الاسم الآ في نهاية القرن التاسع عشر في سياق قضية دريفوس، إلا أنه كما أشرنا منذ قليل إلى استخدام لفظ أيديولوجيين للدلالة على جماعة من الأفراد المجتمع تشغل موقع في إطار تقسيم العمل الاجتماعي تتخصص بموجبه العمل الذهني والفكري وتحترف إنتاج الأفكار والأيديولوجيات مقابل لمن يشغل موقع آخر في تقسيم العمل الاجتماعي، ويجري تقسيم الناس بحسب موقعهم في بنية تقسيم العمل عموديا، على مستوى المجتمع ككل فتحصل على محترفي العمل الذهني والفكري وهم الأيديولوجيون أو الفلاسفة أو المنظرون بتعبير ماركس وأنجلز، إننا هنا أمام مقولة تسمى في الأدبيات الماركسية الآحقة بللمثقفين" على نحو ما نعتز عليه لدى كاوتسكي* وليني* ، وعليه ترى الماركسية بأن المثقفين جماعة أيديولوجية ظهرت

¹ روجي غار ودي، الماركسية: ترجمة، د محمد أمين بحري، دار الحكمة للنشر، 2009 ص101

² كارل ماركس ، أنجلز ، الأيديولوجيا الألمانية، ترجمة د فؤاد أيوب ط1 1976 ، ص32

* يعتبر كارل كاوتسكي Karl Kautsky من أحد زعماء الحركة الأممية الثانية في الفكر الشيوعي في مطلع القرن العشرين، ولد عام 1854م، وهو من أنصار الوسط في الحركة الأممية، وقد هاجمه لينين وأنتقده انتقادا لاذعا في كتابه المعروف (الثورة البروليتارية

في مجرى التاريخ و تطورت مع ظهور تقسيم العمل والملكية الخاصة والدولة والطبقات الاجتماعية، ويستحيل دراية هذه الجماعة كما لو كانت مستقلة بذاتها عن الظواهر الاجتماعية الأخرى وكأنها فوق الجميع أنها كائن اجتماعي تاريخي تشكلت في نقطة ما من التاريخ ذاته و تطورت عبر مراحل التاريخ ذاته التي تشكل المجتمع الطبقي، أما حول موقفها من الصراع الطبقي فترى الماركسية أن هذه الفئة الأيديولوجية المثقفين تتعايش في كل طبقة اجتماعية أساسية وأن هناك تبادل بين الجماعة المنتجة للمادة مع الجماعة المنتجة للأفكار مادام كل منهما في حاجة إلى الآخر وما ينتجه على أساس تقسيم العمل إلا أن هناك تنافر ثانوي بينهما غير أن هذا الأخير سرعان ما يذوب و يختفي عندما تواجهه الطبقة مخاطر حقيقية في صراعها مع طبقات أخرى فيسود عندئذ التضامن والانسجام بين تلك الطبقة المادية الاقتصادية والفكرية الأيديولوجية

ولما كانت نهاية المجتمع الطبقي لا ريب فيه - طبعا حسب الماركسيين - فان نهاية المثقفين الأيديولوجيين بوصفهم جماعة اجتماعية تستمد وجودها في المجتمع من تخصصها في إنتاج الأفكار والقيم و الأوهام الأيديولوجية ونشرها آتية هي الأخرى ولا محال إلى الزوال ذلك عند انبثاق المجتمع الخالي من الطبقات الذي توجد شروطه واضحة المعالم في المجتمع الرأسمالي المعاصر سيؤدي لا محالة - حسب نبوءة ماركس طبعا - الذي توجد فيه الشروط اللازمة لكي يحرر كل فرد من أفراد المجتمع طاقته الكامنة ، فكرية ويدوية في آن واحد من دون تمييز في ما بينهما مطورا إياها إلى أقصى الحدود الممكنة.

والمرشد كاوتسكي)، وذلك بسبب محاولته الانتهازية التي تهدف السيطرة على نظام الحكم. وقد حصل الأنتشاق بين أنصار هذه الحركة الأممية بعد تفاقم التناقض بين عنصرى الإنتاج رأس المال والعمل، مما كان له أثره في ظهور ثلاثة تيارات متميزة، الأول هو تيار انتهازى يمينا كان يتزعمه أدوارد برينشتاين وألكسندر ميلرانوج. هندمان وصموئيل غومبرز. والثاني التيار الوسطي التحريفي الذي كان يختفي وراء الماركسية، ومن زعمائه كارل كاوتسكي، وألبرت توماس. أما التيار الثالث فهو التيار اليساري وكان يمثل الجناح اليساري من الحركة العمالية في الغرب وهم الأشتراكيون الديمقراطيون اليساريون الألمان، والأشتراكيون البلغاريون والجناح اليساري من الحزب الأشتراكي البريطاني وغيرهم. وقد أقام كارل كاوتسكي في فيينا بعد خلافه الشديد مع لينينوثروتسكي، بعد عام 1934م، وظل فيها يواجه نشاط الحزب الأشتراكي، ثم هاجر بعدها مهزوما إلى أمستردام حيث توفي في حالة من الفقر الشديد في 17 تشرين الأول 1938م

**فلاديمير ألييتشأوليانوف المعروف ب (لينين) (بالروسية) (عاش 22 ابريل 1870 إلى 21 يناير 1924 م). ثوري روسي، كان قائد الحزب البلشفي الثورة البلشفية، كما أسس المذهب اللينيني السياسي. لينين رفع شعار "الأرض والخبز والسلام"

وهكذا يتضح لنا أن الأساس الابستمولوجي الذي ينطلق منه ماركس في قضايا أخرى هو نفسه الذي طبق في تحليل قضية "المثقفين" إن جاز لنا التعبير أي يعني الرؤية الحتمية إلى زوال هذه الفئة في مجتمع لا تسوده أي طبقة هذا ما يتعلق تقريبا بالماركسية الكلاسيكية.***

إلا أنه قد توالى اجتهادات الماركسيين في ما يتعلق بتجديد المثقفين سوسيولوجيا داخل المجتمع الحديث، من حيث علاقتهم بالطبقات الاجتماعية وبالذولة ووظائفهم وأنماط معيشتهم وخصائصهم، وتفاوت هذه الاتجاهات من حيث عمقها وصرامتها العلمية إذ العديد تتبلور منها في خضم الصراعات السياسية الظرفية العابرة غير أن أصحابها اجتهدوا ليلوروها على أساس مادي تاريخي الذي شكل كتاب الأيديولوجية الألمانية ، فأول تعبير واضح عنه ، ومن أبرز الاجتهادات نجد كل من الألماني كاو تسكي و قد أشرنا إليه سابقا والروسي فلاديمير لينين الذين استخدموا لفظ مثقف بمعناه الواسع القائم على أساس معيار تقسيم العمل للدلالة على جماعة اجتماعية تعيد وجود إنتاجها بجهداها الفكري و يرى كل من Michel Antoine Burnier* et Frederic Bon أن هذا التحليل الذي اعتمد على نمط "Les nouveaux intellectuels" في كتابهما العيش والكسب والخصائص السيكولوجية أساسا لتحديد المثقفين بقي في بدايته و لم ينجح في تحديد موقعهم داخل البنية الاجتماعية تحديدا علميا دقيقا مكتفيا في قذفهم في الطبقات الوسطى.

بيد أن الماركسية بوصفها حركة اجتماعية لم تعبر في تاريخها عن هذا الموقف المتحفظ من المثقفين، بل بلورت موقفا آخر ايجابي منهم معتبرة إياهم حلفاء للطبقة العاملة ومثقفين ثوريين يحملون الوعي العلمي وهو تحليل مناقض ومقابل للتحليل الأول الذي يصنف هذا التحليل للمثقفين في موقع اجتماعي منفصل عن الطبقة العاملة الحديثة ويدمجهم في إطار البرجوازية الصغرى نجد تحليل مناقض يعتمد على تصنيف المثقفين السابق ذاته غير أنه ينتهي إلى خلاصة بوصفهم مثقفين متخصصين في العمل الفكري، جماعة بورجوازية في المجتمع الحديث يغادرون مواقعهم البرجوازية

*** Michel-Antoine Burnier est un journaliste français né en 1942 à Chambéry fr.wikipedia.org

* مايكل لوي (ساو باولو ، البرازيل ، 1938) هو عالم الاجتماع والفيلسوف الماركسي الفرنسي البرازيلي المدير الفخري للبحوث في CNRS وأستاذ في مدرسة قصر دراسات العليا للعلوم الاجتماعية ان (EHESS). مؤلف كتب عن ماركس ، لوكاتش ، والتر بنيامين ، وفرانز كافكا ، في عام 1994 حصل على الميدالية الفضية من CNRSfr.wikipedia.org/wiki

وينحازون إلى صفوف الطبقة العاملة ويتحالفون معها وهذا السؤال حاول Michael Löwy في دراسته الشهيرة في دراسة حالة György Lukacs عنوان « سوسيولوجية المثقفين الثورين »

Pour une sociologie des intellectuels révolutionnaires. L'évolution politique de György Lukacs¹ 1909-1929

والجدير بالذكر أن الإجابة تطلبت منه العودة مرة أخرى إلى الأصل النظري الأول الماركسي في البيان الشيوعي.

-المطلب الخامس : المثقف الكلي جان بول سارتر-

جان-بول شارل ايمارد سارتر (21 يونيو 1905 باريس - 15 أبريل 1980 باريس) هو فيلسوف وروائي وكاتب مسرحي كاتب سيناريو وناقد أدبي وناشط سياسي فرنسي. بدأ حياته العملية أستاذاً. درس الفلسفة في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية. حين احتلت ألمانيا النازية فرنسا، انخرط سارتر في صفوف المقاومة الفرنسية السرية.

-حياته:

بعد الحرب أصبح رائد مجموعة من المثقفين في فرنسا. وقد أثرت فلسفته الوجودية، التي نالت شعبية واسعة، على معظم أدباء تلك الفترة. منح جائزة نوبل للآداب عام 1964 إلا أنه رفضها لأسباب غامضة.² تميزت شخصياته بالانفصال عنه وبدت وكأنها موضوعات جدال وحوار أكثر منها مخلوقات بشرية، غير أنه تميز بوضع أبطاله في عالم من ابتكاره.

تميزت موضوعات سارتر الدرامية بالتركيز على حالة أقرب إلى المأزق أو الورطة. ومسرحياته " الذباب " " اللامخرج " "المنتصرون" تدور في غرف التعذيب أو في غرفة في جهنم أو تحكي عن طاعون مصدره الذباب. وتدور معظمها حول الجهد الذي يبذله المرء ليختار حياته وأسلوبها كما يرغب والصراع الذي ينتج من القوى التقليدية في العالم التقليدي الذي يوقع البطل في مأزق ويحاول محاصرته والإيقاع به وتشويشه وتشويهه.

¹ محمود قاسم : موسوعة جائزة نوبل 1901-1995 ، بيروت لبنان ص237

² جان بول سارتر و الثورة الجزائرية

وإذا كان إدراك الحرية ووعيتها هي الخطوة الأولى في الأخلاقية السارترية فإن استخدامه لهذه الحرية وتصرفه بها - التزامه - هو الخطوة الثانية. فالإنسان قبل أن يعي حرته ويستثمر هذه الحرية هو عدم أو هو مجرد "مشيئ" أي أنه أقرب إلى الأشياء منه إلى الكائن الحي. إلا أنه بعد أن يعي حرته يمتدح مشروعاً له قيمته المميزة.

في مسرحيته الأخيرتين "تكيرازوف" (1956) و"سجناء التونا" (1959) يطرح سارتر مسائل سياسية بالغة الأهمية. غير أن مسرحياته تتضمن مسائل أخرى تجعلها أقرب إلى الميتافيزيقيا منها إلى السياسة. فهو يتناول مواضيع مثل: شرعية استخدام العنف، نتائج الفعل، العلاقة بين الفرد والمجتمع، وبين الفرد والتاريخ. من مسرحياته أيضاً: "الشيطان واللورد" و"رجال بلا ظلال". وقد ساهم أيضاً في استقلال الجزائر، ووقف أمام حركة بلاده الاستعمارية وكان قوله المشهور السلام هو الحرية بعض مؤلفاته

الغثيان الوجود، والعدم الجدار، جلسة سرية، النخيل، الوجودية مذهب إنساني، عارنا في الجزائر، دفاع عن المثقفين

- المثقف الكلي جان بول سارتر :

في مرافعة دفاع عن المثقفين الذي هو في الحقيقة عنوان لكتاب الراحل سارتر، و هذا الكتاب ما هو إلا مجموعة من المحاضرات ألقاها على إحدى طلبة جامعة اليابان في الخمسينات في القرن الماضي يعدد سارتر مختلف التهم الموجهة للمثقفين مفندا إياها في نفس الوقت قبل أن يعرف المثقف يعرفه أولاً بوجوده و ثانيا بوظيفته في المجتمع المعاصر و دوره وهو يستند إلى ذلك على منطلق أساسي ، حاول أن يدمجها معا في الرؤية الوجودية التي كانت موضة فكرية استوطنت غرنا إبداعية متنوعة، و ثانيا التحليل الماركسي في أحدث طبعته آنذاك، أي في الصيغة الغرامية فكان حقا شخصية فكرية سجالية متورطة في الحقل العمومي بإرادة قوية جسد في مساره البيوغرافي والبيبليوغرافي نموذج المثقف الملتزم ، فقد استجوب ذات يوم مع المجلة الأمريكية « Playboy » * أكد سارتر قائلاً: أنا

* سوسيولوجي فرنسي وأستاذ عدد من المشاهير منهم بيار بورديو أحد أهم مثقفين اليمين الفرنسي ويُعتبر آرون ممثلاً لجيل المفكرين والسياسيين الفرنسيين اليهود، من أمثال ليون بلوم وبيير منديس فرانس، الذين عبّرت أفكارهم وسياساتهم عن التيارات والاتجاهات الفكرية والسياسية المختلفة داخل المجتمع الفرنسي بصفة خاصة والمجتمع الأوربي الأوسع بصفة عامة، والذين تحددت علاقتهم باليهودية ومواقفهم تجاه إسرائيل من خلال انتمائهم الفرنسي

من النخبة المثقفة ولست من رجال السياسة، لكن كمواطن في استطاعتي أن أشارك مع جماعة الضغط، وهذا يبين لماذا كنت صادقاً ومخلصاً مع الجزائريين، وهذا هو في رأي عمل المواطن و بما أن مهارتي وبراعتي تكمن في ثقافتني، أستطيع كمواطن أن أخدم أو أشارك بالكتابة.

ونعود مرة أخرى إلى دفاع عن المثقفين ،نجده يعرف المثقف " ذلك الإنسان الذي يدرك التعارض القائم فيه وفي المجتمع، بين البحث عن الحقيقة العملية، مع كل ما يترتب على ذلك من ضوابط و معايير، وبين الأيديولوجيا السائدة مع منظومتها من القيم التقليدية وما هذا الوعي سوى كشف للنقاب وعن تناقضات المجتمع الجوهري¹ " ومعنى ذلك أن المعرفة الثقافية ليست أو على عكس المعرفة التقنية لا تقود إلى الوعي الشقي . حسب مصطلح هيغل . فالمثقف حسب سارتر يقوم بدور الكاشف على الأيديولوجيا المهيمنة لفرض السلطة وهذه الأيديولوجيا التي تصاغ في شكل قيم و تقاليد.... الخ و هي تصاغ وتنتشر من طرف خونة الثقافة حسب سارتر، إن المثقف ليس عاملاً يدويا ولا رأسماليا بل دائرة نفوذه هي الوعي الذي لا يعترف بأهميته أحد و إن كانت الطبقة المهيمنة السائدة تعمل على تزييف هذا الوعي وإعادة إنتاج أيديولوجيتها المهيمنة، و هو في الأغلب . أي المثقف . ينظم الى طبقة لا تنتج مثقفها، أي أنه يأخذ الجانب التاريخي بالتبني، وهو بذلك يزرع الشكوك في طبقته والطبقات الأخرى.

ويشكل عام انطلق سارتر من فرضية مفادها وان تختلف التهم عليها التي يوجهها الخصوم إلى المثقفين - نشير فقط إلى ابرز النقاد Raymond Aron² 1903-1983 , L'opium des intellectuels - إلا أنها تلتقي جميعها في فكرة أساسية مفادها، أن المثقف يتدخل فيما لا يعنيه و يخرج عن دائرة اختصاصه وكفاءته ليقوم بوظيفة ليس مؤهلاً بها بالضرورة أما عن تشكل النخبة المثقفة في المسار التاريخي فقد تتبع حالة فرنسا مبرزا كيفية تشكلها واعتقد أن مسار تاريخ ظهور النخبة ارتبط بتاريخ تشكل الحداثة وهذه في الحقيقة محاولة من سارتر لتبرير مواقف النخبة المثقفة ، دورها علاقتها بالطبقة البورجوازية الحديثة وأن هذا المسار مر بمرحلتين : أولاً مرحلة تكون وتطور

والأوروبي بالدرجة الأولى في وقت كان فيه سارتر من اليساريين

¹ جان بول سارتر ، دفاع عن المثقفين ، الترجمة العربية بيروت ، دار الآداب ، 1973 ، ص 11

² سوسيولوجية الثقافة والمثقفين ، ص 241

تقنيي المعرفة العلمية في ارتباط وظيفي مع تكون الطبقة البرجوازية الحديثة وتطورها في المجتمع الفرنسي وبظهور تقنيو المعرفة العلمية حلوا محل رجال الدين والكنيسة وانتشرت قوانين المعرفة التي أصبحت تفسر كل ما هو طبيعي بما هو طبيعي أما عن اختصاصيو المعرفة التقنية لم يظهروا إلا مع تطور البرجوازية مذ كانت تجارية إلى أن أصبحت صناعية ومالية ، فهي تحتاج دائما إلى معارف وخبرات تقنية لحل مشاكلها، يذكرنا هذا التحليل لسارتر للعلاقة بين تكون اختصاصي المعرفة العلمية وتشكل العلوم الحديثة من جهة والطبقة البرجوازية من جهة أخرى بتحليل ميشيل فوكو للعلاقة بين السلطة و المعرفة وتشكل العلوم الإنسانية بوصفها تكنولوجية للسلطة في خدمة سيطرة الدولة الحديثة على المجال البشري، كما يذكرنا أيضا - سارتر - إلى تحليل أنتوني غرامشي للمثقف العضوي.

أما ثانيا فنمط التكوين الثقافي الذي يتلقاه اختصاصيو المعرفة العلمية خلال أطوار تعليمهم المدرسي والجامعي، فبداية يتلقون تكوينا أيديولوجيا إلى غاية التعليم الثانوي يدمجهم في النظام الاجتماعي البرجوازي على أساس أن القيم البرجوازية ونظامها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي قيم إنسانية كونية ونظامها نظام طبيعي بديهي متطابق مع بدهة العقل البشري وقوانين الطبيعة فيتلقون قدرا مناسباً من المعارف النقدية والمناهج التحليلية التي تمكنهم من ممارسة وظيفتهم التقنية في الإدارة والهيمنة الاجتماعية والحكومية وحتى السياسية بوصفهم موظفي البنية الفوقية بحسب تعبير غرامشي، بهذه الوضعية حسب سارتر تطلق للمثقف تناقض حيث يجد نفسه لا ينتمي إلى الطبقة العامة التي يشارك الطبقة السائدة في استغلالها فهو يتفق في تحليله مع ماركس كما أسلفنا وكذلك مع بورديو ولكن السؤال هو متى يكون تقني المعرفة مثقفا؟ يجيبنا سارتر على هذا السؤال وفق ما حاولنا استخلاصه واستنتاجه من نظريته حول المثقف، فيقول: تقني المعرفة يجد نفسه أمام خيارين أما أن يذعن ويسالم ويقبل الأيديولوجية البرجوازية و يتكيف معها ويداهن أو أن يعارض معارضة جذرية ، ويخرج من ذلك التناقض الذي وجد فيه نفسه بين خصوصية الطبقة السائدة من جهة وكونية المناهج والمعارف التي تحصل عليها في حقل تعلمه وتخصصه المعرفي من جهة واضعاً تلك الأيديولوجية موضع التساؤل مخضعاً الخصوصية للسلطة الكونية، رافضاً في نفس الوقت مجرد وسيلة تقني المعرفة لتحقيق أهداف الغير في هذه الحالة بالضبط يصبح تقني المعرفة مثقفا بالفعل باكتسابه وعيا

نقديا ، يواجه به تناقضه أي يخضع ما هو كوني للخصوصي كما يتحدد وجود المثقف على مستوى علاقته بذاته في المجتمع بكونه حامل وعي كوني ووعيه مفتوح بالضرورة على العالم وعلى الآخرين .

إذن نفترض نظرية سارتر عن المثقف الكوني تصورا قانونيا للسلطة يقضي بكونها متحيزة في المكان يمتلكها من يملك وسائل الإنتاج ، تحتكرها الطبقة السائدة ولا يمكن للطبقة المسودة أن تستعيد حريتها المسلوبة إلا بمعركة شاملة كلية و فق المبادئ والقيم الكونية، قيم العدالة و الحرية والحقيقة والمساواة ، وفي هذه المعركة الكلية يؤدي المثقفون دورا أساسيا بوصفه شرطا لا بد منه لإعتاق الآخرين وهم أنفسهم أيضا، ومن هنا يتضح الطابع الشمولي والكوني لفكر سارتر الذي يسعى دوما إلى تمثل كل شيء لتجاوزه تجاوزا راديكاليا، غير عابئ بالحدود بين الحقول المختلفة خالطا في ما بينها مستفيدا منها في بناء سلطته التي أرادها أن تكون كلية تعلق على ما عاداها وتهيمن عليها هيمنة كلية وقد ساعدته قدراته الفكرية المتميزة ومهارته الخارقة على أن يجسد في سيرته الذاتية، نموذج المثقف الكوني. وفي الأخير لخص لنا سارتر دور المثقف الحقيقي في النقاط التالية :

- العمل ضد الأيديولوجيا السائدة في صفوف الطبقات الشعبية ، ونسف أساطيرها الخاصة كمقولات البطل الايجابي و عبادة الشخصية
- توظيف الثروة المعرفية القادمة من التاريخ الطبقي للمجتمع في ترسيخ وإبداع ثقافة جديدة للشعب
- تأهيل أصحاب المعرفة العملية من التقنيين بتخليصهم من الوعي الشقي ، وضمهم إلى صفوف العمال
- الحرص الدائم على اعتبار " شمولية المعرفة وحرية الفكر والحقيقة " غاية واقعية يلامسها المثقف في معترك الكفاح العملي الفعلي أي أنها مشروع حياة عملي يظل نسبيا أبدا وناقصا دائما طالما يستهدف مستقبل الإنسان.
- أن يجعل نفسه ضد أي سلطة، بما في ذلك السلطة السياسية التي تتمثل في الأحزاب الجماهيرية
- تحذير العمل العام بإيضاح الأهداف البعيدة من وراء الأهداف المباشرة أي تحويل العمال إلى طبقات شمولية باعتبار أن ذلك غاية التاريخ.¹

¹جان بول سارتر ، دفاع المثقفين ، ص 58

إن الملاحظة المهمة هي أن سارتر اعتبر أن النضال السياسي و الحزبي ليس حلا ، و أن المثقف ضد كل سلطة وهذا ما برز في الحراك الطلابي في فرنسا سنة 1967 و هي الأجواء التي جعلته أكثر راديكالية فهذا الحراك لم يكن سياسي ولا حزبي ، كذلك ضد كل سلطة وكل مؤسسة "إن الطابع العام للمثقف المعاصر هو المثقف المزيف، والمثقف المزيف هو قبل كل شيء مثقف مباع " - جان بول سارتر -

المطلب السادس النخبة في فكر أنتونيو غرا مشي

“Pourrait dire que tous les hommes sont des intellectuels; mais tous les hommes n'exercent pas dans la société la fonction d'intellectuel”¹ Antonio Gramsci

أنتونيو غرا مشي Antonio Gramsci فيلسوف ومناضل ماركسي إيطالي، ولد في بلدة أليس بجزيرة ساردينيا الإيطالية عام 1891، وهو الأخ الرابع لسبعة أخوات. تلقى دروسه في كلية الآداب بتورينو حيث عمل ناقد مسرحيا عام 1916. انضم إلى الحزب الشيوعي الإيطالي منذ تأسيسه وأصبح عضو في أمانة الفرع الإيطالي من الأممية الاشتراكية.

أصدر مع تولياتي في عام 1917 مجلة النظام الجديد (بالإيطالية: Ordine Nuovo). وفي شهر يوليو 1919 اعتقل لأول مرة بسبب تأييده للجمهوريتين الهنغارية والروسية لكنه بدأ في خريف العام ذاته بتشيط حركة "مجالس العمال" في تورينو. وفي عام 1921 أسس مع مجموعة أخرى الحزب الشيوعي الإيطالي وانتخب نائبا عام 1924 وترأس اللجنة التنفيذية للحزب. وفي الثامن من نوفمبر أودع السجن بناء على أمر من موسوليني حيث أمضى العشر سنوات الأخيرة من عمره قبل أن يموت تحت التعذيب في 26 أبريل 1937. ومن السجن يعلن قطيعته مع ستالين، وفيه يكتب " دقاتر السجن ".

يعتبر غرامشي صاحب فكر سياسي مبدع داخل الحركة الماركسية. ويطلق على فكره اسم الغرامشية التي هي فلسفة البراكسيس (النشاط العملي والنقدي _ الممارسة الإنسانية والمحسوسة). وغر امشي يؤكد استقلالية البراكسيس إزاء الفلسفات الأخرى. إنها ممارسة ونظرية في آن معا ولهذا

¹Frédéric bon ,M_A,burnier, les nouveaux intellectuels, édition du seuil : paris 1971,p15

فإنها فلسفة سياسية. إنها التاريخ -حي- قيد-التكون، وهي كذلك تصور للعالم يمكن استخلاصه من الآثار الماركسية الفريدة التي يعتبر غرامشي أنها تتكون من ثلاثة أقسام: الاقتصاد السياسي والعلم السياسي والفلسفة. وهو ينقب فيها عن المبادئ الموحدة في علاقات الإنسان بالمادة (التي هي نتيجة براكسيس سابق) عبر التاريخ الذي هو إنتاج ذاتي للإنسان.

والمبدأ الموحد من وجهة النظر "الاقتصادية" هو القيمة، ومن وجهة النظر السياسية، الدولة، وأما من وجهة النظر الفلسفية فهو العلاقة بين إرادة الإنسان وبين الأوضاع والمواقف التي ينبغي له تجاوزها. وهذا المبدأ الخير يؤلف بين وجهتي النظر السابقتين لأنه يتيح الانتقال من المستوى الاقتصادي إلى المستوى الخلقى والسياسي. إنه البراكسيس.

وبما أنه ليس ثمة انفصال بين الإنسان والأشياء التي ينتجها، فإنه ذات ومادة اجتماعية وتاريخية مأخوذتان في علاقة جدية مع الضرورة وهذه النظرة هي التي تفسر نظرية غرامشي السياسية. فهو حين يفكر في الدولة ويبرهن أن المجتمع السياسي (أو الدولة) يتكون من أجهزة يغلب عليها القمع فالدولة تتكون من قوى كاسرة (الجيش والبوليس والقضاء التي يحل محلها إبان الأزمات منظمات خاصة كالميليشيات..) ومن أجهزة تصوغ التشريعات وتطبقها (البيروقراطية، الحكومة، البرلمان) وهي الأداة التي تؤمن بها طبقة ما سيطرة على الطبقات الأخرى، وهي تتكون كذلك من أجهزة تغلب عليها الأيديولوجية (المدرسة، الكنيسة، الأحزاب السياسية..) وتؤمن للطبقة المسيطرة رضي الطبقات الأخرى وقبولها بقيادتها لها. غير أن ما يؤمن توحيد هذا كله هم المثقفون الذين تتميهم كل طبقة لتؤمن هيمنتها عبرهم. فمهمة المثقفين هي نشر تصور الطبقة للعالم وتأكيده في وجه مثقفي وتصورات طبقات النظام القديم أو النظام الذي يرهص بالولادة. وهكذا مثلاً فإن مثقفي البرجوازية الذين حاربوا المثقفين المرتبطين بالإقطاع (عبر الكنيسة خاصة) عادوا فحاربوا المثقف الجماعي الذي هو أحزاب الطبقة العاملة، أو حاولوا أن يستلحقوه بهم عبر ممارسة اشتراكية-ديمقراطية. وعلى هذا فإن المثقفين يشكلون الاسمنت العضوي الذي يربط البنية الاجتماعية بالبنية الفوقية ويتيح تكوين "كتلة تاريخية". وهكذا فإن الدور العملي للفلسفة يتجسد بالحزب الثوري، الذي يرفض الاندماج بالدولة، ويقدم الصراع الأيديولوجي على ما عداه ويخوض البراكسيس في كل السياسة محطماً بذلك الكتلة الأيديولوجية البرجوازية مكوناً كتلة تاريخية جديدة في إطار صراع طويل

ومعقد أو ما يسميه غرامشي حرب خنادق. وهي حرب ينبغي أن تتمى وتطور خلالها أشكال تنظيم ذاتي جماهيرية تكون بمثابة جنين تدمير الدولة ورفضاً لفصل السياسي عن الاقتصادي وبالتالي تنفيذاً لفلسفة جديدة. ويركز غرامشي في معظم كتاباته على تحليل القضايا السياسية والثقافية كذلك نقض الزعماء.

أعتقله النظام الفاشستي الإيطالي بزعمامة موسوليني في نوفمبر عام 1926 وأيضاً في يونيو 1928، وحكموا عليه بالسجن عشرين عاماً، وفي أغسطس 1935 نقلوه إلى عيادة خاصة بروما بسبب تدهور حالته الصحية، وتوفي في أبريل عام 1937 متأثراً بنزيف في الدماغ.

ويعد غرامشي مؤسس مفهوم "الهيمنة على الثقافة كوسيلة للإبقاء على الحكم في مجتمع رأسمالي"

- النخبة في فكر أنتوني غرامشي:

الحجة الرئيسية التي طرحها غرامشي في مقاله عن المثقفين حجة بسيطة: إن تصور «المثقفين» كقوة اجتماعية متميزة ومستقلة عن الطبقة ليس إلا خرافة، بل هم منحازون لأحدى الفرق السياسية و الاتجاهات العقائدية ألا أنهم يمثلون تكنولوجيا الحرية أي أن الفرد لا يستطيع أن ينال حريته الفكرية والتعبيرية إلا بوجود مفكرين أو مثقفين يطالون بها و يدافعون عن بؤس الضعفاء فكل الناس يمكنهم أن يكونوا مثقفين، بمعنى أن لديهم ذكاء، وأنهم يستخدمونه. ولكنهم ليسوا جميعاً مثقفين من حيث الوظيفة الاجتماعية. وينقسم المثقفون من الناحية الوظيفية إلى جماعتين: فهناك أولاً المثقفون المحترفون «التقليديون» "traditionnel intellectuels" كالأدباء، والعلماء، وغيرهم، الذين تحيط بهم هالة من الحياد بين الطبقات، تخفي وضعهم الحقيقي الناشئ في النهاية عن علاقاتهم الطبقيّة السابقة والراهنة، كما تخفي تعلقهم بالتكوينات الطبقيّة التاريخية المختلفة. وهناك ثانياً المثقفون «العضويون» "intellectuels" "organique" ذلك العنصر المفكر والمنظم في طبقة ففي كلام غرامشي أن المثقف لا بد منه بمعنى أن يقابل المثقف أمام أهمية استخدام التكنولوجيا في مجتمع صناعي متقدم وهذا تشبيه لم يستخدم من قبل أي مفكر... و حاول غرامشي أن يربط بين معرفة المثقف و ثقافته بالقوة المنتفذة التي يمتلكها في المجتمع المعاصر....إلا أن الثقافة والنفوذ غير كافيين للمثقف ألا إذا شكل طبقة اجتماعية تجمع المثقفين حينئذ تكون للمثقف فعالية وتأثير قوي داخل المجتمع ، ليس هذا فحسب بل ان صراعاتها لا تكون من خلال المواقع الاقتصادية بل من خلال حرب سجالية

لبقة مبنية على الدهاء و الفكر تلعب "الجبهة الثقافية" دوراً مهيمناً. ونلاحظ في هذا السياق كثرة استعارات غرامشي اللغوية من القاموس العسكري [العلم العسكري] كالحرب والموقع والجبهة ، وحرب الحركة الخ...

ففي تحديده للمثقف ينبه غرامشي إلى أن التحديد ليس بذاته ، ليس في الطبيعة الجوهرية لأنشطة المثقفين، التي هي النشاط الذهني . بل في نسق العلاقات الاجتماعية التي تجري فيه هذه الأنشطة . يكتب غرامشي : "يبدو لنا أكثر الأخطاء شيوعاً، هو البحث عن معيار التمييز في الطبيعة الجوهرية لأنشطة المثقفين ، بدلاً من البحث عنه في مجمل نسق العلاقات الذي تجري فيه هذه الأنشطة" ¹ [فالعامل أو البروليتاريا لا يميز بأنه يقوم بجهد أو عمل عضلي "وإنما في أدائه لهذا العمل في ظل ظروف معينة وعلاقات اجتماعية محددة" [أي في موقعه في هذا العمل الاجتماعي الاقتصادي] ² . المثقف يتميز بوظيفته كمتقف في مجتمع محدد . كل عمل مهما كان بدائياً فيه إلى حد ما شيء من النشاط الذهني. ولكن ليس كل نشاط ذهني يقوم بوظيفة المثقف . يقول غرامشي : "كل الناس "مثقفون" ، لكن ليس لكل إنسان وظيفة المثقف في المجتمع" ³ . ويضيف : "عندما نميز بين المثقفين وغير المثقفين فإننا في الحقيقة نشير فقط إلى الوظيفة الاجتماعية المباشرة" ⁴ . إذا كان بإمكاننا الحديث عن المثقفين، فإنه لا يمكننا الحديث عن غير المثقفين لأنه لا وجود لهم. "لم يعد أسلوب المثقف الجديد يعتمد على البلاغة التي هي محرك خارجي مؤقت للمشاعر والعواطف ، بل أصبح يعتمد على المشاركة الإيجابية في الحياة العملية كبان ومنظم لها" ⁵ [فمن التكنيك كعمل ينتقل الإنسان إلى التكنيك كعلم ومن ثم إلى المفهوم الإنساني للتاريخ. هنا ينتقل الإنسان من النقابية والمهنية- التقنية إلى السياسة والقيادة حيث يغدو متخصصاً وقيادياً.. لقد تجاوزنا حقل العمل والتخصص التقني إلى فلسفة العمل وإلى سياسة العمل. تجاوزنا التكنوقراطي إلى السياسي . والتجاوز هنا انتقال مع احتفاظ ، أو تضمن . نقرأ في كراسات السجن : "إن أهم ما يميز أية جماعة تتجه إلى السيطرة ، هو نضالها من أجل استيعاب المثقفين التقليديين وإخضاعهم أيديولوجياً. غير أن هذا

¹ كراسات السجن ص 24-25

² كراسات السجن ص 25

³ كراسات السجن ص 25

⁴ كراسات السجن ص 25

⁵ كراسات السجن ص 27-28

يتحقق على نحو أسرع وأفضل إذا ما نجحت في نفس الوقت في إعداد مثقفيها العضويين. ليست علاقة المثقفين بعالم الإنتاج علاقة مباشرة كما هو الحال بالنسبة للجماعات الاجتماعية الأساسية [البورجوازية والعمال] ، وإنما في علاقة غير مباشرة ، يتوسطها بدرجات متفاوتة نسيج المجتمع كله ، ومركب الأبنية الفوقية ، التي يعتبر المثقفون بالتحديد موظفوها¹ .

يتطلب فهم الإسهام الذي أنجزه غرامشي تحديد مستويين في الأبنية الفوقية أحدهما، ما يمكن تسميته بـ "المجتمع المدني" أو أجهزة الهيمنة في الدولة البورجوازية الحديثة [التربية والتعليم، والإعلام] ، والمستوى الثاني هو "المجتمع السياسي" أو [سلطة الدولة] . يقابل المستوى الأول وظيفة الهيمنة الاجتماعية hégémonie التي تمارسها الجماعة الحاكمة في المجتمع كله من جهة ويقابل المستوى الثاني وظيفة السيطرة المباشرة أو الأمر و[الإكراه] التي تمارسها الطبقة المسيطرة من خلال الدولة وحكم "القانون" من الجهة الأخرى وهي بالتحديد وظائف رابطة وتنظيمية.

كما يقول غرامشي² ما يحكم تعريف المثقف ليس الخصائص الجوهرية لنشاطه الذهني فحسب ، بل السياق الاجتماعي أي الوظيفة الاجتماعية لهذه الخاصية أو تلك من النشاط الفكري بغض النظر عن نسبة العمل الذهني إلى العمل العضلي المبذول. وهذا الجدل بين المستوى الوظيفي للثقافة والمستوى أخصائصي - الجوهري يذكرونا بالثنائية التي تشتمل عليها السلعة أو البضاعة في التحليل الماركسي الكلاسيكي: قيمة تبادلية وقيمة استعمالية حيث تهيمن الأولى في النظام البضائعي وخاصة الرأسمالي. ما يشير إلى هذه الهيمنة في النظام الرأسمالي هو فرط حضور السلع متزامناً مع فرط حضور الفقر والجوع وعوز الملابس والمسكن. يكتب غرامشي: "تقتضي وظيفة الهيمنة / القيادة الاجتماعية وسيطرة الدولة ، بلا شك، نوعاً من تقسيم العمل ، وبالتالي تدرجاً هرمياً للمؤهلات اللازمة لوظائف بعضها لا ينتسب في الظاهر إلى وظائف القيادة والتنظيم³ ... لقد طرأ على فئة المثقفين ، بهذا المعنى ، في العالم الحديث توسع لم يسبق له مثيل. فقد ولد النظام الديمقراطي - البيروقراطي

¹كراسات السجن ص28

²كراسات السجن ص28

³كراسات السجن ص 30

[جهازه البيروقراطي الضخم] عدداً هائلاً من الوظائف والتي لا تبررها ضرورات الإنتاج الاجتماعية ، وإن كانت تبررها الضرورات السياسية للجماعة الأساسية الحاكمة ."

تبقى النقطة الرئيسية في موضوعنا ، وهي التمييز بين المثقفين كفئة عضوية في جماعة اجتماعية أساسية والمثقفين كفئة تقليدية.¹

تظهر النماذج الأساسية للمثقفين على الشكل التالي:

- 1 بلدان ذات قاعدة صناعية قوية وبنية فوقية سياسية معقدة مع وجود caste طبقة- فئة من المثقفين التقليديين [ألمانيا، إنكلترا، إيطاليا، اليابان] تتميز هنا ألمانيا وإيطاليا بمثقفها التقليديين ذوي النزعة الكوزموبوليتانية (عولمية).
 - 2 بلدان ذات قاعدة صناعية قوية وبنية فوقية معقدة مع شبه غياب المثقفين التقليديين (أمريكا الشمالية).
 - 3 بلدان ذات قاعدة صناعية ضعيفة التطور مع وجود طبقة من المثقفين التقليديين ذوي الأملاك العقارية الكبيرة متحالفين مع كبار ملاك الأرض مع كنيسة منقسمة إلى قسمين قسم متحالف مع الطبقة العسكرية الطفيلية وقسم متعاطف مع المثقفين العضويين للطبقات المتظلمة. وهو حال بلدان أمريكا اللاتينية.
 - 4 قاعدة صناعية ضعيفة التطور مع طبقة من ضباط الجيش ذوي ميول "علمانية" تليفقية مع طبقة كبيرة من المثقفين الريفيين وزعماء العشائر وطبقة واسعة من المثقفين التقليديين المدنيين من رجال الدين المسلمين وغير المسلمين ، ومثقفين مهاجرين على نوعين: كوزموبوليتاني (عولمي) ، وديمقراطي. إضافة إلى وجود مثقفين اشتراكيين من النمط البيروقراطي ملحقين بسلطة الدولة البورجوازية الطرفية. ومثقفين ليبراليين- ديمقراطيين تركوا حقلهم الاشتراكي بحكم نفورهم من الاشتراكية البيروقراطية. وهذا هو حال الأقطار العربية.
- ومن هنا تظهر جليا مخالفة غرامشي للاتجاه الماركسي التقليدي الذي طغت عليه النزعة الاقتصادية الاختزالية و هذا ما يبرر لنا النظرية السوسيولوجية الغرامشية عن المثقفين التي تظهر فيها جليا المدخل المنهجي الابستمولوجي ، هذا فقط بالنسبة للجانب المنهجي ، لكن التساؤل الأهم هو: كيف تتشكل النخبة المثقفة وفق المنظور السوسيولوجي و التاريخي الغرامشي؟ هل المثقفون

¹كراسات السحن ، القسم الأول قضايا التاريخ و الثقافة

جماعة اجتماعية متميزة ومستقلة، أم أن لكل جماعة اجتماعية فئة المثقفين المتخصصة الخاصة بها؟ إنها قضية معقدة، نظرا لتنوع الأشكال التي اتخذتها حتى الآن العملية التاريخية لتكوين مختلف فئات المثقفين، وأهمها شكلان:

هذه التساؤلات أجابنا عليها غرامشي في دفاتر السجن فيقول :

كل جماعة اجتماعية ولدت على أساس أرضية أصلية لوظيفة أساسية في عالم الإنتاج الاقتصادي، تختلف معها عضويا في الوقت ذاته الذي توجد فيه شريحة أو شرائح عدة من المثقفين الذين يمنحونها انسجامها ووعيها بوظيفتها الخاصة لا في المجال الاقتصادي فحسب، بل في المجالات الأخرى ، هكذا يمكن أن نلاحظ أن المثقفين العضوين الذين تخلقهم كل طبقة جديدة معها و تصوغهم في مجرى تطورها التدرجي، هم في أغلب الأحيان لهم تخصصات في المظاهر الجزئية للنشاط أو النموذج الاجتماعي الجديد الذي خلقته الطبقة الجديدة.

ونشير إلى أن التحليل السوسيوي- تاريخي الذي قام به غرامشي الغرض منه أن يبرز الصفة الاستمرارية التاريخية لفئة المثقفين التي وصفها بالعضوية، و هذا يعني حسب غرامشي أننا لا يمكن أن نتصور مجتمع أو طبقة بدونها وهي مستمرة إلى الآن رغم التغيرات التي شهدتها الفضاء الاجتماعي الأكثر تعقيدا.

فبعدها حدد لنا غرامشي المثقفين بموقعهم ووظائفهم في الفضاء الاجتماعي، لكن ماذا يحدث للمثقفين عندما يتغير المجتمع فينتقل من نظام إلى نظام؟ فهذا التساؤل ننتقل من التحليل السوسيولوجي إلى التحليل التاريخي أي تحديد المثقفين بموقعهم ووظائفهم في الصيرورة التاريخية أي التغيير الاجتماعي الأمر الذي يجعلنا نتوقف عند المثقف التقليدي حسب غرامشي أي أن ما يمكن اعتباره مثقفين عضويين اليوم قد يصبح مثقفين تقليديين في معرض التحولات التي تعيد صياغة المجتمع وهذا يظهر لنا منهج غرامشي في دراسته للمثقفين كان منهاجا يدمج وحدة نظرية بين مفهومي العلاقة والتغيير وهذا يظهر جليا في دراسته لعدد من التجارب التاريخية التي عكف على دراستها(ويختلف تطور المثقفين في إنجلترا كثيرا عنه في فرنسا..... وعرفت ألمانيا أيضا الظاهرة الانجليزية، وإن كانت أكثر منها تعقيدا..... وفي روسيا تتباين الملامح: فالنوران..... وفي حالة

الولايات المتحدة،..... في مسألة المثقفين في أمريكا الوسطى والجنوبية،..... وفي الهند والصين واليابان، نجد أنماطا أخرى لتكوين فئات المثقفين..... ويصل هذا الاختلاف في شرق آسيا إلى حد لا يصدق (عقل)¹ فبالفعل نظرية غرامشي عن المثقفين في نفس الوقت نظرية عن الدولة والتغيير الاجتماعي في الغرب.... وعليه اكتسبت قضية المثقفين لدى غرامشي أهمية خاصة* كما أن مسألة المثقف العضوي شكلت تجديدا جريئا داخل الفكر الماركسي فمنهجه ورؤيته الابستيمولوجية جعلته يقف على طرفي نقيض مع ماركسية عصره التي جرفها تيار الاقتصادية، كما نبه غرامشي إلى شيء مهم، ما لأهمية للمواقع الإستراتيجية حيث للمثقف العضوي دور أساسي في التغيير وهو وحده القادر على تكوين طبقة جديدة من المثقفين العضويين المرتبطين بهموم الناس وقضاياهم. إن هؤلاء المثقفون العضويون يمكنهم أن يشكلوا هيمنة بديلة عن الهيمنة الرأسمالية. ومن هنا نستطيع القول إن غرامشي هو الوحيد الذي اعتقد بأهمية المثقفين ودورهم في التغيير إذ كان يؤمن بأنهم قادرون على صنع المعجزات إذا ما التزموا بقضية الشعب الأساسية التزاما عضويا وحيويا ويكمل غرامشي قائلا: " إن البورجوازية تخشاهم وتعرف أن نفوذهم كبير ولذلك تحاول أن تشتريهم بأي شكل "

-المطلب السابع: النخبة في فكر كارل منهايم 1893-1947 Karl Mannheim

كارل مانهايم : المثقفون اللامنتمون اجتماعيا

رأينا في بداية هذه المرئية أن نستهل حديثنا بعرض مهم لراسل جاكوبي في كتابه نهاية

اليوتوبيا حيث تناول هو الآخر قضية المثقفين ودورهم في المجتمع الحديث حيث قدم في الفصل

الرابع بعنوان من اليوتوبيا إلى انحسار البصر وهو يقوم بمقارنة بين كتاب " خيانة المثقفين لجوليان

بند² الصادر سنة 1927 و كتاب مانهايم " الأيديولوجيا و اليوتوبيا".

"وإذا كان كتاب بندا قد سجل انقضاء نمط ثقافي ، فان تركيب كتاب مانهايم جاء ليبشر بالانقضاء

الجديد : المحترف فيما وراء الأيديولوجيات واليوتوبيات، ان مانهايم لم يقتصر هذا التحول إلى مثقف

¹ في سوسيولوجيا الثقافة والمثقفين : ص 169

* Julien Benda né le [26 décembre 1867](#) à [Paris](#) et mort le [7 juin 1956](#) (à 88 ans) à [Fontenay-aux-Roses](#), est un critique, [philosophe](#) et [écrivain](#) français, principalement connu pour son ouvrage de 1927, [La Trahison des Clercs](#) [fr.wikipedia.org/wiki/Julien Benda](http://fr.wikipedia.org/wiki/Julien_Benda)

² راسل جاكوبي ، نهاية اليوتوبيا : ، ترجمة فاروق عبد القادر ، مطابع الكويت 2001 ص 129

ما بعد اليوتوبيا في كتاباته فقط ، بل إن حياته الخاصة أيضا عبرت عن هذه التحولات التي إحتفل بها وتحسر عليها مع، كان ينتمي الى جيل من الفلاسفة والشعراء والماركسيين في المجر، مثل : جورج لوكاش ،آرنولد هاوزن ، الدين تجمعوا في بودابست مع نهاية الحرب العالمية الأولى ، يبحثون عن "ثقافة جديدة" تعالج أدواء المجتمع، لم تنته بعد تلك الأيام العنيفة التي تفككت فيها الإمبراطوريات واندلعت الثورات ،أصبح مانهايم لاجئا مرتين: مرة من المجر والثانية من ألمانيا وانتهت حياته العلمية أستاذا للتعليم في جامعة لندن، يدعوا إلى التخطيط الديمقراطي، في الأيديولوجيا و اليوتوبيا تبرير الشكوك حول اليوتوبيا التي أصبحت من ذلك الحين عملة متداولة ، دعا مانهايم إلى اقتراب علمي من الأيديولوجيا و السياسة". إن هذه المداخلة لراسل جاكوبي¹ قد بينت مجموعة من الأفكار حول نظرية مانهايم حول النخبة المثقفة في تحديد المثقف ودوره و مكانته في المجتمع الحديث وتحديد المثقفين في ظل النظرية المنهايمية، هو كل متماسك تماسكا منطقيا صارما يصعب افتكاكه عن بعضه البعض من شدة تماسكه، لكن سنحاول فهم نظرية المثقفين لدى مانهايم، لكن لا بأس أن نشير بأن دلالتها تكمن في علاقتها الوظيفية بالنظرية السوسيولوجية المنهايمية ككل، كذلك ما سمح لمانهايم بضرورة بلورة مشروع العلمى الداعي إلى أهمية علم الاجتماع المعرفة هو : رفضه القاطع للحتمية الماركسية القائلة بالضرورة التاريخية جعل من البروليتاريا طبقة كونية، تعيش وضعا اجتماعيا تاريخيا يفرض أن يكون وعيها كونيا بالضرورة واعتبر مانهايم هذه الفكرة إلا شكلا من أشكال الطوباوية الغير علمية والغير الموضوعية،وثانيا تأكيد إمكانية التوفيق بين الأفكار والاتجاهات المختلفة في المجتمع الحديث بفضل وجود جماعة المثقفين الغير المرتبطين اجتماعيا ، فأطروحته هذه هي نتاج منطقي لنظرية مانهايم في علم الاجتماع المعرفة فهو يرى بعدم وجود اتفاق في النظر إلى المثقفين واعتبارهم أعضاء في طبقة اجتماعية تمثل وتعكس شريحتهم ، ونشير مرة أخرى لمنهايم وهو يبلور نظريته حول المعرفة و كيفية تشكلها و إعادة تشكلها دون الخوض طبعا في تفاصيل نظرية المعرفة المنهايمية ، حيث نجده يتحدث عن النخبة المثقفة التي يحددها بالجانب الثقافي و ليس الجانب

*IDÉOLOGIE ET UTOPIE(Une introduction à la sociologie de la connaissanceTraduit sur l'édition anglaise par Pauline Rollet.Un édition électronique réalisée à partir du livre de Karl Mannheim (1929), Idéologie et utopie(Une introduction à laSociologie de la connaissance. Paris : Librairie Marcel Rivière etCie, 1956, 233 pages. Collection : Petite bibliothèque sociologiqueInternationale. Série B : Les classiques de la sociologi

¹ في سوسيولوجيا الثقافة و المثقفين ص101

الاقتصادي و لا الوضع الاجتماعي فما يجعل المثقف مثقفا هو تكوينه الثقافي و الفكري و قد يكون في أي طبقة اجتماعية مهما كان تصنيفها. و نلاحظ اهتمام مانهايم بطبقة المثقفين من خلال الأيديولوجيا و اليوتوبيا " Idéologie et utopie ¹ كتابه المهم"

La Sociologie de la Connaissance :

S'intéresse aux personnes qui sont les porteurs de l'activité intellectuelle, À savoir les « intellectuels ». Dans toute société il y a des individus dont la Fonction spéciale est. D'accumuler, préserver, reformuler. et répandre l'héritage Intellectuel du groupe. La composition de ces groupes, leur dérivation sociale Et la méthode suivant laquelle ils sont recrutés, leur organisation, leur affiliation De classe, les récompenses et le prestige qui leur échoient, leur Participation à d'autres sphères de la vie sociale, constituent quelque sunes Des questions les plus cruciales auxquelles la Sociologie de la Connaissance Cherche des réponses. La manière dont ces facteurs s'expriment dans ²et Produits de l'activité intellectuelle fournit le thème central de toutes les études Qui sont poursuivies au nom de la sociologie de la connaissance Dans Idéologie et Utopie, le Professeur Mannheim ne présente pas seulement L'esquisse d'une nouvelle discipline qui promet de donner une compréhension Nouvelle et plus profonde de la vie sociale : il offre aussi une clarification Très nécessaire de quelques-uns des problèmes moraux majeurs de ce Temps. C'est avec l'espoir qu'il apportera sa contribution aux problèmes qui se Posent aux intellectuels que le présent ouvrage a été traduit.²¹

علم اجتماع المعرفة يهتم بالأفراد الذين هم أصحاب النشاط الفكري وهم "المثقفين" ، في كل مجتمع هناك الأفراد الذين لديهم وظيفة خاصة للحفاظ وإعادة الإنتاج و نشر التراث الفكري للجماعة و المشاركة في مجالات أخرى من الحياة الاجتماعية ، ومن بين القضايا التي يبحث فيها علم الاجتماع المعرفة ويحاول تقديم إجابات عنها هو كيف يتم إنتاج هذه العوامل في منتجات النشاط الفكري... كما يقدم توضيحا لبعض القضايا الأخلاقية في هذا العصر منها التي تمس و تواجه المثقفين.³ وكما نلاحظ في كتابه كذلك "الإنسان والمجتمع في عصر يعاد بنائه 1935 و تشریح زماننا 1950 يضع مسألة النخب في معرض البحث في مسألة المثقفين.

إذن رأى في كتابه الأول أن: " صياغة السياسة مهمة النخب ولكن ذلك لا يعني أن المجتمع ليس ديمقراطيا... ففي مجتمع ديمقراطي يمكن دوما للمحكومين أن يتحركوا من أجل تغيير حكاهم

¹ نفس المرجع ص20

² ترجمة للنص الأصلي ص20-21ص إلى اللغة العربية لمقدم هذا الكتاب Pauline Rollet

³ إشكالية تجديد النخب بالمغرب [www.aljabriabed.net/n81_01zenaddine.\(1\).htm](http://www.aljabriabed.net/n81_01zenaddine.(1).htm)

أو إجبارهم على اتخاذ قرارات تكون لفائدة الأغلبية...إننا نفترض مصادرة أن ما يميز الديمقراطية ليس غياب كل شرائح النخب بل ظهور نمط جديد لانتقائها وتمثل ذاتي جديد تبنيه لنفسها...إن ما يتغير على الأخص في سياق الديمقراطية هو المسافة الفاصلة بين النخبة والجمهور وبالإضافة إلى أنه ميز بين نخب القيادة والتنظيم والنخب المنبثة في المجتمع و التي تباشر المسائل الروحية والثقافية والأخلاقية فإنه صنف النخب صنفين: تلك التي تسعى إلى إدماج العدد الأكبر من الناس في جسم اجتماعي واحد والأخرى التي تسعى إلى إظهار القوى النفسية التي لا يتمكن المجتمع من الوصول إلى قاعها. ولكن ظهور المجتمع الجماهيري يدفع في اتجاه تحولات عميقة تمس النخب ومنها أن هذه تتكاثر ويتناقص احتكارها للإبداع الثقافي وتحتل آليات الانتقاء داخلها وذلك بفعل تفشي " الديمقراطية" بحيث تفتتح على الطبقات الوسيطة والبرجوازية الصغيرة، وهو ما يفسح في المجال أمام مصير كوارثي ثقافيا.¹

يتحدد المثقف أولا و قبل كل شيء بوعيه و تربيته التي تجمع في نسيجها بين المثقفين بين المتباين من أساليب التفكير ومنظورات العالم المتناقض المختلف من التيارات و المذاهب ومن ثم إذا نظرنا إلى كل مثقف من زاوية نظر مكانته الاجتماعية ، فإننا نحصل على فئات متباينة من المثقفين فهم لا يشكلون طبقة اجتماعية تتحدد بموقعها المباشر في الإنتاج المادي وبوعيتها الطبقي، على العكس تماما مما نراه ماثلا في حاجة الفاعلين الذين يساهمون مباشرة في عملية الإنتاج الاقتصادي كالرأس ماليين أو العمال مثلا غير أننا نظرنا إلى أي مثقف من زاوية ثقافية ووعيه فإننا نجد أنفسنا أمام جماعة متجانسة نسبيا في جماعة المثقفين هي جماعة من المثقفين التي يضعف فيها أثر الفوارق الناجمة من لانتماءات الطبقيّة، وان ما يشكل فريدة المجتمع الحديث في نظر منهايم طبعا هو مقارنته بالمجتمعات القديمة أن النشاط الثقافي فيه ليس حكرا على طائفة اجتماعية منظمة تنظيما تراتبيا مغلقا.

هؤلاء هم المثقفون الذين يعتبرهم منهايم جماعة لا طبقية نسبيا تتأرجح في مرتبة الوسط بين طبقات المجتمع الحديث من أن تشكل طبقة، هي لم تلقي مرساتها بعد و تتكون من رواسب الطبقات المختلفة وأوضاع الحياة الاجتماعية، لكن ومع ذلك يرى منهايم أن فئة المثقفين متحررون من أي

¹ في سوسيولوجيا الثقافة والمثقفين ، مرجع سابق، ص109

مصلحة طبقية أو حزبية التي يشغلها المثقفون في الفضاء الاجتماعي الحديث والتي تلقت فيها المصالح الطبقية المتناقضة كلها وتتجمع في إطارها كل أساليب الفكر والأيدولوجيات هي التي تؤهل المثقفين موضوعيا بالإضافة إلى عامل التكوين الثقافي لكي يقوموا بعملية التركيب المنطقي لأساليب التفكير للطبقات كلها ويوفقوا بينها، فقد حان الوقت يقول منهايم بظهور هؤلاء المثقفين الأحرار، فوحدهم القادرون على التطلع الشامل إلى الواقع الاجتماعي التاريخي من منظور كلي لا طبقي، ولا ضير في أن نوضح بأن هذا ما أدى منهايم إلى تأسيس لعلم الاجتماع المعرفة بوصفها المعرفة الموضوعية التي تمكن البشر من إدارة شؤونهم إدارة عقلانية تعمل على اندماج المجتمع بدل انهياره، وبهذا المعنى حسب منهايم يصبح المثقفون في المجتمع الحديث، حراسا للبشرية المعاصرة ينيرون طريقها الذي تحجبه الأيدولوجيات المختلفة والأحزاب ذات الرؤى الضيقة و المصالح الأنانية¹ لكن التساؤل الذي نطرحه على منهايم هو: متى يستطيع المثقفون القيام بهذا الدور الذي يؤهلهم له موقعهم الواسطي الطبقي اللامنتمي اجتماعي في المجتمع المعاصر؟

يجيب منهايم المتحررون من الروابط الاجتماعية، وعليه يلتحم كل مثقف بالطبقة التي اختار الانحياز إليها و المساهمة في توجيهها ونضالها، وعليه يجب على المثقفين - حسب منهايم - أن يعوا موقعهم في المجتمع الحديث بوصفهم جماعة لا طبقية يقع على عاتقها القيام بوظيفة التركيب المنطقي الموحد لكل منظورات وأساليب التفكير للطبقات الأخرى فهم - المثقفون - يستوجب عليهم أن يقوموا بوظيفة التركيب والتوفيق بين الطبقات خدمة للمجتمع واندماجه في زمن لا يتوقف التمايز الاجتماعي عن توزيع و إعادة توزيع ذلك المجتمع إلى طبقات عديدة تتجدد باستمرار.²

بعد هذه العرض الوجيز للنظرية المنهايمية - المثقفين اللامنتمين - اجتماعيا تتناقض مع المسلمة الأولى ل سوسيولوجية منهايم نفسه التي تؤكد المعرفة باعتبارها انشراطا اجتماعيا إلا تعبيراً عن وضعية يهود « Joseph GABEL³ » إن هذه النظرية ليست في رأي أوروبا الشرقية الذين كانوا يعانون التهميش، جعلهم يبدون كما لو كانوا من دون ارتباطات و لا جذور في مجتمعاتهم

¹ نفس المرجع ص111

² Joseph Gabel (Hongrie, 1912-2004) est un [sociologue](#) et un [philosophe](#) d'origine hongrois

³ ميشيل فوكو ar.wikipedia.org/wiki

و في رأي بورديو إلا تمجيدا ذاتيا تمارسه فئة اجتماعية - المثقفين - على نفسها معتبرا إياها أيدولوجيا مهنية للمثقفين.

-المطلب الثامن النخبة في فكر ميشال فوكو " المثقف الخصوصي "

ميشال فوكو (1926 - 1984) (Michel Foucault) فيلسوف فرنسي، يعتبر من أهم فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين، تأثر بالبنويين ودرس وحلل تاريخ الجنون في كتابه "تاريخ الجنون"، وعالج مواضيع مثل الإجرام والعقوبات والممارسات الاجتماعية في السجن. ابتكر مصطلح "أركيولوجية المعرفة". أُرّخ للجنس أيضاً وصولاً إلى معالجاته الجدلالية المعاصرة كما في "تاريخ الجنسية".¹ خلال الخمسينيات عمل في مستشفى للأمراض النفسية، وفي عام 1955 درس في جامعة أوبسالا في السويد، كان أول كتاب مهم له بعنوان الجنون واللاعقل و نشره عام 1961 بعد أن جرى تقديمه كأطروحة لشهادة الدكتوراه الدولة واشرف عليه جورج كانغيلام عام 1959 توفي فوكو اثر إصابة بمرض متعلق باللايدز عام 1984²

-المثقف الخصوصي:

يعتبر ميشال فوكو أحد أهم المفكرين المؤثرين خلال القرن العشرين، كان لأعماله أثر كبير في مجالات عدة منها علم الجريمة، الدراسات الثقافية، النظرية السياسية، والطب النفسي وكذا علم الاجتماع، وكانت دراسات فوكو قائمة على عدة تخصصات مختلفة والمتضمنة قضايا مثل الجنون، الطب، المعرفة، العقاب، والمؤسسات والجنسانية قد أثر بشدة في تناول علماء الاجتماع الخاليين لمثل هذه القضايا وبالرغم من أن فوكو لم يكن عالم اجتماع، إلا أن أعماله المحورية تناولت قضايا مهمة ومحورية لعلم الاجتماع، ويمكن أن يكون أفضل وصف له هو أنه مؤرخ النظم الفكرية، وهو اللقب الذي اختاره بنفسه.³

أما عن حديثه حول المثقف فلا يمكن لنا أن نحيط بمفهوم المثقف الخصوصي ولا بشروط تكونه في خطاب فوكو إلا في ضوء الصراع الثقافي الذي كان جاريا في الفضاء الفرنسي بعد الحرب

¹ جون ليشته: خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، ترجمة د فادن البستاني، مركز الدراسات الوحدة العربية، 2008، ص231

² خمسون عالم اجتماع أساسيا، مرجع سابق ص290

³ في سوسيولوجيا الثقافة والمثقفين ص244

العالمية الثانية وهو الاتجاه الموضوعي ذو النزعة العلمية من جهة، والاتجاه العقلاني من جهة أخرى، دون أن ننس الاتجاه الذاتي من جهة أخرى ، وكان سارتر يمثل سلطة مرجعية في الحقل الفرنسي لا يمكن لأي والـج إليه إلا أن يتعاط معها سلبا أو إيجابا ، إذا أراد أن يؤسس لنفسه موقفا فيه لذا نجد فوكو مثل -بورديو- ينتج و يؤسس لنفسه مفهومه عن المثقف الخصوصي ضد حقل سارتر الكوني تقابلا ضديا و يظهر هذه الموقف في نصوص فوكو "المثقف و السلطة" L'intellectuel et le pouvoir De L'intellectuel والوظيفة الأساسية للمثقف La fonction politique ، وهما معا يتكاملان في كتاب "تاريخ الجنسانية" التي حددها في إطارها من زاوية جينياالوجية دقيقة - موقع المثقف الخصوصي ووظيفته في المجتمع المعاصر بديلا لا بد منه للمثقف الكوني الذي باتت رياح الأزمة المعاصرة في الثالث الأخير من القرن العشرين إلا أن تقذف به في غياهب النسيان ويتابع فوكو في تبرير ظهور المثقف الخصوصي بثلاث عناصر مهمة وهي أولا : الاستقلال النسبي للحقل الثقافي الذي اخترقته الحركات الاجتماعية في نهاية الستينات وبداية السبعينات، طارحة أسئلة عليه على نحو يجعلها تندرج في سياق تاريخه و إشكالاته و في مقدمة تلك الأسئلة سؤال المثقف مكانته ، دوره ، علاقته بالسلطة وظيفته... الخ ، و ثانيا المجال السياسي واستقلاله هو الآخر والوضع الاجتماعي وما تخض عنه من الصراعات وأسئلة وممارسات جديدة سيساهم بدوره في بلورة مفهوم المثقف الخصوصي لدى فوكو بل إن المفهوم الذي تبلور هو الآخر في خضم الصراع السياسي والحقوقي في مجتمع ديمقراطي يؤدي فيه الرأي العام دورا مهما الذي تجسد في شكل تنظيمات ومنظمات حقوقية التي ظهرت في فرنسا 1971-1972- "في هذه الأثناء شكل فوكو في فبراير 1971 مجموعة استخبارات حول المعتقلات و لم تقف إلى هذا الحد، بل سرعان ما انتقلت إلى قطاعات أخرى كقطاع الصحة أسسه الأطباء والممرضون، و قطاع المناجم.... الخ " هذه هي الشروط حسب فوكو التي جعلت وجه المثقف الخصوصي يظهر ويتميز ويلفت إليه الأنظار وسط هذا التدافع و السجال والصراع الذي طال المجالين الثقافي والسياسي، في السبعينات محاولا دفع وجه المثقف الكوني وقبلة المثقف العضوي، ومن هذا يظهر لنا بأن فوكو يرى بأن زمن الذي كان فيه المثقف الكوني يسمح لنفسه بأن يعطي الدروس للناس فما يتعين عليهم سوى أن يختاروا من آرائه هذا الزمن قد ولى وانقضى والحال فان ما

اكتشفه المثقفون منذ الحالة الجديدة* ، أو منذ فترة، هو أن الجماهير لم تعد في حاجة إليهم، لتعرف، لان الجماهير تعرف تماما، و بوضوح، وحتى أفضل منهم، وتقول ذلك بقوة. ولكنه يوجد نظام من السلطة يعيق ويمنع ويعرقل هذا الخطاب وهذه المعرفة. سلطة ليست فقط في الهيئات العليا للرقابة ولكنه في شبكة المجتمع بشكل عميق وحاذق ودقيق. و المثقفون أنفسهم يشكلون جزءا من نظام هذه السلطة. ودور المثقف ليس أن يتموقع "هناك إلى الأمام قليلا أو إلى الجانب شيئا ما" من اجل أن يقول الحقيقة الخرساء، عليه بالأحرى أن يصرع ويناضل ضد أشكال السلطة حيث يكون، في نفس الوقت، موضوعا وأداة: في نظام "المعرفة" و "الحقيقة" في "الوعي" و في "الخطاب". بهذا المعنى فان النظرية لا تعبر عن شيء، ولا تترجم شيئا، ولا تمارس تطبيقا معيناً، إنها ممارسة. ولكنها ممارسة محلية وجهوية، وكما تقول: ليست كلية. الصراع أو النضال ضد السلطة، النضال من اجل إظهارها، هنالك حيث لا ترى و حيث تكون أكثر مكرها ودهاء. صراع ليس من اجل "استرجاع الوعي". "فمنذ زمن بعيد أو فترة بعيدة لم يعد الوعي بوصفه معرفة مكتسبة من قبل الجماهير وبوصفه موضوعا، من اهتمام البورجوازية". من اجل إسقاط واخذ السلطة، مع، جميع الذين يصرعون من اجلها وليس بمسافة أو عن قرب من اجل توضيحها "النظرية" هي النظام المحلي أو الجهوي لهذا الصراع.¹

وفي كل الأحوال ليس المثقف وصيا على الناس ولا ضميرا لهم وعندما يشعر بواجب أن يقول قولاً ما فانه يقوله في حدود نطاق تخصصه المعرفي الذي يملكه فيه سلطة شرعية مرخصا له بها، تشهد على ذلك شهرته العلمية والمعرفية ويتضح لنا جليا حول مفهوم المثقف ودوره في هذا العصر من خلال حوار أجراه" برنارد هنري ليفي" * حينما سأل فوكو عن السلطة وعلاقتها بالمعرفة ففي ثنايا جوابه فوكو قال: أعتقد أن المثقفين إذا ما كان لهذه الفئة من وجود أو إذا ما كان لها أن تستمر في

* المقصود بذلك، أحداث مايو 1968.

¹ مجلة غير دورية فلسفية مرسلة بواسطة حوار بين ميشيل فوكو و جيل دولوز (1) الزواوي بغوره قسم الفلسفة، جامعة منتوري . قسنطينة،

الجزائر orakphalsaphiaorakphalsaphia في 2004-04-22 06:29

(وُلد في 5 نوفمبر سنة 1948 -) هو كاتب ومفكر وفيلسوف فرنسي. وكان Bernard-Henri Lévy **برنار هنري ليفي** **(بالفرنسية:** من أهم قادة حركة الفلسفة الجديدة سنة 1976. ولد ليفي لعائلة **سفاردييهودية** ثرية في **الجزائر** في 1948/11/5 في مدينة بني صاف الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر، وقد انتقلت عائلته **لياريس** بعد أشهر من ميلاده. وقد درس الفلسفة في جامعة فرنسية راقية وعلمها فيما بعد، واشتهر كأحد "الفلاسفة الجدد"، وهم جماعة انتقدت الاشتراكية بلا هوادة واعتبرتها "فاسدة أخلاقياً"، وهو ما عبر عنه في كتابه الذي ترجم لعدة لغات تحت عنوان: "البربرية بوجه إنساني و في 2011 كان من الداعمين للثورة الشعبية في ليبيا ضد معمر القذافي وكان برنارد ليفي مبعوثاً من الحكومة الفرنسية إلى مدينة بنغازي الليبية التي تحتضن الثورة وقد التقى برئيس المجلس الانتقالي مثلما التقى به وفود دول عديدة من ar.wikipedia.org/wiki/برنار_هنري_ليفي

الوجود، وهذا أمر غير أكيد، أو لعله من غير المرغوب فيه، أعتقد أن المثقفين صاروا يتخلون عن وظيفتهم النبوية القديمة، ومن هنا فأنا لا أفكر فقط، في ادعائهم التنبؤ بما سيحدث ، ولكني أفكر كذلك في وظيفة المشروع التي طالما تمنوها" هذا ما يجب فعله، هذا هو الطريق القويم، اتبعوني وفي خضم الإضراب الذي تعيشون فيه جميعا، ها أنا أدلكم على النقطة الثابتة، التي هي النقطة التي أقف فيها " إن الحكيم الإغريقي والنبي اليهودي والمشروع الروماني تمثل نماذج طالما سكنت أذهان كل من يمارسون اليوم مهنة الكلام والكتابة، واني أحلم بالمثقف الذي يحطم البديهيات والأفكار الكونية، ذلك المثقف الذي يحدد ويكشف - ضمن عطاءات الحاضر و اكرهاته- نقط الضعف، والمنافذ، وخطوط القوة، المثقف الذي ينتقل باستمرار دون أن يعرف بالضبط أين سيكون ولا ما سيفكر فيه غدا، لأنه مغرق الانتباه في الحاضر...¹ ولكن السؤال الذي نبحت له عن الإجابة دائما و نريد طرحه على مختلف المفكرين، نطرحه على فوكو: أين يقع المثقف داخل الفضاء الاجتماعي ؟ و هل له تعريف معين أو خصائص واضحة؟ وما دوره في المجتمع الحديث ؟ أما حديثه حول دور المثقف ووظيفته ، نجد إجابة ذلك في حوار له أجراه معه فرانسوا ايوالد " عندما سأله عن ماذا يجب علينا فعله ؟ * François Ewald ليس دور المثقف- يجيب فوكو- أن يقول للآخرين ما ذا يتعين عليهم فعله، و بأي حق سيفعل ذلك؟ تذكروا كل النسيب والوعود و الأوامر التي كان المثقفين يصوغونها خلال القرنين الماضيين، والتي رأينا الآن أثارها، ليس عمل المثقف أن يشكل الإرادة السياسية الآخرين، وإنما يكمن عمله في التحاليل التي يقوم بها لميادين هي ميادينه، وهي مسائله البديهيات، والمسلمات، وزعزعة العادات وطرق العمل والتفكير، كما يكمن في تبديد الأمور المألوفة المقبولة، وإعادة النظر في المؤسسات، مع المساهمة في إعادة الأشكلة التي يؤدي فيها المثقف وظيفته النوعية باعتباره مثقفا في تشكيل إرادة سياسية عليه أن يلعب فيها دوره مواطن. أما فيما يتعلق بخصوصية المثقف فقد حددها فوكو بمستويات ثلاث :

¹ ميشال فوكو ، هم الحقيقة ، ترجمة مصطفى المسناوي، منشورات الاختلاف، سلسلة بيت الحكمة ط1 ، 2006 ، ص60

* فرانسوا ايوالد ، من مواليد 29 أبريل 1946 ، هو مفكر فرنسي . فيلسوف، وهو دكتور في الآداب.مساعد سابق لميشال فوكو ، يعمل حاليا أستاذًا في المعهد الوطني للفنون والحرف اليدوية ، حيث تركز عمله على وجه الخصوص على المخاطر

السياسية http://fr.wikipedia.org/wiki/Fran%3%A7ois_Ewald

- خصوصية موقعه الطبقي في المجتمع بوصفه بورجوازيا صغيرا في خدمة الدولة، غير أن هذه الخدمة لا تلغي كونه يكتسب بفضلها مكانة إستراتيجية. في المجتمع المعاصر.
- خصوصية موقعه في مجال تخصصه المعرفي، طبيعة مجال تخصصه المعرفي، مكانته في ذلك المجال الاكراهات الاقتصادية والسياسية الناجمة في سياسة الحقيقة السائدة في بلده، تلك الاكراهات التي يتعين عليه أن يخضع لها، أو أن يقاومها تبعا للضروف والأحوال، سواء في المختبر أو الجامعة... أم غيرها من القطاعات التي يضطلع فيها المثقف بمسؤوليات تقنية و إدارية.
- خصوصية سياسة المعرفة والحقيقة التي توطر وجوده ووظائفه في المجتمعات المعاصرة وعلى هذه المستوى يمكن لموقع المثقف وكفاحه المحلي في نطاق تخصصه المعرفي أن يكون لها آثار عامة وكونية، و نشير بأن هناك من سار في نفس الخط مع فوكو - المثقف الخصوص ، وانتهاء عصر المثقف الكلي -سارتر- فوجد مثلا فرانسوا ليوتار* يقول : إن المثقفين التقليديين كانوا يدعون إلى موضوع عالمي، أما اليوم فان المثقفين لم يعودوا قادرين على التدخل في الشؤون العامة باسم العالمية، والإمكانات المتاحة هي، فقط محلية ودفاعية ويقرر عالم الاجتماع محمد صبور إن نوع المثقفين العالميين قد أصبح نادرا أو هو في الحقيقة الأمر قد انقرض يكتب العالم السياسي جيريميجينينجز إن المثقف العالمي أو المتنبئ على طريقة سارتر قد تلاشى تماما¹، و نسجل نفس الموقف عند المفكر العربي علي حرب. وفي هذا وذاك تكمن فرادة المثقف الخصوصي، مثقف المجتمعات العصرية التي أصبح فيها العلم والتقنية رأس مال حساس و سلطانا قاهرا ورهانا سياسيا يتحدد بنمط تدبير المصالح والإرادات المتضاربة فيه لا مصائر تلك المجتمعات وحدها بل مصير البشرية جمعاء.²

-المطلب التاسع: النخبة في فكر بيار بورديو

بيار بورديو (1 أغسطس 1930 - 23 يناير 2002) عالم اجتماع فرنسيو أحد أبرز المراجع العالمية في علم الاجتماع. بدأ نجمه يبرز بين المتخصصين انطلاقاً من الستينيات بعد إصداره كتاب الورثة (مع جون-كلود باسرون) وكتاب إعادة الإنتاج (مع المؤلف نفسه)، وخصوصا بعد صدور

* جان فرانسوا ليوتارد؛ 10 أغسطس 1924 -- 21 أبريل 1998) كان الفيلسوف فرنسي والمنظر الأدبي. وهو معروف للتعبير له عن ما بعد

الحدائة بعدالمؤسس المشارك لكلية الفلسفة الدولية مع جاك دريدا ، وفرانسوا شاتليه ، وجيل دولوزوأواخر1970

en.wikipedia.org/wiki/Jean-François_Lyotard

¹نخبة اليوتوبيا : راسل جاكوبي، مرجع سابق ص140

²في سوسيولوجيا الثقافة و المثقفين ص253

كتابه التمييز/التمييز في نهاية السبعينيات ؛ وازدادت شهرته في آخر حياته بخروجه في مظاهرات ووقوفه مع فئات المحتجين والمضربين. اهتم بتناول أنماط السيطرة الاجتماعية بواسطة تحليل مادي للإنتاجات الثقافية يكفل إبراز آليات إعادة الإنتاج المتعلقة بالبنى الاجتماعية، وذلك بواسطة علم اجتماعي كلي يستتفر كل العناد المنهجي المتراكم في مختلف مجالات المعرفة عبر التخصصات المتعددة.

-الحقول الاجتماعية:

يرى بورديو أن العلاقات الاجتماعية، في المجتمعات الحديثة، تنقسم إلى حقول، أي فضاءات اجتماعية أساسها نشاط معين (مثلا: الصحافة، الأدب، كرة القدم، الخ). يتنافس فيها الفاعلون لاحتلال مواقع السيطرة (مثلا، يريد الصحفي أن يشغل في أوسع وأقوى جريدة وبعدها يحاول أن يحصل على أعلى منصب في تلك الجريدة، إلخ). فعلى غرار التصور الماركسي، يبدو العالم الاجتماعي، عند بورديو، ذا طبيعة تنازعية، بيد أنه يؤكد أن التنازعات المكونة للعالم الاجتماعي تخص مختلف الحقول وليست مجرد صراع بين طبقات معينة وثابتة(مثلا، ليست بين الأغنياء والفقراء فقط، بل بين الأغنياء والأغنياء وأيضا بين الفقراء والفقراء).

-الهابتوس:

الهابتوس من المفاهيم الأساسية في العمل النظري عند بورديو. ويتحدد باعتباره نسق الاستعدادات الدائمة والقابلة للنقل التي يكتسبها الفاعل الاجتماعي من خلال وجوده في حقل اجتماعي بالعالم الاجتماعي حيث يعيش. ويترجم هذا المصطلح في العربية بلفظ التطبّع أو السجية أو السمّت. ولعل اللفظ الأخير أقرب لأداء المعنى المطلوب، من حيث إنه يدل أصلاً على الهيئة أو الحال، على الرغم من أن لفظ المَلَكَة كما استعمله بالخصوص ابن خلدون يُمكنه أداء المعنى نفسه، خصوصا أن الأمر يتعلق بمفهوم يجد جذوره في فلسفة أرسطو. ويلعب هذا المفهوم دورا مركزيا في عمل بورديو النظري، إلى جانب مفهومي الحقل والعنف الرمزي. فالفاعل الاجتماعي يكتسب، بشكل غير واع، مجموعة من الاستعدادات من خلال انغماسه في محيطه الاجتماعي تمكّنه من أن يُكَيّف عمله مع ضرورات المعيش اليومي (مثلا، يُطوّر الفلاح عادات ذهنية وسلوكية معينة يُطبّقها على كل

المشكلات التي يواجهها في وسطه). ويختلف الهابتوس باختلاف الحقول التي يكون الفاعل الاجتماعي طرفاً فيها وباختلاف الموقع الذي يحتله في مجاله الخاص.

- الانعكاسية:

ظل بورديو يؤكد أن مكتسبات البحث العلمي يجب أن تُسلط على تحليل شروط اشتغال الباحث نفسه بما هو ذات مُنتجة للمعرفة، أي لا بد من ممارسة تفكير انعكاسي على ضوء نتائج العلم، خصوصاً العلم الاجتماعي. ومن هنا تأتي ضرورة أن يقوم الباحث الاجتماعي بتحليل عمله وخطابه ونشاطه تحليلاً انعكاسياً (ذاتياً). ولعل أبرز تطبيق لهذا يوجد في كتاب الإنسان الأكاديمي الذي تناول فيه بورديو مجموع الشروط التي تُحدّد بروز واشتغال المتخصص كأستاذ جامعي أو مثقف أكاديمي. وتتمثل أهمية الانعكاسية في كونها تجعل الباحث يستعمل الاكتشافات المترتبة على ممارسته العلمية ليغزبل دوره وليكشف العوامل الناتجة عن تاريخه الشخصي التي تُشترط حاله كذات مفكرة والتي تؤثر على ممارسته العلمية وتُشوّش رؤيته للمجتمع بدون وعي منه في غالب الأحيان. ولذا يعد التحليل الانعكاسي، بما هو تحليل-اجتماعي، شرطاً لا غنى عنه لكل ممارسة علمية حقيقية.¹

وكان الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس على حق عندما رثاه قائلاً: «ما يفتنني عند بيار بورديو هي أريحية ذكائه وسخائه واستعداده الدائم لخوض المعارك الاجتماعية. وما يفتنني وسيظل كذلك هي قدرته على التحليل العميق كباحث وكأكاديمي والتي لا تمنعه من أن يتحول فجأة إلى مثقف إنساني من الطراز القديم بحيث لا يرضى بأن يكون شاهداً على الحدث فاعلاً فيه».²

- النخبة في فكر بيار بورديو Pierre Bourdieu

يعتبر عالم الاجتماع الفرنسي بيار بورديو أهم مفكر تمكن من دراسة المثقفين دراسة سوسيولوجية موضوعية تحدد أوضاعهم الاجتماعية، و تموضع أفكارهم ورهاناتهم، كما تكشف عن أوهامهم وصراعاتهم. عبر مسار أكاديمي امتد لأكثر من أربعة عقود، لم يهاجر بورديو حقل الاهتمام بالمثقفين كما لم يهاجر اهتمامهم بحقول أخرى كان أولها منذ نهاية الخمسينات من القرن العشرين

¹ بيار_بورديو/ar.wikipedia.org/wiki/

² الشرق الأوسط /جريدة العرب الدولية السبت 10 محرم 1423 هـ 23 مارس 2002 العدد 8516

مجتمع الفلاحين بالجزائر، أما آخرها مع نهاية القرن فتمثل في حقل "التلفزيون" وحقل "الهيمنة الذكورية"؛ هذا مرورا بحقول متنوعة كالتربية والتعليم، الفن والإبداع، قضايا ومناهج علم الاجتماع... الخ. هدم بورديو قلعة حصينة ظل المثقفون يتسترون وراء أسوارها وهي قلعة "نخبو يتهم" وكونهم أهل فكر ومعرفة يجعلهم بعيدين عن كل تحليل نقدي وبمنأى عن كل دراسة موضوعية. كشف بورديو في كتابيه "الإنسان الأكاديمي" (1984) و"تبلد الدولة" (1989) حقيقة المثقفين باعتبارهم فئة ترتبط بممارسة اجتماعية موضوعية لها مصالح، رهانات وأفكار خاصة بها، كما يظهر لنا من خلال العنوان الإنسان الأكاديمي إشارة إلى أن دراسة المثقفين والأكاديميين قد أصبحت في حد ذاته مجالاً أو مجالاً فرعياً للبحث العلمي حيث نجده مجسداً بدقة في كتابه -أسباب عملية إعادة النظر بالفلسفة، حيث ركز على الثقافة والمثقفين، وبلور أدوات معرفتهم والتعرف إليه، فالمثقفون عنده ليسوا شريحة أعلى¹ وأرقى من الناس لأنهم يتمتعون بالعلم والمعرفة أو باعتبارهم يعون ما يجهله الآخرون.... فهم عنده فاعلون في الثقافة الاجتماعية التي ينتجها التاريخ الاجتماعي في مجتمع ما - فمكانة المثقفين ودورهم و تأثيرهم يمكن أن تكون موضوعات للتشريح والرسم البياني ويقلب بورديو الموائد، على المثقف الأكاديمي.²

ويقول بورديو في كتابه "قضايا في السوسيولوجيا" (1980) «وضعت داخل اللعبة ما يوجد خارج اللعبة: فالمثقفون يتفوقون دائماً على وضع لعبهم ورهاناتهم خارج كل لعب» هكذا ينقشع الوهم عن المثقفين بتجسيدهم لامتياز ثقافي واجتماعي فريد من نوعه، ويصبحون كمحطلين في وضعية قابلة للتحليل لإجلاء ما يعتدل في مطبخهم من صراعات، رهانات، مصالح وأوهام، إذ «تمنح سوسيولوجيا المثقفين على الأقل إمكانية حرية معينة: فأولئك الذين يقدمون وهما بأنهم يتحكمون في عصرهم يتأكد أنه هو المتحكم فيهم، والمؤثر عليهم بشكل مرعب. إذ يختفون باختفائه، تقدم السوسيولوجيا فرصة للقطع مع الانبهار وفضح علاقة المالك_ الممتلك (...). هكذا إذن يعمل بورديو على "الفضح السوسيولوجي" للمثقفين، وهو فضح ارتباط ارتباطاً عضوياً بموضوعة ممارسات المثقفين وخطاباتهم_ كجزء من الممارسة الاجتماعية الموضوعية_ موضوعة سوسيولوجية لم تعتمد العنف

¹ بيير بورديو، أسباب عملية إعادة النظر بالفلسفة ترجمة أنور مغيث، دار الأزمنة الحديثة، ط1 1998، ص 06

² نهاية اليوتوبيا مرجع سابق ص 139

الخطابي إزاءهم، ولم تسلك مسلك التجريح أو هدم البيت الداخلي بنزعة سادية_استعلائية أو نزعة مازوشية_تدميرية للذات. لذا ورغم المسار الأكاديمي الغني والمتنوع الذي اجتريه بورديو لنفسه كمفكر عالمي (تحول إلى مؤسسة ثقافية وسلطة فكرية) فهو لم يهجر الدائرة التقليدية لما ينبغي للمثقف تأديته من دور ووظيفة؛ ولم ينزو في برج العاجي، بل والذهبي الذي منحته إياه مسيرة تراكم علمي زواج بين السبر الميداني المتنوع التقنيات المنهجية والتركييب النظري المتعدد المقاربات السوسيولوجية، بالعكس فقد التصق بورديو بالشارع وجسد نموذج "المثقف الملتزم" أو نموذج "المثقف العضوي" (غرامشي)، إذ كان في طليعة الحركات الاحتجاجية بفرنسا سنة 1995، مؤازرا لحركات المهتمشين والمعطلين سنة 1998، ناقدا التيار الجارف للعولمة الذي يهدد الذوق الجميل والحكم الموضوعي الرصين (كتابه "ضد النار" Contre_ Feux الصادر سنة 1998)؛ كاشفا عن إيديولوجيا الإعلام والاتصال والاستبداد الذي يمارسه التلفزيون (كتابه "حول التلفزيون" سنة 1997)*.

بورديو الذي كانت له حيازة سلطة ثقافية كبرى، نزل إلى الشارع، وأغضب السياسيين كما أغضب فئة غالبية من المثقفين التي نظرت لتدخله الاجتماعي باعتباره تدخلا سياسيا لا تدخلا ثقافيا، والحال أن بورديو ورغم تعريته السوسيولوجية لوضعية المثقفين، فهو لم يدفع بهذه التعرية صوب دوائر الصمت والاستقالة وتشجيع المثقف نحو منواه الأخير كما يفعل مثقفونا العرب اليوم؛ بل هو فتح النار على السادة الجدد للعولمة متمثلين في أرباب الشركات الكبرى والقادة السياسيين، ومالكي المقاولات الإعلامية النافذة. كتب فاضحا النزعة الميركنتيلية للسادة الجدد، ناقدا نزعة التبضيع الثقافي التي اجتاحت حقول الإعلام والثقافة والاتصال وذلك في مداخلته الشهيرة بتاريخ 11 أكتوبر 1999 أمام "المجلس العالمي لمتحف التلفزيون والراديو، كما دعا في آخر مقال صدر له بعنوان "من أجل معرفة ملتزمة" إلى ضرورة تشجيع خلق "حركة اجتماعية أوربية" مضادة للعولمة وذلك بحضور طلائعي للمثقف المناضل وفعالية ميدانية للحركات النقابية التي عليها تجاوز عوائقها السياسية، التنظيمية، الفكرية وحتى الأيديولوجية، إلا أنه فئة من المثقفين اعتبرت تدخلات بورديو هذه سياسية

* محمد سلام شكري، مقال بعنوان من أجل تجديد التزام المثقفين..، في 13 مايو 2011 الساعة: 16:31

ولد محمد شكري في سنة 1935م في بني شيكر شمال المغرب، توفي في 15 نوفمبر سنة 2003 بالرباط

لا تحسب ولا تصنف ضمن التدخل الثقافي، ونحن هنا ليس بدورنا إعطاء حكم أو الميل إلى جهة معينة، لكن بينا فقط بعض المآخذ التي سجلت ضد بورديو .

ومرة أخرى نعود إلى نظرية بورديو حول المثقفين ، فهو اهتم كثيرا بحقل الثقافة ، بعد أن كان قد اهتم في دراسته بالجزائر حول الوعي السياسي وأسس الصراعات السياسية ،فليس لكونه منح الثقافة أولوية أنطولوجية جاعلا منها بذلك العامل المفضل لتفسير الظواهر الاجتماعية ، بل لكونه انتبه -مدعيا في ذلك في إحدى مؤلفاته حول « QUESTION DE SOCIOLOGIE » السوسيولوجية بأن ميدان الثقافة ظل مهملا، حتى أولئك الذين كانوا يتحدثون على الثقافة السائدة للطبقة السائدة ظلوا متأرجحين بحسب بورديو بين النزعة الاقتصادية مبتذلة ونزعة روحية مثالية كانت النزعتان كما لو كانتا تُولفان زوجا ابستيمولوجيا متكاملتا تطبق بمقتضاه النزعة المادية الاقتصادية في دراسة حركة الخبرات الثقافية، ولم يكن هذا النوع حسب بورديو أن يميظ القناع الذي كان يخفي تناقضات المثقفين¹ ولا يسمح بإلقاء الضوء على آليات صراعاتهم ومصالحهم النوعية فظل عالم المثقفين يبدو كما لو كان حقل استثنائيا لا يخضع لما تخضع الحقول الأخرى ، بل يتضح عالم المثقفين على حقيقته الواقعية الاجتماعية ، "وعلى عالم الاجتماع أن يقوم بهذه الوظيفة، أي أن يكشف القناع عن الأشياء الخفيفة هذا العمل يمكن أن يسهم في تقليل العنف الرمزي الذي يمارس في العلاقات الاجتماعية² .." و يبرر بورديو دراساته للنخب ليس الهدف هو التوقف عند النقد، ولكن حتى ينتبه المثقفون إلى أن أفعالهم ومواقفهم والتزاماتهم ذاتها، خاضعة إلى ما يخضع للسلوك البشري في الحقول الاجتماعية الأخرى أي للمنفعة والمصلحة وقانون الصراع على الرغم من المظهر المخادع الذي يبدو عليه المظهر الثقافي بأنه حقل متحرر : - يقول بورديو " إن التلفزيون الذي هو أداة لتسجيل الأحداث ،أصبح أداة إلى خلق الواقع -بما فيه الثقافي - حتى تفسر الحياة الاجتماعية وتوصف بواسطة التلفزيون³ - من منطلق الرغبة والمنفعة والمصلحة والسيطرة إذ التلفزيون يفضل عددا من المفكرين -السريعين -Fast-thinkers الذين يقدمون غذاء ثقافيا على السريع Fast-Food

¹ في سوسيولوجيا الثقافة و المثقفين مرجع سابق ص 255

² بيير بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ترجمة ، درويش الحلوجي ، دار كنعان ، ط1، 2004 ، ص 46

³ نفس المرجع، ص56

culturel، وهو نوع من التغذية الثقافية التي إعدادها مسبقا والتي تم التفكير فيها مقدما، فذلك ليس فقط لأن من يقومون بذلك لديهم بطاقات عناوين جاهزة تتضمن الأشخاص أنفسهم دائما، وهذا أيضا جزء من الخضوع لضرورات الطوارئ،¹ ويضيف بورديو "والدليل كذلك على أن عالم المثقفين عالم نفعي عال صراع لا هوادة فيه، هو المفارقة التي تظهر من خلال المواقف التي يتخذها المثقفين كونهم يتخذون بكل سهولة ويسر مواقف تقدمية فيما يتعلق بالسياسة العامة لبلدانهم والعالم من جهة أخرى يميلون إلى اتخاذ مواقف محافظة في كل ما يتعلق بالسياسة الثقافية عموما وبالسياسة التعليمية و الجامعية على وجه الخصوص" - ولا بأس أن نشير إلى أن بورديو في كتابه "إعادة الإنتاج" اعتبر أن النسق التعليمي بما فيه الجامعي له وظيفة أيديولوجية وأن الجامعة هي آلية من آليات إعادة إنتاج البنية الثقافية للطبقة المهيمنة وهناك علاقة توافق بنيوية وظيفية بينهما،² كما أقدم بورديو منذ الستينات من القرن الماضي على أن يضع موضع اهتمام من خلال بحثه في الاقتصاد الرمزي ما اعتاد المثقفون وصفه خارج كل الأشكال الاهتمام، وهو اهتمامهم الخاص ورهاناتهم الخاصة وذلك قصد القطيعة مع هذا السلوك المتناقض الذي لا يعترف بمتناقضات المثقفين ولا بتناقضات حقلهم الثقافي باعتباره مجرد شكل آخر من أشكال التعاطي الاجتماعي، جاعلا بذلك الظواهر الثقافية خارج كل تحليل علمي، ولذلك نرى بورديو في كتابه "الرمز والسلطة" يعطي تفسيراً أو بالأحرى تبريراً يبين سبب إعادة النظر في حقل المثقفين ودراسته دراسة يتخذ القطيعة الاستيمولوجية كأول خطة منهجية له في ذلك، ويبين الغرض من دراسة حقل المثقفين وهو إرساء قواعد مفندا بذلك وهم مانهايم الذي يعتقد بوجود فئة مثقفة لا تشدها روابط ولا تربطها جذور³ ويقول بورديو في نفس الكتاب، "فإذا كنا قد ارتأينا ضرورة إعادة التفكير الجذري في سوسيولوجيا المثقفين فذلك لأنه من الصعب على المثقف، نظرا لخطورة المصالح والأغراض في هذا الميدان، أن ينفلت من المنطق الذي يتحكم في الصراع الذي ينصب فيه كل طرف من نفسه عالم اجتماع يدرس خصومه ، وإيديولوجيا يدافع عن نفسه، وذلك وفق لقوانين العماء ، والتبصر التي تتحكم في الصراعات الاجتماعية التي تدور حول الحقيقة، ومع ذلك فشريطة أن يدرك المثقف الأمور على ما هي عليه، بما يطبعها من إيقاعات وما ينتظمها من قواعد،

¹ نفس المرجع، ص69

² بيير بورديو و جان كلود باسرون ، إعادة الإنتاج، ترجمة، ماهر ترمش، المنظمة العربية للترجمة، ط1، ص269

³ بيير بورديو، الرمز والسلطة، ترجمة، عبد السلام بن عبد العالي ، دار توبقال للنشر، ط3، 2007

وما يتولد فيها من أغراض ومطامع ما يحقق من مصالح، كي يتمكن في ذات الوقت ، من التحرر منها عن طريق المسافة التي يخلقها الفهم النظري، ومن أن يكشف نفسه غارقا فيها، محتملا موقعا معيناً لأدوار خاصة مدافعا عن أغراض بعينها، وهكذا فإن الموضوعية، مهما كانت ادعاءاتها العلمية، ستظل جزئية فرعية وبالتالي خاطئة، إن هي بقيت جاهلة متجاهلة وجهة نظر التي تنطلق منها، أي إن لم تأخذ المجموع كله بعين الاعتبار، فمثل هذه الرؤية التي تنظر إلى المجموع كمجال لمواقف موضوعية يتحطم من بين العوامل الأخرى ولمحتليها، إن مثل هذه الرؤية ستمكننا من النظرة الموضوعية العلمية لمجموع المواقف الموضوعية القاصرة التي يتخذها الأعضاء أثناء صراعهم، كما ستسمح لنا بإدراكهم على ما هم عليه من استراتيجيات رمزية تسعى لأن تفرض الحقيقة الجزئية لجماعة معينة كما لو كانت حقيقة العلاقات الموضوعية بين مختلف الجماعات وفضلا عن ذلك، فإن هذه الرؤية ستمكننا من أن ندرك أن الخصوم المتأمرين، عندما يتجاهلون اللعبة التي جعلتهم يتنافسون يخفون الأساس ويغفلون الجوهر وأعني المصالح التي يجنونها من دخولهم في تلك اللعبة والتواطؤ الذي ينتج عن ذلك¹ ومن هنا تستنتج أن مبدأ الاستقلالية هو الذي يقوم عليه حقل المثقفين بقوانينه الثقافية، وعليه قسم بورديو بين نوعين من المثقفين، أولا مثقفون مزيفون أو أشباه المثقفون وذلك لأن أعمالهم ظلت تابعة لقواعد حقول أخرى ، كالسياسة أو التجارة أو الدين، ثانيا مثقفون حقيقيون ، وهم الذين يعملون على استقلال حقلهم الثقافي و يدافعون عنه من أي سلطة كانت ، وتكمل المفارقة بين الحقلين في موقف كل منهما من استقلال حقلهم العرفي الثقافي، لكن السؤال المهم في ذلك هو أين تتحدد حدود الحقل الثقافي بحسب بورديو؟ إن الحقل الثقافي يتوزع على عدة حقول فرعية متخصصة كالحقل الأدبي والحقل السوسيولوجي والحقل الفلسفي والحقل التاريخي والسيكولوجي ، بل هذه الحقول بدورها تنوزع إلى حقول أصغر منها منظمة على أساس التكوين البنوي للبنى التكوينية الكبرى، ونستنتج من هذا كله أن بورديو يحاول تأسيس فعل جماعي للمثقفين في إطار نزعة نقابية أممية شعاره يا مثقفي العالم اتحدوا، ومن جهة أخرى هي دعوة كذلك لمواجهة المروجين لأسطورة نهاية المثقفين وموت المثقفين، أي أولئك الذين يقلقهم استمرا السلطة النقدية المضادة ضد سيطرة القوى الخارجية المهيمنة السياسية منها والاقتصادية، دون أن ننسى بأن الزمن

¹ نفس المرجع ، ص14

الحاصر يتميز بميل جارف يدفع بمختلف القوى السائدة فيه وعلى رأسها القوى التكنوقراطية إلى القضاء على استقلال الحقل الثقافي - الذي يحتاج في كل مرة إلى تدعيم و إعادة الترسخ - وإلغاء قيمه و معايير إلغاء يؤدي بالمتقف إلى نهايته وعلى سلطته النقدية بالتلاشي، ولا بأس أن نشير إلى أن بورديو قد تحدث بإسهاب عن العولمة والعنصرية والفقر وغيرها من المواضيع في كتابه الضخم بأس العالم.

بعد هذا التحليل الذي قدمه بورديو للمتقف الجماعي، يظهر لنا بنوع من الطوباوية في هذه الدعوة كما نلاحظ كذلك أنه وقع فيما كان ينتقده ويحذر منه - أي المتقف الكوني سارتر وكذلك المتقف الخصوصي فوكو - وفي الأخير ألا يكون المتقف الجماعي الذي دعا إليه بورديو لتأسيسه ما هو في الحقيقة إلا خلاصة تركيبة جدلية للمتقف الخصوصي والمتقف الكوني في الآن نفسه. فالثابت أن بورديو يتفق مع فوكو من جهتين، الأولى في مفهوم ميكروفيزيائي للسلطة، وأن الفضاء الاجتماعي فضاء سلطة بامتياز و أن حقل الثقافة لا يمكن أن نفكر فيه إلا داخل حقل السلطة ، ويرجع فضل فوكو -يقول بورديو - إلى أنه أعطى ما يبذوا لي أنه الصيغة الوحيدة الدقيقة للمشروع البنيوي في مجال تحليل الأعمال الثقافية البنيوية الرمزية¹، ثانيا استحالة قيام المتقف الكوني في المجتمع التقني الحديث.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نقول بأن نظرية بورديو للمتقفين قدمت رؤية إضافية ونحن لاتهمنا بقدر منهج الدراسة المتبع لتحليل حقل المتقفين

-المطلب العاشر: النخبة المثقفة في فكر مدرسة فرانكفورت :

انه لا يمكننا الحديث حول نظريات النخبة، دون التطرق لمدرسة فرانكفورت النقدية التي مثلت بحقيقة وفعالية واقعية النخبة كفئة مؤثرة وفاعلية في المسار الإنساني، في العصر الحديث، ومازال تأثيرها إلى يومنا هذا، وهذا دليل على قوتها وفعاليتها، (و نحن حين ما نتحدث على " م فرانكفورت " لا تهمنا أفكارها بقدر ما يهمنا منهجها، تعريفها للنخبة المثقفة، خصائصها، دورها ، منهجها في التفكير").

¹أسباب عملية إعادة النظر بالفلسفة ، مرجع سابق ،ص74

وهو دليل آخر على دور النخبة الفاعلة إذا توفرت طبعاً على الإرادة الحقيقية للنضال الفكري وأن تجعل لنفسها حقلاً خاصاً تسيره بنفسها، تنتجها وتعيد إنتاجها، ومدرسة فرانكفورت وكما هو معروف مجموعة مثقفين الأكثر أهمية، رغم تأثيرها الذي ظل فترة محدودة بسبب المنفى، ولم ينشر إلا بعد اختفائها.

تعود البذور الأولى لتأسيس المدرسة إلى عام (1923)¹ حين قام (فيلكس فايل) وهو من المهتمين بشؤون الفكر والسوسيولوجيا الماركسية وبالتعاون مع (فردريك بولوك) و(ماكس هوركهايمر) وهما أيضاً من المولعين بالفكر والفلسفة الألمانية بتأسيس أكاديمية أو مؤسسة تهتم بدراسة (علم الاجتماع) منطلقاً من المنهج (الماركسي النقدي) وأطلقوا على هذه الأكاديمية اسم (معهد البحوث الاجتماعية) وكان ذلك في (الثالث من شباط عام 1923) إما الأسباب التي أدت إلى هذه الانطلاقة فهي كثيرة منها أسباب معرفية ترتبط بتكوين التجمعات والمؤسسات الثقافية والفكرية كما كان سائداً في ألمانيا حينذاك وفيها أسباب سياسية ترتبط بالفشل الذي أصاب الحركات الشيوعية واليسارية وخاصة حركة (روز الوكسمبرغ) ونهايتها المأساوية عام 1919 شكلت دفعة قوية لإعادة الاعتبار للمنهج الماركسي في الثقافة والسوسيولوجيا والنقد والممارسات المنهجية.

وكان من ابرز من التحق بالمعهد وهم يمثلون (الجيل الأول) من المدرسة:

(ماكس هوركهايمر و)ثيودور أدورنولوليفينتاالوهربرتماركيز واريك فروم وفالتر بنجامين). وبعد فترة التأسيس هذه اتسع نشاط المعهد فاخذ بالاتصال بالجامعات والمؤسسات المختلفة وعمل على إدخال مناهج جديدة كالتحليل النفسي والانثروبولوجيا ضمن حلقات المعهد ومناقشاته. لكن مسيرة المعهد لم تمر بسلام وامن ففي عام(1933) صعد (الحزب النازي) في ألمانيا إلى السلطة واستطاع السيطرة على الحياة السياسية والثقافية بنهجه الشمولي والتة العسكرية وجابه المعهد حينها معضلتين أساسيتين هما منهجه ورؤيته الماركسية أغلبية أعضائه كانوا من اليهود . وبدأت رحلة المصاعب والمتاعب فقد اضطر أغلبية أعضاء المعهد إلى السفر فتوجهوا إلى سويسرا عام 1933 واستقروا في جنيف ليعاودوا ممارسة نشاطهم الفكري والمعرفي وقامت الحكومة الألمانية بعدها بغلق المعهد

¹كتاب (أيان كريب) مرجع سابق ، ص311

ومصادرة مكتبته ومنعه من مزاولة أي نشاط داخل ألمانيا. وامتد النفوذ النازي إلى جنيف فقام أعضاء المعهد بالهجرة والسفر مرة أخرى ولكن هذه المرة إلى (الولايات المتحدة الأمريكية) وكان ذلك عام 1934 ومن هناك رجع نشاط المعهد العلمي والفكري في أنحاء أوروبا يأخذ بالاتساع و الشهرة ، وتعددت مدرسة فرانكفورت باتجاهات فلسفية

مختلفة يمكننا ايجازها بما يلي:

- 1 اتجاه هوركهايمر وادورنو الذي يمثل بالمنهج النقدي الجدلي الذي يهدف إلى توحيد النظرية بالممارسة العملية وتقديم نظرية نقدية للمجتمع تستطيع الوقوف أمام فكرة التسلط، العنف وتسعى إلى جعل الفكر النقدي ليبراليا وغير ليبرالي في الوقت ذاته، وأن لا تبخل من الصراع الاجتماعي الواقعي وأن لا تبخل عن أية مهادنة، مع أية سلطة، ما دامت تهدف إلى الاستقلالية وإلى تحقيق سلطة الإنسان على حياته الذاتية، مثلما هي على الطبيعة.
- 2 اتجاه هريرتماركيز (1898 . 1984)، الذي تمثل في رفض المجتمع القمعي القائم والثورة عليه من خلال تأكيده على الدور الحاسم والثوري للعقل في حياة الإنسان وعدم النظر إلى المجتمع من رؤية ذات بعد واحد.
- 3 اتجاه النفسي . التحليلي الذي يتمثل بأراء ارك فروم والفرويديين الجدد، وهو اتجاه يقوم على مقدمات ماركسية في التحليل النفسي.
- 4 اتجاه يورغنهابرماس (1929) وهو اتجاه فلسفي إنثروبولوجي يؤكد على دراسة الرأسمالية المتأخرة كمجتمع صناعي عقلائي ذي أيديولوجية تكنوقراطية، كما صاغها في نظريته في السلوك الاتصال من المتعارف عليه أن مشروع الحداثة الأوروبي قام على العقلانية والحرية والتقدم، وقد بشر الإنسان بالتحريم من مختلف الأشكال العبودية، وتحقيق السعادة بواسطة المعرفة العلمية“ وبنزع الهالة السحرية عن العالم أو كما أسماها ماكس فيبر le désenchantement du monde والمقصود بهذا المصطلح تجريد هذا العالم من أشكال القداسة والتدخلات الغيبية التي عرفتتها المجتمعات الأوربية قبل دخول مرحلة الرشد التحرر والنقد فإنها اتجهت إلى السيطرة la domination التي اتخذت أشكال أخرى من السيطرة وهالة سحرية من نوع آخر على حد تعبير م فيبر ، كما يراها أصحاب مدرسة فرانكفورت، وقد تجسدت في مؤلفاتهم، أقول العقل éclipse de la raison كتاب هوركايمر، توصل فيه بأن السيطرة لها

بعدين متلازمين، يقول هوركايمر، لقد نتج عن سيطرة الإنسان¹ على الطبيعة سيطرة الإنسان على الإنسان، وكما هو معروف أن النقد يشكل المفهوم الأكثر محورية من بين المفاهيم الكثيرة، وحتى فلسفتهم ذاتها تسمى النظرية النقدية، والسبب في تنامي شعور أعضاء المدرسة النقدية بالتشاؤم هو أصلهم اليهودي لمعظمهم، فشعورهم بالوحدة القاسية والاعتراب الفكري والروحي عن المجتمعات التي يعيشون فيها²..... (نشير إلى أن هابرماس وهو يهودي كبقية مؤسسي المدرسة النقدية، كتب مقال واسع الشهرة في بداية الخمسينات بعنوان التفكير مع هيدغر ضد هيدغر أو فيلسوف الكينونة كما يُلقب، هيدغر صاحب الإشعاع السياسي الذي مارس تأثير كبير على الشباب الألماني أنا ذاك في فترة صعود النازية الجارف،...صحيح أن هيدغر لا يتحمل المسؤولية السياسية المباشرة لما حدث لليهود، لكن يتحمل المسؤولية الأخلاقية بما أنه عنوان النخبة المثقفة الألمانية أنا ذاك³ كما تظهر إيديولوجية هابرماس المتطرفة في حوار مع بورادوري Giovanna Borradori عندما سأته كيف يمكن تُعرّف الإرهاب فعلاً؟ هابرماس: يظل الإرهاب الفلسطيني إرهاباً من الطراز القديم بأحد المعاني فهو يتمحور حول القتل وإبادة الأعداء بدون تمييز نساءً وأطفالاً- حياة مقابل حياة أخرى. وهذا هو ما يجعله مختلفاً عن الإرهاب الذي يظهر على صيغة شبه عسكرية في معارك الغوار التي ميّزت العديد من حركات التحرر الوطني في النصف الثاني من القرن العشرين،" يرى هابرماس في العمليات الفلسطينية إذن حالة من حالات الإرهاب الأعمى بقصد الثأر وتدمير! ولكنه، لا يُدين إسرائيل بكلمة واحدة حول إرهاب الدولة الذي تمارسه بحق الشعب الفلسطيني الأعزل! فالإرهاب لديه ثلاثة أنواع فلسطيني وشبه عسكري وعالمي بينما الإسرائيليون هم مجرد شعبٍ وديع ابتلي بلعنة الإرهاب أين كان. في الحقيقة إن رد فعل هابرماس على النازية يبين وموقفه من اليهود، وللمزيد من المطالعة بهذا الشأن، يطالع كتاب الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي^{*}

و يحدد هوركهايمر مهام المدرسة النقدية وهي :

¹ نفس المرجع ص23.

² من النسق إلى الذات، مرجع سابق، ص112

³ كارل أوتو أبل، التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، ترجمة عمر مهيب، منشورات الاختلاف، ط1، 2005، ص11

* هذه المحاورات هي أجزاء من كتاب الفلسفة في زمن الإرهاب وهي محاورات قامت بها الفيلسوفة الإيطالية جيوفانا بورادوري Giovanna Borradori 1 مع كل من بورغينهايمر و جاك ديريدا عقب أحداث 11/أيلول.2001.

ولدت عام 1963 في ميلانو ايطالي وعاشت في الولايات المتحدة منذ عام 1989 كلية تاريخي أستاذة الفلسفة

المهمة الأولى: ضرورة بلورة وعي متكامل خاص بكل نظرية ذات توجه اجتماعي و النظر

في محدداتها ز ما يتمحور حولها والبحث عن الموجهات الخفية

المهمة الثانية: تتمثل في التحرر أو الانعتاق عن طريق عقلنة الواقع، أو على الأقل البحث

عن العناصر العقلية في هذا الواقع ، مثل البحث عن المصلحة المشتركة للغالبية العظمى من الناس
مثل العدالة

المهمة الثالثة: النظر إلى العقل بنظرة تفكيكية ويعني النظر ومحاولة فهم الأسباب العميقة

التي أدت بالعقل في السقوط في براثن العقل الأداة البراغماتي يتلخص همه الوحيد في إنتاج النجاح
دون الاكتراث بمضمون ما ينتجه ، يقول هوركهايمر في كتابه نقل العقل الأداة صار دور
العقل اليوم بل وعمله الأساسي هو إيجاد وسائل في خدمة الغايات التي يتبناها كل فرد في لحظة
معينة، وهو يتهم فيبر باحتفائه بانتصار العقلانية الوظيفية،¹ والتي هي في الأخير العقلانية الأداة.

المهمة الرابعة: إن على المثقفين أن يتبنوا الحياد الموضوعي إذ لا ينبغي أن يفصل المثقف

الحقيقة عن متضمناتها القيمية، وعلى المثقفين أيضاً أن يقفوا موقفاً نقدياً، من المجتمع موضع
الدراسة ، وفي ذلك خروج عن الفلسفة الوضعية و اقتراب من الماركسية ز المثالية النقدية ، وعلى
المثقفين كذلك أن يقفوا بالمثل موقفاً نقدياً فكرياً من فكرهم.² لكن نشير إلى أن القاسم المشترك بين
الاتجاهات الثلاثة التي مثلت المدرسة النقدية عبر التاريخ هو تركيزهم على مسألة الجانب الثقافي،
الذي حل محل الاقتصاد في التحليل الماركسية الأولى، فالمجتمع لو يعد تمزقه التناقضات
الاقتصادية والبنوية، فقد أصبحت المسألة الرئيسية هي دمج أفراد المجتمع عن طريق الثقافة
التي أصبحت العامل القوي لتحقيق ذلك³ وقد ناقش ذلك هيررت ماركيز في مؤلفه "الإنسان ذو البعد
الواحد" وكذلك تحليل أدورنو لما يسميه بصناعة الثقافة في كتابه "جدل التنوير" 1972 والفكرية
المركزية التي تدور حولها كتاباته فهي أن الكائن البشري له قدرات وإمكانيات معينة سلبت منه في
المجتمع الحديث.

¹الآن تورين، نقد الحداثة ، ترجمة أنور مغيث ، المشروع القومي للحداثة ، 1998 ، ص، 208

²مدرسة فرانكفورت: شعلة اليسار الجديدترجمة أحمد جميل حمودي، 2008، ص 13

³أيان كريب ،مرجع سابق ، ص322

ومرة أخرى نعود ونؤكد بأننا لا نهدف من هذا العرض الوجيز لأفكار المدرسة النقدية لفلسفتها، بقدر ما يهنا منهجها وطريقة تحليلها للواقع كفئة نخبوية مثقفة، ويمكن أن نستنتج من هذا العرض الوجيز تعريف النخبة المثقفة حسب مدرسة فرانكفورت، وهي فئة أكاديمية متعلمة أي ذات مستوى عالي من التعلم، وواعية بدرجة عالية ولها القدرة على كشف وتحليل أساليب وآليات الهيمنة والقمع الثقافية، التي تمارسها الطبقة المهيمنة على الطبقة المهيمنة عليها، ونقد الثقافة السائدة، فالمثقف ناقداً اجتماعياً، يسعى إلى نقد الممارسات الاجتماعية انطلاقاً من مرجعية ماركسية.

وفي الأخير نشير بأن مدرسة فرانكفورت لم تسلم من النقد، ومن أبرز الذين قاموا بذلك الآن توران في كتابه "نقد الحداثة"، يقول: إن هذا العداء للحداثة من طرف المدرسة النقدية لم يأت بتحليل واقعي للمجتمع الحديث وصار علم الاجتماع مشلول بسبب النزعة الراديكالية اللامبالاة بدراسة الممارسات الاجتماعية..... وأنهم لم يجدوا حلاً موثقاً فبحثوا عن عزاء في الخبرة الجمالية والدعوة الجمالية..... وقد ضلت -أي م فرانكفورت- في منى عن المشاكل والأزمات التي تنشرها الحداثة وأشكال سيطرتها. وأنهم سقطوا في ما كان فيه رجال الدين من قبل الذين كانوا يتحدثون باسم الله، تحدوا باسم العقل والتاريخ، وعندما اتسعت الساحة للجماهير وحلت الأنظمة الجمهورية قفد المثقفون مثل رجال الدين سلطتهم، فراح المثقفون يعلنوا الحرب على الثقافة الجماهيرية التي حرمتهم من الاحتكار وسقطت عنهم نخبو يتهم التي يطورون في ظلها تأملاتهم و يخوضون ضالتهم، و بدل أن يحاولوا إنقاذ المجتمع عملوا عكس ذلك، وبتساءل ألان توران، علام تدل هذه المفارقة إلا على إدانة المثقفين أنفسهم؟¹

-المطلب الحادي عشر: النخبة المثقفة في السياق الروسي

يعتبر السياق الروسي سياقاً مغايراً، وفيه ظهرت كلمة أنتلجنسيا " في حدود حوالي سنة 1865² حيث أن هناك هوة فكرية عميقة بين النخبة المتعلمة، التي تتشكل منها الطبقة الأرستقراطية، وهي طبقة فرانكفونية في الغالب، وبين عامة الشعب، الذي لا يتكلمون سوى اللغة الروسية وهي أمية فلاحية تعيش في ظل العبودية، انطلاقاً من إصلاحات بطرس "وعلى مدى القرن الثامن عشر

¹ نقد الحداثة، مرجع سابق، ص 214-215

² جيرار ليلرك، سوسيولوجيا المثقفين، ترجمة، د جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، ص 52 ط 1، 2008

وفي ظل حكم كاترين الثانية "Pierre le grand" الأكبر. بشكل خاص . حاولت نخبة فكرية، أن تعمل لأهداف الدولة و لمصالحها ، أي أن توائم بين إخلاصها للسلطة وبين اكتسابها لأفكار غربية تتعلق بالحرية و حرية المعتقد ، وبما للعلم و العقل من سلطان ناجح، لكن لحد هنا لم يشكل هؤلاء أنتلجنسيا بمعناها الحقيقي فهم إلى ذلك الحين رجال أدب وفكر وكتاب ومثقفين الذي كان عليه آنذاك "الهيغليون الشباب " أو ألسان سيمونيون "، ولكن سرعان ما يتخلى هؤلاء الأرستقراطيون المهاجرون أو المنفيون ،تورغا. bakounine باكونين orgarev، أورغاريف harzen، السياسيون أمثال: *هرزن، الساحة إلى الجيل الأول من الأنتلجنسيا بالمعنى الضيق للكلمة Tourgueniev تيبف، حدث ذلك حوالي سنة 1860¹ فهذه الأنتلجنسيا كانت أكثر انفتاحا أمام صف من الأفراد الخارجين من أوساط الشعب ، الذين يعرفون مشاكل الشعب ويحسنون عرضها، والذين يعتبرون أنفسهم ممثلي الشعب وناطقين باسمه، أو الذين يمثلون أنفسهم ضمير الأمة وهم المقتنعين Aksakov والإخوة أكراكوف khomiakov أنصار السلافية بقيادة كومياكوف. يتفوق الشرق السلافي والأرثوذكسي أخلاقيا تجاه الغرب الملحد والمنحل الذي أفسدته أفكار الثورة الفرنسية، ثم سرعان ما ظهرت وبعد إلغاء العبودية سنة 1860 الأيديولوجيات الكبرى التي تميزت بها روسيا إبان القرن التاسع عشر، وهذا ما لعب دورا في إدخال الماركسية مع بداية القرن التاسع عشر وفي إبراز أثرها العظيم بعد ذلك : منها العدمية ، وهي نظرية حزب سياسي في روسيا كانت تدور على تحرير الفرد من كل سلطة ومن القيم والفوضوية، وهي نظرية سياسية تقول بالتعاون nihilisme السائدة وهي تعرف بالعدمية الطوعي بين الأفراد والجماعات وأن الدولة أكبر أعداء الأفراد وتجب إزالتها وهي الاشتراكية الثورية... الخ، فالماركسية الروسية ستمثل anarchism تعرف بالفوضوية، دون شك وفي أكثر الحالات اندمجا أصيلا بين التغريب وبين حب السلافية " القناعة برسالة خاصة أوكلت بها روسيا فموسكو تعتبر نفسها روما ثالثة " ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن تشكل النخبة المثقفة الروسية بالمفهوم الحقيقي للكلمة كان له الأثر البالغ في إلغاء النظام العبودية و تخليص الشعب الروسي ، كما دفع الأفكار إلى

* بطرس الأولن روسيا (بيوتررومانوف Alekseyevich المعروف فيفرنسانحت اسمبطرس الأكبر(بيوتريفيليكى، بالروسية) ولد30 مايو/ يونيو9؟في موسكو في عام 1672 وتوفي28 يناير/8 فبراير 1725 في سانت بطرسبرغ
http://fr.wikipedia.org/wiki/Pierre_ler_de_Russie

** ألكسندرايفانوفيتشهيرزن(بالروسية : من مواليد 25 مارس/6 أبريل 1812 في موسكو وتوفي في 9 يناير 1870 بباريس كان فيلسوفا، وكتابا يعرف بأب الاشتراكيةالروسية، ويعتبر ملهماالسياسية التي أدت التحرير العبيد عام 1861

¹المرجع نفسه ، ص53

حدود اليوتوبيا و هو ما جعل ثورة أكتوبر 1917 ممكنة ولا نستتكر الى حد القول بأن مفهوم النخبة الفرنسي كان له تأثير واضح على تشكل الأنتلجنسيا الروسية ، ومع ذلك كان له خصوصيات ميزته واتخذ شكل خاص بالسياق الروسي كما اتخذ من الفلسفة الهيغلية المفاتيح اللازمة لذلك .(إضافة الى ذلك نجد أن السياق الروسي أضاف معنى محدد لمفهوم الأنتلجنسيا وهي تعني " المجتمع الذي يفكر" ، كما فرق "ادغار موران" بين مفهوم المثقفين والأنتلجنسيا ، على أساس أن المقولة الأولى ناتئة وفرنسية ، والثانية شمولية وروسية ،أكد أن الأنتلجنسيا تعني مجمل المثقفين في وضعية تتميز بجمهرة غير مثقفة ،وبسلطة بربرية، بينما يبرز المثقفون داخل المجتمع له تناقضات أقل حدة،وتنتشر الثقافة فيه داخل مجال مهم من المجتمع)¹

¹الثقافة والمثقف في الوطن العربي ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، محمد كرو ، المثقفون والمجتمع المدني في تونس ، ص335

الفصل الثالث:
التغير الاجتماعي

تمهيد:

سنحاول في هذا الفصل التطرق إلى أهم النظريات الاجتماعية المعاصرة التي حاولت أن تقدم تفسيراً للتغيير الاجتماعي، وسنركز على المنظرين المعاصرين لنستخلص من نظرياتهم أهم العوامل المساعدة التي تؤدي إلى تغيير أو تغيير المجتمع،

وتعتبر ظاهرة التغيير في الوقت المائل من أهم المسائل التي تشغل الفكر الاجتماعي الحديث، وخاصة بعد الحربين العالميتين فقد أخذت الجهود تتجه نحو التغيير المخطط من أجل إحداث تنمية حقيقية هادفة، وهكذا فلم يعد حدوث التغيير يسير تلقائياً دون توجيه واع، وإنما يتم وفق خطة مدروسة، فهو إذا تغيير مقصود وإرادي وأصبحت المجتمعات في العصر الحاضر تستحدث المناهج والوسائل من أجل توجيه عملية التغيير نحو إحداث وتحقيق التنمية بوجه عام، وهذا يستدعي تحديد مفهومه تحديداً موضوعياً دقيقاً، ومعرفة آلياته وأنماطه واتجاهاته وعوامله وموجهاته وعوائقه، إلى غير ذلك من الجوانب التي من شأنها تعميق الفهم اللازم لهذه الظاهرة الهامة.

وعندما كانت ظاهرة التغيير والحركة، ظاهرة ملموسة، ودائمة ومستمرة دون توقف؛ فنجدها قد أخذت مكان الصدارة من التفكير البشري، وذلك منذ فجر الحضارات الإنسانية بصفة عامة وحتى يومنا هذا، وعلى الرغم من هذا الاهتمام المبكر والمستمر من قبل المفكرين، فإن مفهوم التغيير قد عولج من قبل أولئك المفكرين من منظورات وتصورات مختلفة، وذلك تبعاً للاتجاهات الفكرية ولأيديولوجيات السائدة في كل مجتمع، وفي كل عصر من العصور. وما يجمع عليه المفكرون هو أن التغيير الاجتماعي ظاهرة اجتماعية (Social phénoménaux)، وحقيقة لا تقبل الشك، فالمجتمع بطبيعته متغير، فهو يأخذ من الجيل السابق جوانب ثقافية ويضيف عليها تمثيلاً مع واقعه الاجتماعي ومتطلباته المستجدة.

وتعتبر ظاهرة التغيير في الوقت المائل من أهم المسائل التي تشغل الفكر الاجتماعي الحديث، وخاصة بعد الحربين العالميتين، فقد أخذت الجهود تتجه نحو التغيير المخطط من أجل إحداث تنمية حقيقية هادفة، وهكذا فلم يعد حدوث التغيير يسير تلقائياً دون توجيه واع، وإنما يتم وفق خطة مدروسة، فهو إذا تغيير مقصود وإرادي وأصبحت المجتمعات في العصر الحاضر تستحدث المناهج والوسائل من أجل توجيه عملية التغيير نحو إحداث وتحقيق التنمية بوجه عام، وهذا يستدعي تحديد مفهومه

تحديداً موضوعياً دقيقاً، ومعرفة آلياته وأنماطه واتجاهاته وعوامله وموجهاته وعوائقه ، إلى غير ذلك من الجوانب التي من شأنها تعميق الفهم اللازم لهذه الظاهرة الهامة . وهنا سوف نتناول مفهوم التغير ومصادره.

-المبحث الأول: التغير الاجتماعي في الحضارة العربية الإسلامية

قبل الحديث عن هذا المطلب نود في البداية عرض موجز للكتاب الذي اعتمدت عليه للمؤلف التونسي د. عبد الرزاق عمار بعنوان "علم النفس الاجتماعي في القرآن الكريم والحديث الشريف"، بطبعته الأولى 2009 عن دار الجيل تونس، وهو كتاب فعلا يستحق القراءة و هو بحق مرجع ، لما احتواه من فوائد جمة و أسلوب علمي في إطار عصري حديث، وحتى لا نطيل، تحدث صاحب الكتاب في الفصل الأخير عن التغير الاجتماعي في ضوء القرآن والسنة. و طرح عدة تساؤلات حول التغير الذي أحدثه نبينا محمد "صلى الله عليه وسلم" الذي كان له الفضل في إحداث نهضة، دينية واجتماعية و سياسية عربية في البداية ثم عالمية بعد ذلك، فكيف تسنى له ذلك ؟ وللحديث عن ذلك طرح صاحب الكتاب عدة أسئلة محاولا الإجابة عليها:

- ما الذي تغير ؟

- كيف تم التغيير ؟

- ما هو نسق التغيير ؟ هل هو نسق سريع أم بطيء ؟

- ما هو دور النخبة في التغيير ؟

ما الذي تغير؟:

يتبين للمستقري لسيرة المصطفى أنه خلق من شتات القبائل المتناحرة دولة واحدة تدين بالإسلام، وتتبنى منظومة قيم أصبحت بمثابة المثل العليا، لكن الشيء الذي استحدثه الرسول "صلى الله عليه وسلم" هو على المستوى العقلي العلم، ومن المعلوم أن العرب قبل الإسلام لم تكن لهم ثقافة تضاهي الثقافات المجاورة كثقافة الروم والفرس، يقول أحمد أميم في كتابه فجر الإسلام: " ومظاهر الحياة العقلية في الجاهلية اللغة والشعر والأمثال والحكم، القصص، وهي فقط مظاهر عقلهم، أما العم والفلسفة فلا أثر لذلك عندهم ،لأن الطور الاجتماعي الذي أنبأه لا يسمح لهم بالعلم ولا الفلسفة " كان الرسول"صلى الله عليه وسلم" واعيا بهذا النقص، فحث على تحصيل العلم في أحاديث عديدة تدعم ما

جاء في النص القرآني في شأن العلم والعلماء وغير ذلك من المجالات فانبثقت عن ذلك حضارة مثلت حلقة في الحضارة العالمية ، على الأقل في وقت ما .

بيتار¹ petard كيف تم التغيير ؟ :يصبح التغيير الاجتماعي أكثر وضوحا ودقة حسب

إذا أخذنا في الحسبان التغييرات البنيوية بأن نلاحظ تغيير التنظيم الاجتماعي في كليته، والتغييرات الدائمة والثابتة والواضحة المعالم، و إذا أردنا أن نفهم عملية التغيير يجب فهم أولا الصعوبات التي يشملها

1 دور النخبة في التغيير:

تمثلت الوسيلة التي اعتمدها الرسول "صلى الله عليه وسلم" للقيام بمهمة التغيير بتكوين ثلثة من الصحابة والتي تسمى اليوم "النخبة" لكن سؤالنا هو كيف تسنى لنخبة محدودة أن يحدثوا تغيير؟ وكذلك ما هي الشروط التي توفرت فيهم؟ للإجابة على هذا السؤال استعان الدكتور عبد الرزاق بنظرية في علم النفس الحديث لمoscovic في إحداث التأثير الاجتماعي، يجب توفر شرطين أساسيين هما: خلق الصراع، السلوك المتميز بالثبات، وأضاف أن السلوك المتميز بالثبات يكتسي ثلاث أشكال أولها Consistant التأكيد عن التكرار الدائم، ثانيا تجنب التناقض، ثالثا البرهنة المنطقية، أما عن شروط التغيير فقد أضح صاحب الكتاب إلى شرطين مهمين: الصراع المعرفي، وهو الاختلاف بين التصورات الحديثة والموجودة ، وهو ضروري لكل حراك اجتماعي ، وثانيا اقتناع الداعي لما يدعو إليه، لأن ذلك يبعث على الصمود والأمل وثباتا للموقف، ويتجلى ذلك من خلال بعض مواقف المصطفى "صلى الله عليه وسلم" وأفراد نخبته، دفعه الاقتناع بالرسالة الى الرفض بالحلول الوسطية ، فمثلا لم حاولت قريش أن تستدرج الرسول الى الاعتراف بألتهتم مقابل اعترافهم بما يعبد فقالوا: فلنعبد ما تعبد سنة، وتعبد ما نعبد سنة ، فنشترك نحن وأنت في الأمر ، فان كان الذي تعبد خيرا مما نعبد ، كنا قد أخذنا حظنا منه ، وان كان ما نعبد خيرا مما تعبد قد أخذت حظك منه ، فقال الرسول "صلى الله عليه وسلم" : معاذ الله أن أشرك بالله.

¹ د عبد الرزاق عمار ، علم النفس الاجتماعي ، دار الجيل تونس ، ط1، 2009، ص347

المبحث الثاني: التغيير الاجتماعي عند هيربرتماركيز (1898-1979)

هيربرتماركيز (Herbert Marcuse) فيلسوف ألماني، فرّ من البطش النازي وعاش في أمريكا بعد عام 1934. كان ماركيز عضواً في مدرسة فرانكفورت (Frankfurt School) وقد تبني فكرة التغيير الاجتماعي ودافع عنها دفاعاً كبيراً، ولهذا كان في الستينات رمزاً لليسار الجديد، وللعديد من الثوريين في ألمانيا وأوروبا. لقد شكل كتابه "الأيروس والحضارة" (Eros and Civilisation)، الذي نشر في عام 1955، محاولة واضحة من قبله للدمج بين أفكار فرويد وماركس. وقد كان ماركيز ملتزماً بقضية التحرر الجنسي للاشعور من طغيان العقل الواعي كالتزامه بالتحرر الثوري للجماهير من السيطرة السياسية والاقتصادية للطبقة الرأسمالية الحاكمة¹

ربما هناك من يسأل عن سبب إقحام نظرية التغيير عند ماركيز في الموضوع؟ إن الإجابة تكمن ضمن تساءل آخر هو: ما علاقة الفكر الماركوزي بحركات التمرد الطلابية الأوربية في القرن الماضي؟ وهل صحيح أن ماركيز هو الزعيم الروحي لهذه الحركات كم حاول الكثيرين قول ذلك؟ ليس هدفنا هنا هو الإجابة على التساؤل، لكن مما لا شك فيه، وعلى حد تعبير مترجم هذا الكتاب الإنسان ذو البعد الواحد، إن أفكار ماركيز في فترة ما على الأقل اكتسبت قابلية و قوة واقعية بالرغم من صدورها عن مثقف و فيلسوف يتجاوز العقد السابع² ، وكذلك معالجته لموضوع التغيير الاجتماعي بشكل علمي في كتابه المهم الذي اعتمدنا عليه في هذا المبحث "الإنسان ذو البعد الواحد".

رغم الاختلاف الواضح والراديكالي لهربرت ماركيز عن الماركسية الكلاسيكية في أن الطبقة العاملة البروليتاريا هي الفئة المؤهلة للقيام بالثورة وتغيير الوضع القائم، وذلك يعود حسب اعتقاد ماركيز طبعا، إلى أن هذه الفئة لم تعد قادرة على ممارسة هذا الفعل الثوري والتغيير، ومن هنا نجد ماركيز يبدأ بهذا التساؤل في كتابه المهم "الإنسان ذو البعد الواحد" كيف أن الثورة لم تتحقق بل

¹ هيرت_ماركيز/ar.wikipedia.org/wiki/

² هيرتماركيز، الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة، جورج طرابيشي، منشورات دار الآداب بيروت، ط3، 1988 ص24

أصبحت شبه مستحيلة في عالم يمتلك منذ أكثر من قرن القوة الكلاسيكية للثورة ، أي البروليتاريا الصناعية ؟¹

يجيبنا ماركيز على هذا التساؤل ويبرر ذلك بأن هذه الفئة أصبحت مندمجة في المجتمعات المعاصرة التي حققت نجاحات واسعة بفضل العقلانية وخاصة على مستوى الإنتاجية والوفرة^{productivité}، نظام الحاجات الاستهلاكية هذا أصبح متحكماً في مختلف الطبقات الاجتماعية بما فيها الطبقة العاملة التي اندمجت بالنظام القائم... وأصبحت تبحث عن تحقيق حاجاتها وتلبية رغباتها"نشير إلى أن ماركيز حول الكوجيتو الديكارتي إلى أنا أستهلك أذن أنا موجود فهو انتقد بشد المجتمع الاستهلاكي" الخاصة والضيقة مما أفقدها وظيفتها التغييرية. لكن السؤال هنا: من غير الطبقة العاملة يمكن أن يشكل القوة الأساسية للتغيير؟² بعدما أنكر ماركيز على الطبقة العاملة القدرة على التغيير كان لزاماً عليه أن يقدم البديل الذي سيحرر الإنسان من الوضع القائم ، في هذا السياق يرى أن القوى الجديدة التي يمكن أن تقوم بالدور التاريخي، وتغيير الوضع القائم فيه هي القوى التي لم تدمج و لم تستوعبها المؤسسات القائمة،" وهنا بالتحديد يبرز موقف منفصل عن النظرية الماركسي، ماركيز يعلن أن الطبقة العاملة لم تعد عامل التغيير الاجتماعي، و يضيف بأن هذا العامل لا وجود له في المجتمع المعاصر"³

والتي بقيت على هامش المجتمع، بل بقيت دوما رافضة لعملية الدمج، ويمكن أن نميز بين فئتين اعتبرها ماركيز كبديل للطبقة العاملة تغيير الوضع القائم، أو كما سماها في كتابه المشار له سابقاً بقوى التحرر:

فئة المهمشين : فهي من وجهة نظر ماركيز هي القوى الاجتماعية القادرة على أن تكون النفي الحي للمجتمع القائم، وإذا كان ثمة أمل أو بصيص من أمل فانه معلق على هذه الفئة

¹ المرجع نفسه ، ص 06

² كمال بومير، جدل العقلانية في النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت ، منشورات الاختلاف ، 2009 ص 206

³ المرجع نفسه ، ص 20

المنبوذين على مختلف أنواعهم و اللآمنتين اجتماعيا و العاطلين عن العمل من الشباب¹ أما الفئة الثانية التي أشار إليها ماركيز في كتابه " نحو ثورة جديدة " هي: فئة النخبة المثقفة: حيث يقول و لم يبق في الساحة سوى تمرد الشبيبة و الطبقة المثقفة. المنبثق في مختلف الصفوف من الطبقات الوسطى، وأهالي الأحياء الفقيرة و يغدو التحرير هكذا مستقلا عن كل إستراتيجية و كل تنظيم سياسي حاجة حيوية بيولوجية² واهتمام ماركيز بفئة الطلبة كان في حقيقة الأمر مرتبطا بحركة الطلبة نفسها ، وبالأحداث التي عرفتها الجامعات الغربية خاصة فرنسا وألمانيا و التي عرفت بأحداث ماي 1968 التي شهدت ظهور احتجاج طلابي راديكالي قام على رفض القيم والنظم و المؤسسات القائمة ، ولهذا ضم الطلبة والشباب إلى مجموعة قواه الثورية والتي كشف عن قدرة هائلة على كشف عن زيف الأيديولوجية السائدة في هذه المجتمعات³

إن هذا التحليل الماركوزي قد تعلق بالدول الغربية ، ومع ذلك نراه في واقع الدول العربية التي تعيش في هذه الأيام انتفاضات شعبية مطالبة بالتغيير والتحرر من الأنظمة والسياسات، و يظهر فيها دور الشباب و العاطلين عن العمل و المهمشين وكذا النخبة المثقفة والتي يقصدها ماركيز بالتحديد خريجي الجامعات العاطلين عن العمل، ربما نجد في التحليل الماركيزي ما يتناسب وهذه الثروات العربية مع بعض الخصوصية، إلا أنها ومما لا شك فيه أن هذه الانتفاضات الشعبية العربية التي اتصفت من الجميع بأنها في بداياتها عفوية و مستقلة عن كل إستراتيجية وكل تنظيم سياسي ذات مطالب اجتماعية بالدرجة الأولى فهي تدخل ربما في سياق مقال ماركيز: "إن هذه القوى تنظم المهمشين والمنبوذين والمضطهدين من الطبقات المستغلة والمقهورة، و العاطلين على العمل، إنهم يوجدون خارج المسار الديمقراطي، وحياتهم تعبر عن أكثر الحاجات مباشرة والأكثر واقعية لوضع حد وإنهاء الشروط والمؤسسات التي لا تطاق، ومن ثم فإنهم مثلوا قوة معارضة للنظام القائم وان لم يكن وعيهم ثوري" فماركيز يردد مقولة والتر بنجامين* "إن الأمل لم يكتب لنا إلا بسبب أولئك

¹ المرجع نفسه ، ص21

² هربرت ماركيز، نحو ثورة جيدة ، ترجمة ، عبد اللطيف شرارة ، دار العودة بيروت ، 1971 ص23 ، ص89

³ كمال بومنيير، جدل العقلانية مرجع سبق ذكره ص208

* 15 يوليو 1892 - 27 سبتمبر 1940" كان فيلسوفا، عالم اجتماع، ناقد أدبي، مترجم وكاتب مقالة ماركسي يهوديا-ألمانيا. اعتبر لفترة أحد أعضاء مدرسة فرانكفورت

الذين هم بلا أمل" ¹، إن ما يمكن قوله في نظرية ماركيز في التغير الاجتماعي، هي أن التغير ضروري ولازم، وان كان كلامه لا يتجاوز التنظير، إلا انه أسهم بشكل واضح ، وربما ألهم البعض في تغذية روح التغيير و الوعي ، فهو مثل أو حمل على الأقل فكر نقدي تغييري ، مثل مقولة المثقف الملتمزم الايجابي

-المبحث الثالث: التغير عند أنتوني جيدنز

- مساهماته في النظرية الاجتماعية
- الفرضيات الأساسية لنموذج جيدنز
- محرك التغير الاجتماعي عند أنتوني جيدنز
- التغير الاجتماعي في الفترة الحديثة فترة الحداثة
- تحليل التغير الاجتماعي
- حديثه عن الحركات الاجتماعية و دورها في التغيير

Anthony Giddens

ولد جيدنز في 18جانفي 1938 من أصل بريطاني وابرز علماء الاجتماع في الغرب عملاًستاذًا بجامعة كمبريدج كما يتراأس عدة مجالس إدارة لعدد من المؤسسات ومراكز الدراسات والبحوث الأكاديمية في أوروبا وأمريكا الشمالية وأسيا اصدر ما يزيد عن 35 مؤلفا في العلوم الاجتماعية و بين عامي 1997 2000 عمل مدير لجامعة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية التي أسهم بشكل كبير في تطوير مناهجها التعليمية حتى أصبحت تحتل المرتبة الثانية بعد كمبريدج كما اشتغل منصب مستشار لظوني بلير رئيس وزراء بريطانيا السابق ما بين لعام 1997 2007 ونشير إلى أن معظم أعمال جيدنز ترجمت إلى أكثر من 30 لغة في العالم كما صدر حتى الآن 12مؤلفا لعلماء اجتماع معاصرين يعالجون أعماله ومنح 14شهادات فخرية من مختلف جامعات العالم.

وفي عام 2000 أدرجت جمعية International sociological association خمسة مؤلفات لجيدنز من بين أحسن مائة كتابا في القرن الماضي في علم الاجتماع.

¹هربرت ماركيز ، الإنسان ذو البعد الواحد ، مرجع سبق ذكره ص 267.

1 - مساهماته في النظرية الاجتماعية:

يتفق معظم الدارسين والمنظرين الاجتماعيين أن مساهمة جينرز في النظرية الاجتماعية من خلال تقسيم حياته إلى ثلاث محطات مهمة.

أولها: مساهمته في رؤية جديدة لعلم الاجتماع المعاصر. وذلك من خلال تقديم مراجعة نقدية لكلاسيكيات علم الاجتماع، في مؤلفاته مثل: "الرأسمالية النظرية والاجتماعية الحديثة" (1979)، و"الأدوار الجديدة للمنهج الاجتماعي" (1976). أما المرحلة الثانية فقد تميزت بتطويره لنظرية الهيكلية أو التشكيل البنائي، حيث حلل العلاقة ما بين الفاعل والبنية وأيهما تعود له الأولوية. ومن مؤلفاته في هذه المرحلة "المشكلات المركزية في النظرية الاجتماعية" (1979) و"تشكيل المجتمع" (1984) الذي جلب له شهرة عالمية في الدوائر الأكاديمية.

في المرحلة الثالثة والراهنة من مسيرته كعالم اجتماع أبدى جينرز اهتمامه بقضايا الحداثة والعولمة والسياسات، ولا سيما تأثير الحداثة على المجتمع والحياة الشخصية للأفراد. حيث انتقد نظريات ما بعد الحداثة، وأعاد طرح مسألة "المثالي - الواقعي" وسياسات "الطريق الثالث" من خلال كتبه: "عواقب الحداثة" (1991)، و"تحولات التقارب" (1992)، "ما بعد اليسار واليمين"

2 الفرضيات الأساسية لنموذج جينرز

- المجتمع في حالة مستمرة من الانبناء والتشكل المستمر
- الفرد ليس من صنع المجتمع، بل صانعه في الوقت نفسه
- الانعكاسية الاجتماعية: التفكير على الدوام في الظروف التي تحيط بحياتنا، وتضل
- لدينا القدرة في جميع الظروف على إحداث التغيير في إطار زمني ومكاني في سياق تاريخي
- في مجتمع ما بعد الحداثة تتولى العولمة تفرغ المجتمعات المحلية من تراثها الراسخ

<i>Le structurel, les structures</i>	<i>Les systèmes sociaux</i>	<i>La structuration</i>
Règles et ressources, ou ensembles de relations de transformation, organisées en tant que propriétés de systèmes sociaux	Relations entre acteurs ou collectivités, reproduites et organisées en tant que pratiques sociales régulières	Conditions qui régissent la continuité ou la transmutation des structures, et par conséquent la reproduction des systèmes sociaux

-يتضح من خلال الجدول الفرضية الرئيسية لنظرية جيدنز :

- **أولاً: البنية La structure**: والتي تنقسم إلى قواعد " العادات التقاليد الدين ،الخ..." هي القدرة على إحداث التغيير .
 - **ثانياً: النسق Les systèmes sociaux**: العلاقات التي يعاد إنتاجها في إطار ومكاني و مكاني، أي الممارسات الفعلية في سياق تاريخي
 - **ثالثاً: الانبئاء أو التشكل La structuration**الشروط التي تحكم إعادة إنتاج الأنساق أي العملية الديناميكية التي يعاد فيها إنتاج الأنساق والممارسات و تظهر إلى حيز الواقع "البنى"¹
- 3 محرك التغير الاجتماعي عند انتوني جيدنز:**

ما هو محرك التغير الاجتماعي عند جيدنز؟ إن الإجابة على هذا السؤال تكمن في مدى معرفة المقاربة السوسيولوجية لجيدنز من خلال نظريته التشكيل البنائي التي تصدى فيها لأعظم معضلة واجهت علماء الاجتماع سواء المؤسسين أو المعاصرين و هي معضلة البناء والفعل فكما رأينا جيدنز انه رفض الرؤية الأحادية لظاهرة الاجتماعية سواء بنسبة للاتجاه الكلاسيكي الذي له الصفة البنائية فسواء الماركسية التي حصرت أو أرجعت عامل التغير الاجتماعي إلى عوامل مادية(الصراع) و الوظيفية التي أهملت الفعل الاجتماعي هذا من جهة.

والطرف المقابل نجد الاتجاه التأويلي قد ركز على الفعل وأهمل البناء و اعتبر أن محرك التغير الاجتماعي يعود إلى عوامل ذاتية (الشخصية الكاريزمية-فيبر- الدين -). وفي هذا الصدد يقول جيدنز ليس بوسع أي نظرية أحادية البعد أن تفسر التغير في النمو الاجتماعي وانتقاله من مراحل الصيد وجمع المحاصيل ثم الرعي فالزراعة إلى مرحلة الحضارات والمدنات التقليدية وأخيرا النظم الاجتماعية المعقدة التركيب و من هنا يجيبنا جيدنز ونستنتج من تفسيره لعملية التغير الاجتماعي أنها تعود إلى:

1. **عامل مادي "البيئة المادية"**: يقول جيدنز أن البيئة المادية هي العنصر الأول الذي يترك آثاره على التنظيم الاجتماعي، و يتجلى ذلك في الأوضاع التي تتميز بقسوة البيئة حيث يضطر الناس إلى تنظيم وإعادة تنظيم أساليب المعيشة لتناسب مع الظروف البيئية، كما

¹A. Giddens "LA CONSTITUTION DE LA SOCIÉTÉ"(PUF, Paris, 1987)Simon ALCOUFFE Doctorat HECLES FICHES DE LECTURE de la Chaire D.S.O.

تختلف العادات و الممارسات الشائعة من شعب لأخر و يقدم مثال على هذا الاختلاف و يقارن بين سكان القطب الشمالي و سكان المناطق الاستوائية و يضيف أن يسر الاتصال على البر و الطرق البحرية قد لعبت أدوارا مهمة في هذا المجال، و على العكس من ذلك فان المجتمعات التي تفصلها عن العالم سلاسل جبلية و صحاري ضلت غير قابلة نسبيا مقارنة بالأخرى لفترات زمنية أطول.¹

ويعود جيدنز مرة أخرى ليؤكد أن تأثير المادي "البيئة" ليس كبير جدا و ليس كافيا وحده، فقد استطاع الإنسان أن ينمي ثروة إنتاجية في مناطق قاسية جدا.

2. **عامل التنظيم السياسي:** يعتبر جيدنز أن عامل التنظيم السياسي يساهم بشكل كبير في إحداث التغير الاجتماعي، وفي نفس السياق ينوه إلى أن هذا التأثير قد بلغ ادني مستوياته في المجتمعات الصيد و جمع المحاصيل، إذ لم تكن سلطة سياسية قادرة على حشد الجماعات و توجيه الطاقات، وفي المجتمعات الأخرى جميعها تقوم العوامل الفاعلة - مثل (الزعامات، الملوك، الحكومات) - بدور بالغ الأهمية في التأثير على مسارات النمو التي قد يتخذها المجتمع، ونستنتج من هذا التفسير أن جيدنز لا يتفق مع (ماركس الذي اعتبر أن الأنساق و النظم السياسية ما هي إلا تعبيراً و انعكاساً مباشراً عن البنى الاقتصادية الكامنة و راء ذلك) و يبرر جيدنز رأيه ويقول إن هناك أنواع مختلفة من الأنساق السياسية قد تنشأ في مجتمعات تتشابه في نظم الإنتاج، إن بعض المجتمعات القائمة على الرأس مالية الصناعية، على سبيل المثال أفرزت أنساقا سياسية تسلطية مثل (ألمانيا النازية، إيطاليا الفاشية، التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا) بينما برزت الديمقراطية في مجتمعات صناعية أخرى مثل (فرنسا، السويد بريطانيا)

3. **التغير الاجتماعي في الفترة الحديثة الراهنة:** لكن المهم من ذلك .لماذا تميزت مرحلة الحداثة بهذه الديناميكية و التسارع الهائل في التغير الاجتماعي؟ و يعبر عن ذلك جيدنز. " إذا أردنا أن نحسب الوجود البشري بمعدل الساعات في اليوم الواحد لقلنا، الزراعة ولدت قبل منتصف الليل بأربع دقائق والحضارات قبل منتصف الليل بثلاث دقائق و تطورت المجتمعات الحديثة قبل منتصف الليل بثلاثين ثانية فحسب؟".

¹ أنتوني جيدنز، علم الاجتماع، مرجع سابق ص109

فالقضية غاية في التعقيد يقول جيدنز، لكن يمكن إضافة بعض العوامل إلى الدوافع المؤدية إلى التغيير الاجتماعي عبر التاريخ، ونعلق على هذه التفرقة، إن محرك التغيير الاجتماعي في الفترة الحديثة، يختلف نسبيا عن عوامل التغيير الاجتماعي عبر التاريخ مركزا في ذلك على.

4. **العامل الاقتصادي:** تختلف الصناعة الحديثة بصورة جوهرية عن انساق الإنتاج السابقة التي كان مستوى الإنتاج ساكنا إلى حد بعيد لأنه يهدف إلى تلبية الحاجات الاستهلاكية المعتادة، على عكس النسق الحديث نجد الرأس مالية تشجع إعادة النظر في تقانة الإنتاج التي يجري فيها تطبيق الاكتشافات العلمية، وهنا يشير جيدنز إلى نقطة مهمة وهي تأثير العلم ونجد أن هذا التأثير يصل حتى إلى الجوانب السياسية والثقافية فاستخدامنا لوسائل الاتصال الحديثة كالتلفاز، الهاتف، الانترنت.... الخ قد أسهم في تشكيل تفكيرنا ومشاعرنا.

5. **العامل السياسي:** إن من أهم العوامل التي لعبت دورا أساسيا في إحداث التغيير الاجتماعي! في الفترة الراهنة عامل الصراع، فالصراع بين الدول من أجل تعزيز نفوذها وتنمية ثرواتها وتحقيق النصر العسكري، أي صراع على نطاق أوسع واشمل فاتخاذ القرارات من طرف القادة ولمسؤولين والحكومات يؤثر على الصعيدين الداخلي والخارجي، بينما الصراع في المجتمعات التقليدية يقتصر في العادة حسب اعتقاد جيدنز على النخب، إذ تحل إحدى العائلات الأرستقراطية محل أخرى لتولي السلطة وتدبير الحكم بينما تظل أوضاع أغلبية السكان مستقرة نسبيا.

كما يمكن أن ندرج عنصرين آخران تحدث جيدنز عنهما وهما "الحركات الاجتماعية"

أ - حديثه عن الحركات الاجتماعية و دورها في التغيير : نشير في البداية الى أن جيدنز ليس لديه نظرية واضحة لدور المثقفين في التغيير، إلا أنه ربما نجده يستخدم الحركات الاجتماعية بدلا المثقفين، ونجد ذلك الحديث حول الحركات الاجتماعية في كتابه مقدمة نقدية في علم الاجتماع في الفصل الرابع، وقبل هذا الفصل تطرق إلى تساؤل مؤداه هل هي نهاية الطبقة العاملة ؟ دون أن ننسى بأن جيدنز اليساري الحر يعتقد ظهور تأثير طبقات جديدة، وهو بذلك يتفق الى حد بعيد مع هربرت ماركيز في نهاية البروليتاريا كمحرك للتغيير ، يقول جيدنز : " إن الحركات الاجتماعية هي شكل من أشكال الفعل الجمعي الذي يهتم بتحقيق تحولات جوهرية في بعض جوانب النظام القائم في مجتمع ما"¹ وكثير مل تنشأ هذه الحركات بغرض تحقيق التغيير حول قضية عامةوهي تمثل في جميع الحالات الشكل الأكثر فعالية

¹أنوتيجيدنز، مقدمة نقدية في علم الاجتماع، ترجمة أحمد زايد و آخرون، دار النشر، كتب عربية، ص 128

التغير الاجتماعي

وقوة وتأثير في المجتمع ، أما عن أسباب تعاضم أهميتها في العقود الأخيرة فهو نتيجة لعجز المؤسسات التقليدية أو قصورها للتصدي لأشكال محدد من المخاطر التي تهدد المجتمعات البشرية مثل المخاطر البيئية، الانتشار النووي، الحروب، الخ هذه المخاطر وغيرها نجد المؤسسات الحكومية والحزبية عاجزة عن التصدي لها¹ ، كما قدم لنا جيدنز و قد يكون صادقا في ذلك ،حول أسباب تعاضم دور هذه الحركات يعود بالدرجة الأولى إلى أن المجتمعات الحديثة غير مكتنزة بالعمل السياسي وازدادت قناعتهم بأن العمل والمشاركة المباشرة قد يكونان أكثر جدوى ونفعا من الاعتماد على السياسيين، لاسيما في المجال المتصلة بالقضايا الأخلاقية الكبرى الكامنة في حياتنا الاجتماعية

ب - "الحركات القومية"

يرى جيدنز أن النزعة القومية لم تكن لها نصيب من الاهتمام لدى علماء الكلاسيكيين و كان كل من ماركس و فيبر يعتبر أن القومية نزعة مدمرة في أغلب جوانبها ،لكن على عكس من ذلك يقول جيدنز أن فكرة الدولة القومية قد ظهرت نتائجها في القرن العشرين وتبلورت في عدة مناطق في العالم ، بالرغم من تزايد الاعتماد المتبادل بين دول العالم إلا أن فكرة القومية ترعرعت و تنامت بصورة متزايدة مما أسفر عن تأسيس العديد من الدول و النظم القائمة على أسس قومية أو إثنية مثل إسرائيل.²

4 تحليل التغير الاجتماعي:

يقترح استخدام خمس مفاهيم لتحليل التغير الاجتماعي « Giddens »

مبادئ الهيكلية	تحليل أنماط التعبير المؤسسي
توصيف الحلقات	إنشاء أنماط التغير المؤسسي لها نفس الشكل
توضيح الزمن والوقت	توضيح الإطار المكاني و الزماني
الوقت العالمي	يجب مراعاة الظروف في ضوء التاريخ والانعكاسية الاجتماعية
الأنساق المجتمعية	توضيح العلاقة بين الأنساق المجتمعية

¹ أنتوني جيدنز ، علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص 487

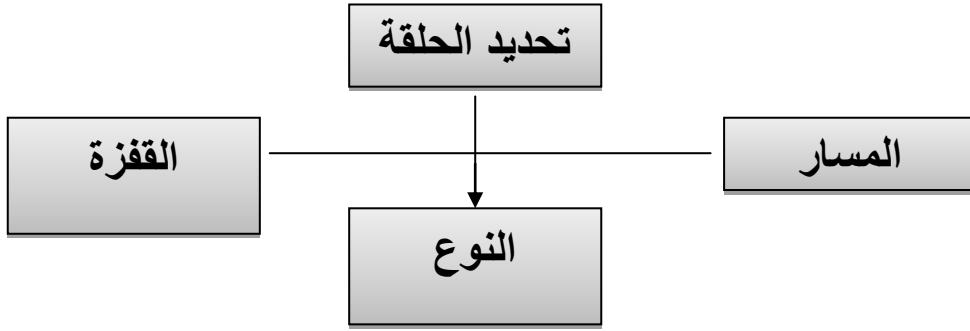
² أنتوني جيدنز، المرجع نفسه ص 109

جميع الحياة الاجتماعية يقول « Giddens »: هو عرضي، و أن الحياة الاجتماعية

هي سلسلة من الحلقات المترابطة من الأفعال والأحداث التي تشكل تسلسل معين، والتي يمكن من خلال تحديد بداية ونهاية تسلسل الحلقات الرئيسية في تحديد التغير الاجتماعي والتي تتطوي على الانتقال بين الأنواع المختلفة من مجموعات رئيسية.

و حسب « Giddens »: يمكن وصف أنماط التغير الاجتماعي

من أربعة أبعاد لتحديد طبيعة أنواع معينة من الحلقات



ويستخدم جيدنز اعتبارات لدراسة أصول الحلقة أو سلسلة من الحلقات وتحديد الإطار الزمني والمكاني، وتحديد الأحداث والتناقضات، وتحديد نوع التغير الذي يميز الحلقة ليس فقط توصيف « temps mondial »، وأخيرا تحديد مسار أو اتجاه التغير، وقصد مرحلة معينة من التاريخ، بل من شأنه أن يبرز خاصيتين هما: الإشارة إلى ظروف معينة في إطار زمني ومكاني، والثاني لا يمكن الحديث عن التغير الاجتماعي - يقول جيدنز - دون الحديث عن الفرد¹

¹A. Giddens ,ibid , p.12

المبحث الرابع: التغير الاجتماعي ريمون بودون Raymond Boudon

- سيرته

- التغير الاجتماعي

- نقد نظريات التغير الاجتماعي

- التغير الاجتماعي عند بودون

- الفر دانية الممنهجة: L'individualisme methodologique

سيرته: ولد بودون عام 1943 ، خريج مدرسة المعلمين العليا، بدأ مهنة التدريس في بورديو

1964 ، ثم بجامعة السوربون 1967 ، ثم مدير مركز الدراسات السوسيولوجية في الفترة ما بين

1967-1972 ، كون فريق لدراسة أساليب التحليل السوسيولوجي حتى 1998 عضو في معهد

فرنسا منذ 1990 g.e.m.e.s

نقد نظريات التغير الاجتماعي: "...إن هدفي ليس جرد أو قائمة جرد لنظريات التغير الاجتماعي،

ولكن لإظهار بعض النقاط من أسلوب و فلسفة المعرفة.. " هذا ما كتبه بودون في مؤلفه المعجم

النقدي في علم الاجتماع بالاشتراك مع فرانسوا بور يكو، أي مدى تمسك الفلاسفة ومن بعدهم علماء

الاجتماع خلال فترة طويلة بافتراض مؤداه أن التغير الاجتماعي يخضع لنموذج متميز بل متفرد،

فهناك من ركز على السبب الأول للتغير "مادي، اقتصادي، تقني .." وهناك من انصب اهتمامه عن

مراحل ضرورية للتغير الاجتماعي من تطور و تقدم و تحديث، وأخرى عن محرك التغير " الصراع

النزاع، " عن أشكال التغير هل هو في خط واحد أم متعدد، دوري، مستمر، أم منقطع ..الخ ولعل

الشكل الذي أدرجه بودون في كتابه la place du désordre ، يوضح تصنيفه لنظريات التغير :

LES THEORIES DU CHANGEMENTS SOCIAL

ANATOMIE D'UN PROGRAMME : QUATRE TYPES DES THEORIES DU CHANGEMENT¹

Définitions **EXEMPLE**

PREMIER TYPE : RECHERCHE DE TENDANCE - PARSONS : TENDENCE

À L'UNIVERSALISME

-CONTE : LES TROIS états

-ROSTOW : LES Etapes de la
Croissance

Deuxième type : a, lois conditionnelle -PARSONS ; industrialisation, famille

Nucléaire

B, lois structurelle - **nurkse** : cercle vicieux de la pauvreté

- **bhadurie** : caractère reproductif des

Rapports de production semi féodaux

Troisième type : forme du changement - triade hégélienne

- **Kuhn** : révolution scientifique

Quatrième type : cause de changement - weber : éthique protestante

- **Maclelland** : the achieving society

إلى جانب ذكره أن علم الاجتماع الحديث في أشكاله العلمية يميل مع ذلك إلى رفض فكرة وجود سبب مهيم للتغيير الاجتماعي، ويميل في الوقت نفسه إلى الاعتراف بتعددية أنماط التغيير فقد تكون نابعة من الداخل أو الخارج قد تكون مختلطة، أو في خط مستقيم أو متعرج، متوقعة أو غير متوقعة، هذا ويذهب للقول أن الحديث عن نظريات الغير الاجتماعي يعني أننا نستطيع أن نميز أسبابه، عزل عملياته، سماته الخارجية أو الداخلية ، أننا نستطيع تحديد شكله... الخ، لكنه في ضوء ذلك يطرح التساؤل التالي:

- هل يمكن لعلم الاجتماع أن يدعي مقولات ذات مضمون عام إلى هذا الحد حول التغيير ؟

¹Laurent magne, Raymond Boudon, la place du désordre , <http://www.dauphine.fr/index.html>

- ألا ينبغي بالأحرى أن ينحصر في تحليل مسيرات التغير المؤرخة و المحددة؟¹

الإفتراضات و الاستنتاجات

- يرى بودون أن هذه النظريات ينبغي أن تعتبر كأدوات مفاهيمية قادرة على أن تنمي فهمنا للتغير بعيدا عن التعميمات و القوانين، ففي الوقت الذي كان يعتقد البعض أنه وجدنا ضروبا من الانتظام البنائي ظهرت الفوضى²

- ان الهوس من أجل العثور على قوانين في الحياة الاجتماعية هو مجرد العودة الى عقيدة فلسفية سابقة من الممكن أن نستعمل مفاهيم مثل التطوير، التحديث، التنمية، بعيدا عن كلمة نظرية بالمعنى الدقيق لكلمة

1 التغير الاجتماعي عند بودون Le changement social

رافقت الثورة الصناعية تحولات اجتماعية، ثقافية، سياسية.. الخ، كونت خلفية التحليلات السوسولوجية كولادة البر ولتريا ، صعود البرجوازية الصناعية ، ارتقاء الأطر إقامة مؤسسات سياسية أكثر انفتاحا على المشاركة الشعبية .. الخ مما دفع معاصري تلك الفترة أو بالأحرى انصبت تساؤلاتهم عن معنى هذه التحولات ومسألة التغير الاجتماعي، أين كان الخيار محسوم بين وضع مستقر أو تغير كارثي، عموما يمكن القول أنه تحت المعطيات البنائية والديناميك الاجتماعي والمتغيرات الماكروسوسولوجية تطورها غير قابل للتنبؤ إلى حد واسع ، وبالتالي على عالم الاجتماع أن يفهم كيف يحدث التغير في كنف منظومة معينة ذات علاقات متبادلة بين عناصرها " العاملون الاجتماعيون" وعملها الوظيفي الخاضع لإرادة الأفراد الذين يؤلفونها، فالتغير الاجتماعي في علم اجتماع العمل مثلا ينجم نتيجة التفاعل بين الفاعلين الاجتماعيين بسلوكياتهم العقلانية في علاقة مع الوضع الذي يجدون أنفسهم فيه ، وهذا ما يتجلى بتجميع الضروب من فقدان التوازن الميكروسوسولوجي الذي يحدث التغيرات الماكروسوسولوجية.

¹Laurent magne, ibid.

²رغمون بودون ، فرانسوا بور يكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع ، ترجمة ، سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، بيروت، 2007 ص167-

ومنه ما ينشد التحليل السوسيولوجي للتغير ليس استخلاص قوانين بل مفعولات التجميع حاملات السيرورات، وبالتالي الانتقال من البحث عن الأسباب الى إيضاح الاستراتيجيات في شرح سلوكيات الأفراد ، بمعنى أن النزعة الحتمية في تحليل التغير تكمن بواسطة إضفاء النسبية على عناصر الشرح¹

2 الفر دانية الممنهجة: L'individualisme méthodologique

أكد بودون من خلال كتاباته عن أصالة مقارنته الفر دانية و تجزها في الإنتاج السوسيو- لوجي الكلاسيكي إذ يعيدها إلى أعمال كل من "فيبر" و "باريتو" من خلال التصنيف الفيبري المعروف للفعل الإنساني "الفعل التقليدي، الفعل العاطفي، الفعل العقلاني أقيمي، الفعل العقلاني الغائي" إلى جانب التمييز الباريتي بين الفعل المنطقي والفعل الغير المنطقي بل يذهب الى أبعد من ذلك الى امتداد جذورها لعلماء الاجتماع المعروفون برواد المقاربة الكليانية l'approche holistique التي لم تنظر للفرد إلا بوصفه نقطة عبور للأفكار الجماعية حيث تحدد طموحاته و رغباته عبر محيطه الاجتماعي على حد تعبير بودون، الى جانب عرضه لما اصطلح عليه "توكفيل" **Tocqueville** بنتاج اتساع المجال الخاص، وكذا كتدعيم لاستقلالية الفرد معياريا وأخلاقيا كما في أعمال "دوركايم" أو ما طرحه ماركس حول تدعيم المنافسة في السوق لانعزال الأفراد لنصل إلى أن يودون يرى أنه لا بد من اعتماد هذه الجزئيات كأساس لنظريات التغير الاجتماعي لدى رواد المقاربة الماكروسوسيولوجية وليس الاعتماد على الكليات، المهم في نظره أنهم يعترفون في داخل أطروحاتهم بوجود مسألة الفر دانية² ونشير إلى أن يودون يميز بين ثلاث تفسيرات للفر دانية

الفر دانية السوسيولوجية: التي تفسر سلوك الأفراد داخل المجتمع على أساس مبدأ المساواة "مجتمعات فردانية يقابلها مثلا مجتمعات مترتبة "

الفر دانية الأخلاقية : المتطابقة مع عقيدة تجعل من الفرد علامة مرجعية لا يمكن تخطيها، وتشرع المعايير و المؤسسات و اختيار القيم " تقابلها مثلا "النزعة الجماعية"³

¹ مرجع سابق ص 26-29

² زهير بن جنات، الفر دانية في سوسيولوجية ريمون بودون ، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة تونس ، العدد 28

www.uluminsania.net
ماي 2006

الفردانية المنهجية : وقبل أن نكمل ما جاء في كتاب **لوران فلوري** ، انه جاء تعريف الفرد

المنهجية في *dictionnaire de sociologie* دائية ما يلي:

L'individualisme méthodologique : paradigme selon lequel expliquer un phénomène social quelconque c'est en faire la résultante d'un ensemble de comportements individuels qu'il convient de comprendre¹

هنا تتضح لنا جيدا الرؤية الفيبرية للفردانية المنهجية أنها بمثابة براد يغم يعتبر الظاهرة الاجتماعية هي نتاج تجميع لتصرفات الأفراد التي يجب فهمها و دراستها ، فهذا البراد يغم يسعى إلى تفسير السيرورات الاجتماعية انطلاقا من الفرد "تقابلها *holisme méthode*" وبالتالي بدون يبرز كيف تنشأ الظاهرة الاجتماعية و يقدمها على أساس تحصيل حاصل، تجميع أفعال متعددة لفاعلين متعددين يتفاعلون فينتجون آثارا قابلة للملاحظة والفهم ، لكن ذلك لا يعني دائما أن الأفراد يتصرفون عن قصد ، هذا ما لخصه بدون في المعادلة التالية²

$M = M(m)$

$M = \text{effet d'agrégation}$

$m = \text{l'action individuelle}$

$M = (m) = \text{l'ensemble d'individus effectuent une action}$

الآثار غير المتوقعة

توصل بدون إلى أن الآثار الغير المتوقعة تحثل حيزا هاما في حقل الواقع حيث أولى عناية

لازمة لما هو غير منتظر لما برمج له سابقا، و يذكر في هذا الصدد أن عالم الاجتماع Robert

Merton كان سابقا في تفسير أزمة 1929 بطريقة مخالفة لما قدمه علماء الاقتصاد

آنذاك، أين بين ميرتون أن هذه الأزمة تستثير ضرورة طرق النتائج غير المتوقعة للأفعال الإنسانية،

إذ لا يمكننا توقع مدى تأثير البنية الاجتماعية على النظام التفاعلي *le système d'interaction* بين

الأفراد إذ يمكن أن نكتشف مثلا أنه في بعض الأحيان تكون الإشاعة خالقة لنظام تفاعل غير مطابق

³ لوران فلوري ، ماكس فيبر ، ترجمة ، محمد علي مقلد ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، 2008 ، ط 1 ، ص 28

¹ André akoun K pierre ansart, *dictionnaire de sociologie*, le robert seuil ;1999 p 277

² Raymond Boudon , **la place du désordre** , quadrige, 2eme édition , paris, 1998, p 52

لما كنا نتوقع على نحو ما وقع سنة 1929 حيث لجأ الحرفين إلى سحب إيداعاتهم لمجرد مرور إشاعة حول اختلال وشيك للنظام البنكي بالوم.أ¹ نصل إلى أن يودون من خلال فقارته الفردانية المنهجية طرح مسألة الفرد طرحاً جريئاً هذا الفرد الذي يعلو معه فوق كل الأنظمة والبنى ، فيغير مسار الأحداث كفاعل و يطبع حقل الواقع بطابع خاص ينأى به التحديات المسبقة و عمليات البرمجة و التخطيط ، لكن السؤال الذي يطرح، هل أن جميع الأفراد مؤهلين للقيام بعملية تغيير الأحداث؟ وهل لديهم نفس القدرات والمؤهلات بنفس المستوى والوعي؟ على العموم لقد أضافت سوسيولوجيا يودون المنهجية والمفاهيم تحول فهم مجال التغير الاجتماعي إلى مجال للفعل والحركة و صار الفرد جوهرها ومبعث وجودها

المبحث الخامس: التغير الاجتماعي عند غي باجوا Guy Bajoit

- الفرضيات Les hypothèses
 - نظرية التغير السوسيو- ثقافي: Le changement socio-culturel
 - **Ruy bajoit**: أستاذ معروف بالجامعة الكاثوليكية (بلوفانلانوف) إحدى المدن بلجيكا متخصص في علم الاجتماع، وقد كان مهتما منذ حوالي 30 سنة بإشكالية التغير السوسيو ثقافي و مفهوم الفعل الجماعي في المجتمعات النامية، وكذلك في المجتمعات المعاصرة التي يسميها بالمجتمعات الصناعية
 قد الأستاذ عدة محاضرات وندوات في موضوع التغير السوسيو ثقافي استطاع من خلالها بلورة اتجاه نظري خاص به لمعالجة هذا الموضوع و نجد له عدة مؤلفات في عدة مواضيع من أهمها ما يلي :

من أجل سوسيولوجيا عقلانية 1992 (PUF, 1992) Pour une sociologie relationnelle,

الشباب في المسابقات الثقافية 1995 Les jeunes dans la compétition culturelle

مساهمة في علم الاجتماع الموضوعي 1995 Contributions à une sociologie du sujet

الشباب و المجتمع " مجمعة الشباب في المجتمع المتحول " 1999

يقترح غي باجوا نظرية سوسيولوجية و هي دراسة مزدوجة فهي من ناحية "نظرية " لأنها تقترح مفاهيم سوسيولوجية و أدوات تحليلية تصلح كرد فعل واضح لإعطاء معنى للحياة الاجتماعية ،ومن جهة أخرى هي دراسة "تحليلية" لأنها تبحث عن إظهار مدى ملائمة هذه المفاهيم من أجل تحليل وفهم التغيرات الاجتماعية و الثقافية التي حدثت في عالم اليوم.

- الفرضيات *Les hypothèses*

Première proposition

« La sociologie ne peut comprendre la vie sociale d'aujourd'hui qu'en plaçant le sujet individuel au cœur de son *approche* »

علم الاجتماع لا يستطيع فهم الحياة الاجتماعية عندما وضع الفرد في قلب مقارنته

Deuxième proposition

« La vie sociale implique des contraintes du collectif sur les individus qui en sont membres »

الحياة الاجتماعية تتضمن الإلزام الجمعي على الأفراد الذين هم أعضاء

Troisième proposition

« Les contraintes sociales ne sont supportables et efficaces que parce qu'elles ont un sens culturel légitime aux yeux des individus »

الضغوطات الاجتماعية لا تكون مطابقة و لا فعالة ، إلا إذا كانت تحمل معنى ثقافي شرعي في أعين الأفراد

Quatrième proposition

« Par la pratiques des relations sociales, structurées par des contraintes sociales et matérielles et par des sens culturels, les individus se socialisent et forment leurs identités collectives »

بممارسة العلاقات الاجتماعية تبنى بالضغوطات الاجتماعية وبواسطة المعاني الثقافية ، الأفراد

يشكلون هوياتهم الجماعية

Cinquième proposition

« Les identités collectives sont traversées par des tensions existentielles que les individus gèrent pour construire leur identité personnelle »

الهويات الجماعية تمر عبر توترات حياتية يريد بها الأفراد بناء هوياتهم الشخصية

Sixième proposition

« Pour réaliser leur identité personnelle parmi les autres, les individus s'engagent dans des logiques d'action sociale »

لتحقيق الهويات الشخصية بين الآخرين ، يلتزم الأفراد بمنطقيات الفعل الاجتماعي

Septième proposition

« En s'engageant dans des logiques d'action sociale, les individus (re)produisent les contraintes et les sens qui structurent leurs relations sociales »

للاتزام بمنطقيات الفعل الاجتماعي ، الأفراد يعيدون إنتاج الضغوطات و المعاني التي تبني علاقاتهم الاجتماعية

نظرية التغير السوسيو - ثقافي Le changement socio-culturel

أصل التغير الاجتماعي هو " ديناميكية التبادل الاجتماعي، الفاعل الفردي و الفاعل الجماعي ، وهذا التبادل يكون ضمن خمسة حقول مترابطة ومتواجدة في الجماعة بطريقة ملموسة ، و في نمط المبادلات فان الفرد يعمل لينتج و يخزن و يزيد من ضغطه على الآخرين و يجعل من أفعاله شرعية و هذا يتم باسم المبادئ وهي عبارة عن مبادلات ينتج عنها نظام و معنى اللذان يشكلان العلاقات الاجتماعية

- أشكال و مسالك التغير الاجتماعي :

L'évolution التطور

التغير هو النتيجة الحاصلة لمجموعة من الأفعال الفردية و هو معد قبل الأفراد فئة اجتماعية غير منظمة inorganisées دون أن توجد بينهم رابطة تدفعهم للتضامن فيما بينهم، و بعد التطور سواء القصير أو الطويل الأمد يتشكل التضامن و تظهر الاستراتيجيات في الفئة الاجتماعية

La réforme إعادة التشكل

التغيير الاجتماعي

إن التغيير شيء يبحث عن فاعل جماعي منظم *organisée* يسعى للحصول على ما يريد ويعتمد في ذلك على تقنية المناقشة مع الفاعلين الآخرين، ويظهر إعادة التشكل كقرار جماعي وعي التطور الى اتخاذه ، يتم تشكيل شروط معاهدة اجتماعية و سياسية و هي تحت تهديد النزاعات سواء كانت النزاعات في أوجها أو لا زالت في نقطة انطلاقها.

التمرد La révolte:

التغيير عبارة عن حركة تعبئة عفوية *Mobilisation spontanée* لإعفاء فئة اجتماعية في المبادلات التنازعية أو متناقضة، ونقطة الاشتراك مع التطور خاصة ضعيفة التنسيق بين المشاركين حيث طبيعة التضامن أكثر فاعلية في التطور.

الثورة La révolution:

التغيير هو نتيجة الفعل الذي تقوم به فئة اجتماعية بها التضامن منظم "*organisée*" والتضامن يتخلل ضمن التبادلات التنازعية و المتناقضة و الثورة هنا عبارة عن طريقة للتغيير لا هي نتيجة نهائية وإذا ما لاحظنا في الفرق بين الأشكال الأربعة للتغيير فننا سيظهر لنا

1- درجة تنظيم التضامن بين المشاركين

2- الكيفية التي يتعامل بها الأفراد

بالنسبة الى التطور والتمرد الفاعلون أقل تنظيما ويتخذون قراراتهم بشكل فردي *prennent* « des décisions individuelles » لكن لا يشكلون بينهم تضامنا وثيقا، على عكس إعادة التشكل والثورة كما نسجل كذلك أن التطور وإعادة التشكل نجد أن قرارات الفاعلين تستقبل من قبل فاعلين آخرين بواسطة المناقشة « *négociation* » وهنا يتم التغيير بالتعاون والجماعة، أما في التمرد و الثورة فان المجتمعات تواجه نظاما مغلقا مما يدفع الأفراد للبحث عن التمرد

التغيير السوسيو- ثقافي في المجتمعات الحديثة :

مركز المفاعيل : الثقافةقراطية. *Le cœur du réacteur : la culturocratie*

منطق المكتشف: La logique de l'innovateur:

ان خطوة التقدم التكنولوجي من تعميم التكنولوجيات الاتصالية و الإعلامية هذا كله اوجد عالم بلا حدود وأسواق عالمية خارجة المجالات الجغرافية .

منطق المسير: La logique du manager:

نحن اليوم نعيش ضمن حركة ليبرالية مدمرة وعالمية خاضعة لتسيير أصحاب المصالح والمؤسسات الكبرى والمتعددة الجنسيات والمدعومة من طرف المنظمات العالمية والقوى المهيمنة

منطق المستثمر: La logique de l'investisseur :

منطق المستثمر دائما نفسه، هو البحث على استثمار رأس ماله و الربح أكبر قدر من المال في أقل وقت ممكن

التداخل بين المنطقيات الثلاثة: Les interactions entre les trois logiques:

كل من المنطقيات الثلاث له هدف معين ومختلف ، إلا أنها تتفاعل فيما بينها وتتفاعلها هذا تشكل مركز المفاعيل ، لأن منطق المنافسة بين المسيرين يميل الى الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة والبحث على عامل تحسين الإنتاج ،لأن أول من يحصل على التكنولوجيا يربح القدرة على كسب السوق ، وهنا يحاول المستثمرون مجارات هذه الحركة أو حتى سبقها

إن هذه الحركة يقول باجوا ببناءة و مدمرة constructive mais destructrice في نفس الوقتلأن المنافسة تتسبب في تغيير بنية المؤسسات و إحداث حالة عدم الثبات التي تؤدي الى ظهور البطالة ، بينما يؤدي تحويل رؤوس الأموال الى أزمات اقتصادية و جهوية أو إقليمية

الحركة الاجتماعية التسييرية: Le mouvement social gestionnaire

وهذه التسمية للفاعل الذي يحمل معه مشروع المجتمع و نموذج، وقد يكون هذا المشروع اقتصاديا، أو اجتماعيا، أو ثقافيا ، يهدف الى المصلحة العامة و يعتبر هذا التفاعل بين المنطقيات الثلاثة السابقة هي حركة من هذا النوع، هذه الحركة التي سمينها "الثقافية" هي مسيرة وشاملة، مسيرة

لأنها تقوم ببيت نموذج جديد للفرد و شاملة لأن بتحقيقها لهذا النموذج فإنها تسبب تكاليف اجتماعية و نفسية و بيئية وثقافية ، وفي المقابل هذه الحركة هناك الحركة الاجتماعية المعارضة *mouvement*

social contestataire المعارضة لأي تغيير، وينشئ نوع من التضارب بين الحركتان مما يولد

تطورا بطيئا للقيم التي تفر الزيادة المستمرة لشرعية النموذج الثقافي المماثل

خلاصة : من خلال ممارسة العلاقات الاجتماعية فان المجتمع ينتج أفراد و هؤلاء الأفراد ينتجون

المجتمع بواسطة بحثهم عل تحقيق هوياتهم فيه ،

"La société produit des individus, qu'ils (re)produisent en cherchant à y réaliser leur identité".

وإذا كان أي خلل فانه يكون على مستوى هوية الفرد ، وبالتالي تحدث أزمة الهوية عندما يعجز

الفاعل على تحقيق الهوية الشخصية ضمن الهوية الجماعية للفاعل الجماعي ، وهذا نتيجة غياب

النموذج الثقافي الموجه للمعاني وتكون الأزمة الانتقال من التطور وإعادة التشكل، نحو التمرد و

إنتاج الثورات المعارضة

المبحث السادس : النخبة و دورها في التغيير الاجتماعي غي روشي - كندا نموذج -

في الحقيقة هذا المبحث هو عبارة عن ترجمة لدراسة غي روشي وظهرت على شكل كتاب

"Multiplication des élites et changement social au Canada français". Un article publié dans la *Revue de l'Institut de sociologie* 1, 1968, pp. 79-94

Bruxelles: Université libre de Bruxelles

وهو جزء من هذا الكتاب المعنون أعلاه ل- غي روشي -

Guy Rocher

من مواليد 20 أبريل 1924 Berthierville ، هو عالم اجتماع ، أستاذ ومحاضر في كيبك. هو

أستاذ العلوم الاجتماعية قسم علم الاجتماع في جامعة مونتريال والباحث في مركز للبحوث في مجال القانون العام¹

أردت في هذه العجالة أن أستعين ببعض الأمثلة الحديثة في ما يمكن أن تقوم به النخبة المثقفة من إصلاح و تغيير في الحياة الاجتماعية و عليه تضمنت هذه الدراسة الخطوات التالية وهي نفسها التي ترجمتها :

مدخل عام: ان دراسة النخبة المثقفة يمنحنا أفضلية لفهم أكثر عملية التغير الاجتماعي، وهناك ثلاث طبقات للنخب المثقفة التي كان لها التأثير بشكل خاص وملاحظ في كندا في السنوات الاخيرة ، وهي نخبة الخبراء ، و النخب الأيديولوجية ، والنخب الرمزية ، ونشير الى أننا سنتطرق الى كل فئة بالتحليل بعد الحديث حول مفهوم النخبة عند غي روشي.

مفهوم النخبة: من الواضح أن مصطلح النخبة استخدم بشكل واسع و غير محدد في تعريف واحد، بل تعددت أوجه استعماله ، حيث نجد ذلك مثلا باريتو ، و موسكا و ميلز ، داهرن دورفوبوتومور

Ralf Dahrendorf et T.B. Bottomore, Pareto, Mosca et Mills

ان مفهوم النخبة استخدم من طرف هؤلاء الكتاب يتحدد بشكل خاص بالطبقة المهيمنة أي الحاكمة و في الأخير الطبقة السياسية حتى و لو أمكننا التمييز مثلا عند باريتو بشكل خاص بين « l'élite gouvernementale » et « l'élite non gouvernementale »،

"النخبة الحاكمة" و " النخبة الغير الحاكمة " ، لكن على قدر اختلاف المفكرين في تحديد مفهوم المثقف الا انهم يتفقون دائما في أن النخبة المثقفة تملك من قوة ضغط و سلطة فكرية و تدافع على فئة معينة من الناس

وبالتالي نعرّ فمن جهتنا النخبة على أنها تتشكّل من أشخاص أو مجموعة من الأشخاص حيث يكون لأدائهم دلالة بالنسبة لفئة أو جماعة، والذين يمارسون تأثيرا ،سواء بالسلطة أو السيادة اللتان يتمتعون بها ،أو سلطة الأفكار أو المشاعر أو الانفعالات التي يعبرون عنها أو يرمزون إليها. « Un groupe et qui y exercent une influence, soit par le pouvoir ou l'autorité dont ils jouissent, soit par les idées, les sentiments ou les émotions qu'ils expriment ou qu'ils symbolisent.»

¹ http://fr.wikipedia.org/wiki/Guy_Rocher

تداخل النخب والتغير الاجتماعي

من جانبنا تكمن الاشكالية التي طرحتها في الانتقال من - العلاقة بين تطور النخب والبنى الاجتماعية - الى الأكثر تحديدا ، وهذه الاشكالية هي التعقيد المتزايد للنخب **la complexité croissante des élites** في المجتمع الحديث و انتشارها - أي النخب - في فترة التغير الاجتماعي السريع ، و نشير الى أن النظريات التطرية فيالقرن التاسع عشر قد ركزت بدورها على **التعقيد و التخصص " la spécialisation la complexité et"** التي تصاحب التغير الاجتماعي لاسيما الداروينية الاجتماعي " **هربرتسبنسر**" ، الانتقال من التجانس إلى اللآتجانس **Passage de l'homogène à l'hétérogène**

و كذلك الأمر بالنسبة " **لدوركايم**" الانتقال من التضامن الآلي إلى التضامن العضوي **Passage de la solidarité mécanique à la solidarité organique** والمجتمع يظهر فيه تقسيم العمل الذي يصبح أكثر تعقيدا و تنوعا ، ويكون نوع جديد من التكامل بين وظائف البنى الاجتماعية المختلفة.

والملاحظ في علم الاجتماع الجديد ، و لاسيما علم الاجتماع الأمريكي في دراسة التغير الاجتماعي بالرجوع الى المفاهيم القديمة مثل التعقيد و التخصص ، كما ظهر مفهوم جديد وهو « **différenciation** التمايز وهو يستخدم خاصة في وصف ظاهرة جد معقدة و مركبة وهو يستخدم كذلك أحيانا لوصف العملية التي هي جزء من منظمة كلية منقسمة ومثال ذلك في العمل الصناعي أو النظام البيروقراطي، ما نتج عنه من تقسيم المهام و الوظائف وحتى الأهداف وهذا لوحظ مثلا في النظام الكلاسيكي في العمل عند جورج فريدمان "العمل بالقطعة"، و أما في العصر الحديث نجد بارسونز استخدم هذا المصطلح- التمايز - في دراسة المجتمع الحديث و تفسيره ظاهرة الدين والقوى السياسية التقدمية و وظائفها و بعض الوظائف الأخرى مثل التعليم ، لتصبح أكثر تخصصا وأكثر تحديدا وأقل انتشارا في التنظيم الاجتماعي ، ويعتبر التمايز لا سبب و لا نتيجة للتغير الاجتماعي

.....

- النخب في كندا الفرنسية

على ضوء هذا التعريف للنخبة المثقفة لغوي روشي يمكننا تحليل تضاعف النخب ودورها في كندا ، التي شهدت في السنوات الأخيرة تغيرات اقتصادية و اجتماعية عميقة ، تغيرات في الذهنيات،

هذه التغييرات حدثت بسرعة فائقة و كانت مفصلة أكبر بكثير مما قد يكون في دول العالم الثالث أو حتى ما حدث في العالم الغربي

ويشير روشي إلى قضية مهمة في هذه الدراسة إلى ، ظهور أو بروز نخب جديدة وفي نفس الوقت انحلال النخب القديمة، فهذه الظاهرة في اعتقاد روشي هي التي كان لها الدور البارز و السبب التفسيري وهو الذي أعطى أو ساعد على تسريع عملية التغيير وإعطائها نفساً جديداً و وتيرة أسرع وهو يشير بذلك إلى النخب الثلاث التي ظهرت وهي المشار إليها آنفاً:

نخبة الخبراء:

إن أهم ما يميز هذه الفئة هو تطور طبقة الموظفين السامين في خدمة حكومة الكيبك. إلا أنه ومن دون شك كانت نسبة الموظفين السامين في الحكومة الفدرالية مقارنة بالإقليم ذلك أن التوظيف يبنى بشكل كبير على معايير غير عقلانية تُغلب العرق الأقوى والأكثر تأثيراً.

لقد سمح التركيز في الآونة الأخيرة على دور الحكومة الكيبكية، من منظور القومية والأوضاع المترفة على حد السواء، للعديد من الوزارات بتوظيف متخصصين في المناصب الأساسية في الإدارة. وهم في غالبيتهم خريجو جامعات لطالما أرادوا ممارسة تأثيرهم على بعض التطورات الجارية و هذا ما يخولنا أن نسميهم بالنخبة: هؤلاء الذين قدموا من خلال التوظيفية بنية واضحة لممارسة التأثير الشخصي والاستفادة من النظام السياسي الجديد لطرح أو تطبيق برنامج عمل أو إصلاح. هؤلاء الذين دخلوا في خدمة رجال السياسة بصفقتهم شركاء في شركة مشتركة أو بالأحرى كتابعين. وهذا في الواقع

يتسم موقفهم الأيديولوجي عموماً بالاعتدال المنسجم بين القومية والاشتراكية. لكن معتقدتهم الأقوى و الأعمق مرتكز على ضرورة قيام الحكومة التي تتمتع بسلطة متزايدة بعمل فعال؛ مما يرجح فكرة ظهورهم كخبراء لا كأيديولوجيين ورجال عمل لا "معرفين".

تنبثق نخبة الموظفين السامين أساساً من المؤسسات الجامعية التي تختلف عنها باستمرار إذ لا تزال تحتفظ ببصمة الميدان الجامعي ولكن تختلف عنه في ردود أفعالها ومواقفها وأحكامها التي لم

يتخذها جامعيون وإنما رجال عمل انخرطوا في مهمة لها متطلباتها. تتم عملية التفرقة هذه من خلال التخصص في مجال تطبيق موافق لعلمهم أو لمجال خبرتهم و تعليمهم.

وهذا ما تمنحهم إياه الفرص، أحيانا غير المنتظرة وأحيانا انتظروها لوقت طويل ، و هو التأثير على التطور التاريخي من خلال السلطة المؤسساتية.

هناك نخبة أخرى أقل ظهورا من النخبة البيروقراطية وهي نخبة الأعمال وككل النخب

البورجوازية فهي لا تحبذ الإشهار وتفضل الأفعال على الأقوال ما يجعل التعريف بها أمرا صعبا. توضح الدراسة التي قام بها جون بورتر - الذي سبق ذكره- المشاركة غير الكافية للكنديين الفرنسيين في النخبة الكندية للأعمال ولطالما عانت كندا الفرنسية من غياب نخبة بورجوازية حقيقية ونقصد بها بورجوازية المقاولين والممولين وكبار التجار. تم التصنيع في الكيبك من خلال رؤوس أموال ورأساليين كنديين انجليزيين (انجليزيين أو أمريكيين) ولكن هذا لا يخفي أن هناك بذرة ستنمو لرجال الأعمال ينتمون إلى كندا الفرنسية لهم من يتحدث باسمهم وولهم أيضا فلسفة اجتماعية وسياسية جد واضحة. ومن الأهمية بمكان أن نضيف أن نخبة الأعمال في منافسة آنية مع نخبة الموظفين السامين (متنافسون في بعض النقاط). تتعارض مفاهيمهم خاصة فيم يتعلق بدور الدولة ومدى تدخلها وطرق عملها في شتى الميادين لاسيما في المجالين الاقتصادي والمالي. إن رهان تجربة هذه القوة عظيم: إنها الهياكل الاقتصادية الجديدة للإنتاج خاصة والتي ستساهم في بناء المستقبل.

- النخب الأيديولوجية

وهي تتألف من أولئك الذين يتحدثون أو تسعى للتحدث عن المجتمع أو جزء منه للتعبير عن الإحتياجات والمطالب، أما عن الظهور التاريخي لهذه النخبة كان بعد الحرب العالمي الثانية، أن آلية إنشائها كان الجامعة و كانوا ينتمون إلى ثلاث تيارات ، القومية الفرنسية التيار الاشتراكي، والتيار العلماني، وظهور تيار متأخر نوعا ما هو، التيار الطلابي ، وعلى العموم ، نجد روشي يركز في تحليله على أهمية هذه الفئة - الأيديولوجية - و ما كان لها من تأثير داخل المجتمع في الكيبك و الدور الفعال في تسريع وتيرة التقدم في كندا

- النخبة الرمزية:

وهي فئة ثالثة تستحق اهتمامه هي الأخرى- يقول روشي - تتمثل في مجموعة الأشخاص والذين يُقدمون رمزيا طريقة للوجود بنوع من الفكر السياسي و الإجتماعي فهي تتمحور في الفنانين في الراديو والتلفزيون وما لهذه الفئة من تأثير في الحياة اليومية والحقل التفاعلي الإجتماعي.

الفصل الرابع:
النخبة المثقفة في الجزائر

تمهيد:

سنحاول في هذا الفصل الحديث حول النخبة المثقفة الجزائرية من خلال تتبع مسارها التاريخي وصولا الى وقتنا الحالي ، مرورا بمجموعة من المباحث التي تفصل مكانة المثقف في الجزائر مرورا بأشكاليات المرجعية و اللغوية التي من شأنها تشكيل المثقف الجزائري ، قاصدين بذلك الوقوف على الأرضية التي يقف عليها المثقف

المبحث الأول: النخب المثقفة الجزائرية قبل وأثناء الاحتلال الفرنسي

إن دراسة النخبة المثقفة الجزائرية بقصد الوقوف على ملامحها وأنماطها وأدوارها يتطلب الرجوع الى بداية تشكلها لتتبع مسيرة تشكلها عبر مراحل حساسة من التاريخ، و يمكن على العموم أن تقسم الى أربع مراحل تاريخية أساسية حسب الأستاذ زمام نور الدين :

1 المرحلة الأولى 1830 - 1962 البدايات الجينية الأولى لتبلور النخب المثقفة الجزائرية التي ساهمت عدة عوامل في تشكيلها وبلورتها و اتجاهاتها في الواقع لقد كان المجتمع الجزائري قبل الاحتلال الفرنسي يتكون من ثلاث نخب اجتماعية مسيطرة لكل منها وظيفتها ومكانتها الاجتماعية، وأن أهم ما يميزها كونها نخب تقليدية. الدخول لكنها لعبت دورا مهما ضد الاحتلال وكانت ترى فيه أنه احتلال ديني صليبي أكثر منه سياسي ، وتخوفها من المساس بالاسلام جعلها تستجد بلأتراك باسم التضامن الاسلامي ، وعليه كان الوظيفة الأساسية لنخب الجزائرية في ذلك العصر هو بالدرجة الأولى الحفاظ على الإسلام

"D'une formation fondamentalement religieuse traditionaliste et obsolète, plus morale

qu'éthique ou politique, cette élite va incarner avec des méthodes désuètes la résistance à la pénétration et à l'agression colonialistes aux XIX siècleavait fait appel au corsaires trucs pour venir défendre, au nom de la solidarité islamique, la terre algérienne contre les incursions des chrétiens.. »¹

أما عن تلك النخبة فقد تمثلت كما جاء في كتاب الأستاذ محفوظ السماتي " النخب الجزائرية.

في ظل الاستعمار * les élites algériennes sous la colonisation *

أ - نخب الجواد: L'élite djouads

ب - نخب الشرفاء ، المرابطين Chourafas ou marabout

ج نخب الحضرة ، البرجوازيين² Hadars ou bourgeois plutôt habitant

¹Boudiaf Saïd Nacer et autres. "Résistances actives et passives en Algérie coloniale 1832-1962, Elites Algériennes- Histoire et conscience de caste, Algérie, éditions: Apic, 2005, Livre, p 42

²Smati Mahfoud. Les élites Algériennes sous la colonisation Algérie, éditions : enag, réguaia, algérie, 2009, p26

أ - **نخبة الجواد:** يرى الأستاذ محفوظ سماتي أن هذه النخبة تنتمي تنتمي الى قبائل المخزن و هي بدورها تنقسم الى ثلاث فئات : الدوايدي ، والدواير ، السمالية ، Les daouadis, douairs, smalas, تنتمي إليها شخصيات ثورية مثل الأمير عبد القادر الشيخ المقراني، بوعمامة.... الخ ولعل ما يميز هذه النخبة هو الجانب العسكري، وحتى لا نطيل الكلام في الجانب التاريخي الذي ارتأته الضرورة، أثبت أستاذنا محفوظ سماتي أن هذه النخبة اتبعت إستراتيجية للحفاظ على قوتها ومكانتها الاجتماعي عن طريق توجيهها أبنائها للتعليم في المدارس الفرنسية آنذاك و ذلك لإعادة إنتاج نفسها، وقد كان " الشبان الجزائريين " النخبة المثقفة الناتجة عن هذه الإستراتيجية

« Mais celles qui réussissent à suivre, renouvellent leur énergie et développent une stratégie qui leur permet de se maintenir Dans leur statut et de continuer à dominer. Elles optent pour L'aide française, elle leur assure alors reproduction des élites¹ » .

وهؤلاء الشبان الجزائريون هم الذين تكونت وتشكلت منهم النخبة المعاصرة

« Les jeunes algerienes » sont le produit de cette institution éducative, qui donne naissance à l'élite moderniste,

ب - **نخبة الحضر:** المقصود بالحضر هم سكان المدن، و بعد الدخول الفرنسي للجزائر هاجر جزء منهم إلى فرنسا ، ويسمون كذلك بالبرجوازيين ، كما أنهم انجذبوا و تأثروا بالحضارة الغربية، ومنهم على عكس ذلك أي فضل الجهاد والانضمام إلى نخبة الجواد هكذا وصفهم الأستاذ سماتي

* Une partie de la bourgeoisie attirée par la civilisation moderne, se jeta dans les bras de la France.

* les autres Bourgeois réfractaires à tout compromis avec l'ennemi,²

ج - **نخبة المرابطين:** إن هذه النخبة تلتقي أساسا مع نخبة الجواد في معنى الجهاد الإسلامي، و لا غرابة إذن في أن هذه النخبة كان لها الباع الطويل في المقاومات الشعبية ضد فرنسا ،

¹ Smati Mahfoud. Op.cit, p 262

² Smati Mahfoud. Op.cit, p101

وعرفت أساسا بالزوايا مثل : الرحمانية والقادرية و الدرقاوية والقادرية الخ.....، وهذه النخبة تنقسم بدورها كما وصفها الأستاذ سماتي إلى :

A Les chorafa : remontent leur généalogie à la famille du prophète. Ce sont les descendants de l'imam ali et son épouse fatima

B Les marabouts : issus d'un comlagnon illustre du prophète

C Les marabouts venus de saguiat alhamra

D Lea marabouts formés à la dure école de la confrérie ou de lordre religieux ¹

1 الشرفاء : الذين ينحدرون من علي أو زوجته فاطمة - رضي الله عنهم -

2 المرابطين الذين ينحدرون من أحد صحابة الرسول - صلى الله عليه وسلم -

3 مرابطين الذين جاءوا من الساقية الحمراء

4 المرابطين الذين تكونوا في الزوايا ، وكونوا زوايا

إن هذه النخبة تجددت و أعادت إنتاج نفسها بتوجيه أبنائها ليس إلى التعليم الفرنسي هذه المرة ، بل من التعليم العربي الإسلامي إلا بالمعاهد العربية الإسلامية في المشرق والمغرب و كانت النتيجة هي ظهور نخبة جديدة التي عرفت بالتيار السلفي "

« Dans le milieu maraboutique et notamment hardi des jeunes lettrés (Ulamas) de retour du moyen- orient et de Tunisie, rompent avec

La tradition ancestrale, ils donnent à l'islam et à la culture arabe un souffle nouveau, ils réclament également le même traitement appliqué

Aux autres cultes »².

من خلال هذا السرد التاريخي يتضح لنا شيء مهم وهو، اندثار النخبة التقليدية و ظهور النخب الجديدة سببه فشل النخب التقليدية أمام الحنكة والقوة الفرنسية الذي عبث بالثقافة الجزائرية وأرادت طمسها.

- **النخبة المعاصرة:** إن هذه النخبة لهل رؤية مختلفة و ذات مطالب جديدة ، وهي متكونة في الأساس إما .في المدارس الفرنسية أو المعاهد العربية الإسلامية ، " مثل جمعية العلماء المسلمين

¹Smati Mahfoud. Op.cit ، 139 140

²Smati Mahfoud.Op. cit, p 263

الجزائريين"، فمنهم الإداري والإمام والمحامي، والمحاسب والأستاذ المكونين للنخبة المفرنسة، و منهم المعلمين في المدارس العربية - الحرة الخاصة- و من بين أهم النخب التي برزت في ذلك الوقت "الشبان الجزائريين" *Les Jeunes Algériens*

وأهم ما يهني هذه النخبة هي مطالبتها في تحسين أوضاع المجتمع الجزائري، وتحقيق المساواة مع الفرنسيين وحرية المعتقد.....الخ، وعليه كانت هذه النخبة ذات طابع وطني، لها بعد سياسي لكنه اجتماعي وثقافي، وأهم ما ميزها كذلك أنها جاءت بأفكار جديدة ، أما عن تأثيرها و نجاحها داخل المجتمع، لم يكن يتسنى لها ذلك، لأن غالبية أعضائها متجانسين بالجنسية الفرنسية و درسوا في المدارس الفرنسية أو متزوجين بأجنبيات حاملين للثقافة الغربية داعين للاندماج، و قد حاولت الإدارة الفرنسية منذ الوهلة الأولى للاحتلال لتكوين نواة تتولى المناداة بلاستغراب Occidentalisme والاندماج لتسهيل مهمة الاحتلال ومن جهة أخرى نظمت إدارة الاحتلال سنة 1938 رحلات إلى باريس للأعيان ولبعض الأطفال للتأثير على اتجاهاتهم وأفكارهم، وبالفعل ساهم ذلك في ظهور أدب الرحلات ذي الأهداف الدعائية، ومن أبرز تلك الأعمال رحلة محمد ولد القاضي المعنونة (الرحلة القاضية في مدح فرنسا وتبشير البادية)¹

والى جانب ذلك استخدمت الإدارة الفرنسية أسلوبا غريبا لتشكيل نخبة مثقفة "مغترية"، وقد تمثل ذلك في خطف الأطفال (1843) الذين بلغوا العاشرة من أعمارهم وحملهم إلى فرنسا وفصلهم عن ذويهم، وإدخالهم إلى مدارس مجهولة، كحقل تجارب للتأكد من قدرة الإدارة الاستعمارية على استمالة جزء من الشعب الجزائري، وتكوين طابور موال لها وقد تخرج من هذه المدرسة وغيرها بعض المترجمين والكتاب والمعلمين، الذين شكل بعضهم نواة التيار الاندماجي، الذي كان يعتقد أنه الداعي لثقافة الأنوار، وأصبح بعض هؤلاء من أكثر المدافعين عن نظام الاحتلال، بوصفه السبيل الوحيد للنهوض والتطور² مما جعل هذه النخبة تقابل بالرفض، و عدم إقبال المجتمع الجزائري عليها و كانت ترى فيها تهديدا على هويتها ومعتقداتها و لغتها و تقاليدها.

« Cette élite va connaître par contre un problème bien singulier... car ce savoir est un savoir

Extérieur à la société autochtone... Et vise à l'émergence d'un savoir de constitution et

¹ أبو القاسم سعد الله 1998 (تاريخ الجزائر الثقافي 1930-1954). الجزء السادس. الجزائر: دار الغرب الإسلامي. صص 141-266

² عبد القادر جغلول تاريخ الجزائر الحديث، دراسة سوسولوجية. ترجمة فيصل عباس. بيروت: دار الحدائث. الجزائر: ديوان المطبوعات

D'autonomisation, non seulement de l'élite en tant que telle, mais aussi et surtout d'une Société nouvelle (projet indépendantiste et/ou assimilationniste)¹ .

وثاني نخبة التي ظهرت وكان لها تأثير كبير داخل المجتمع الجزائري الحركة الإصلاحية أو ما تعرف ب : جمعية العلماء المسلمين كنخبة جديدة وعصرية أخذت بزمام الأمور كان تاريخ ظهورها في ماي 1931 ، لقد كانت الظروف القهرية التي تعيشها الجزائر جد صعبة و خاصة مع تصاعد النزعة الاندماجية وانتشار الخرافات والدجل من جراء السياسة التعليمية الفرنسية ، فمن بين هذه الظروف المساعدة و التي دفعت فئة مثقفة تأخذ على عاتقها مهمة حماية المجتمع الجزائري من محاولة طمس الهوية و تهدد كيانه ، أن تأثير هذه النخبة المثقفة بالأفكار الإصلاحية تعود جذورها إلى زيارة محمد عبده للجزائر عام 1903 الأمر الذي ساعدها على الإطلاع على وجه الإسلام المعاصر ، مذ تلك الفترة أخذ التيار الإصلاحي يأخذ مجراه في صنع تاريخ الحركة الإصلاحية الجزائرية ، دون أن ننسى الحرب العالمية الثانية و ما لها من تأثير في توعية الجزائريين من خلال مطالبتهم بتحسين الأوضاع ، وعودة فئة طلبة العلم من المشرق العربي مثل الشيخ ابن باديس و الشيخ الإبراهيمي متأثرين بأفكار الشيخ محمد عبده و زميله رشيد رضا و غيرهم من المشايخ حاملين بذلك أفكار جديدة و مقتنعين بضرورة التغيير و الإصلاح .

المرحلة الثانية 1962 أي مرحلة الاستقلال ، في حين المرحلة الثالثة بدأت مع بداية 1967 أي مع بداية انطلاق التجربة التنموية الجزائرية أما المرحلة الرابعة 1980 فبدأ مع التعديل مسار التنمية ، و قد شهدت هذه الحقبة حاسمتين بدأت الأولى مع شروع السلطة الحاكمة في تعديل المسار التنموي للجزائر ما أعقب ذلك من تغيرات اجتماعية و سياسية و ثقافية انعكست على كافة النخبة الاجتماعية بما فيها النخبة المثقفة، أما الحقبة الثانية فتميزت بالصراع الاجتماعي و تعميق الفجوة بين السلطة الحاكمة و الجماهير مما جعل هذا الأخير يتخذ موقف الرفض للسلطة القائمة خاصة بعد وأد التجربة الديمقراطية في الجزائر²

من خلال هذا المدخل الذي كان الهدف من وراءه ليس السرد التاريخي ، أو التأريخ لفترة ، بل كان الهدف منه هو محاولة منا استقراء لدور النخبة المثقفة و مدى فعاليتها و تأثيرها داخل المجتمع

¹Boudiaf Saïd- Nacer et autres. Op. cit, p 47

²الأستاذ زمام نور الدين ، جامعة بسكرة، علم الاجتماع حول سوسيولوجية المثقف الجزائري،الجمعة 17 سبتمبر 2010 20:20

الجزائري ، بشرط إذا توفرت الإرادة و فئة تحمل على عاتقها المسؤولية ، مستعدة للتضحية في سبيل قضايا الأمة

المبحث الثاني: خصائص النخبة المثقفة الجزائرية في الوضع الراهن

ينبغي أن نحدد المصطلح ونحدد من هو المثقف؟ هل هو المتعلم؟ إذا قلنا إن المثقف هو المتعلم، ففي هذه الحالة فإن عدد المثقفين كبير جدا. وهذا غير صحيح، ففي كل المجتمعات ليس المتعلم بالضرورة مثقفا. المتعلمون لهم أدوار أخرى وقد شهدنا في تونس مثلا إن تحسين مستوى التعليم يمكن أن يؤثر، لكن ليس بشكل مباشر. وبعيدا عن ثنائية المثقف والمتعلم، فإن المثقف هو صاحب الرأي الذي يهتم بالشأن العام وليس بالضرورة صاحب إيديولوجيا، وأعتقد أن أصحاب الإيديولوجية انتهوا. شهدنا في الحركات الاحتجاجية، المثقف الإسلامي والمثقف اليساري بهذا المعنى لم يكن لهم حضور في هذه الحركة، أما حول استقالة المثقف الجزائري و انقطاع دوره .

يرى عبد الناصر جابي، أستاذ علم الاجتماع السياسي في جامعة الجزائر أن "القطاعية" ساهمت بشكل كبير في انعدام الفاعلية لدى النخبة المثقفة الجزائرية، التي منعتها كذلك مشاكلها الاقتصادية من أن تستسلم لإغراءات السلطة الغنية. ويرى أن التاريخ الجزائري تميز في فترات مفصلية بعملية إفراغ للمجتمع من نخبه، ويرى أن النخبة الجزائرية "من أكثر النخب انتهازية" في العالم، و المقصود بالقطاعية هو الانقسام على مستوى الإيديولوجي واللغوي ، فالمثقف حسب أستاذنا لم يستقل ، لكن تأثيره يبقى قطاعيا، المثقف المغربي يحاور جمهورا معيناً والمثقف الفرنسي يخاطب جمهورا آخر، وكل واحد يستعمل لغة محددة ومفاهيم محددة ولا يتوجه إلا إلى جزء من الأمة. وعندما نصل إلى المستويات السياسية يتحوّل الأمر إلى قطاعية. هناك جرائد تتوجه إلى جمهور معين. جريدة "الوطن" ذات تأثير كبير جدا لكن في قطاع معين، في الفئات الوسطى والإطارات وكبار السن. أما "الشروق" فلها تأثير لدى قطاع آخر الذي يمثله المتعلمون باللغة العربية. نحن في مستويين متباينين والنتيجة هي ضعف تأثير المثقف وعدم وجود مثقفين يقومون بعملية تجسير. "المثقف الوطني" غير موجود في الجزائر لكنه موجود في تونس وموجود أيضا في المغرب وفي مصر¹.

أما الأستاذ نور الدين زمام فقد كتب حول المثقف أن ثنائية الخطاب الثقافي في أي مجتمع، تُخفي وراءها تبايناً في المواقف واختلاف في الأدوار، بحيث تجعل من المستحيل الحديث عن نخبة مثقفة متجانسة قادرة على توحيد الرؤى والأفعال خلف هذه الثنائية المتوازية تحتشد صفوف المثقفين من صناعات الفكر وأهل الفن والمبدعين على طرفي نقيض، بحيث يحفل كل فريق بما لديهم من مورد ومعين، ويحتفي كل طرف بما يوجد من أثر وخطاب.. فدورنا كباحثين سوسيولوجيين، كما يقول بورديو، هو استنطاق المجتمع والاستماع إليه وليس الحديث باسمه، دون أن يعني ذلك أن يحرم أهل العلم من التعبير، وتترك الكلمة لغيرهم، كما هو سائد في بعض الشؤون الأخرى.

يمكن القول بأن تذبذب مواقف النخب المثقفة، وتنازلها الطوعي عن مكانتها كضمير يقظ وقلب نابض للأمة، ومعبّر مقبول عن روحها وآمالها وأمانيتها، وتضييعها التدريجي لاستقلالها وسلطتها المعنوية، وتراجعها إلى أدنى مراتب النخب الاجتماعية، واحتمائها المذل تارة بالمعادن ومرة بالقصدير، جعلها تفقد دورها القيادي في المجتمع، وتعجز عن تقديم أبسط الخدمات "المعنوية" لأبناء مجتمعها.

وبسبب تراجع ونكوص هذه النخبة عن مراكزها برزت أطراف جديدة، جاءت من التخوم لتحتل ساحة الثقافة كطرف مستهلك واع وكمفاعل جريء. فضلا عن احتلالها لموقع آخر كقوة حركية موجّهة. وهي تستخدم في وقتنا الراهن كل ما يقع تحت أيديها من أفكار ومعدات، وتستولي على ما تجده من أسلحة فكرية تخلى عنها المثقف في ساحة المجتمع.

و الدكتور فوزي أوصديق كتب حول أزمة النخب المثقفة في الجزائر قد تكون إفرارا للعديد من الأنظمة القائمة المحبطة بداية بالبيئة التي قد تشجع الرداءة.. على حساب النوعية مما خلق نخبا تابعة و متزلفة، فالمثقف أصبح لا دور له، والدور الوحيد الموكل له تزيين الجلسات والنشاطات بالعديد من الشطحات غير الفكرية، وأحيانا بترويج أفكار و لو على حساب قناعاته ومعتقداته¹

أما الدكتور مصطفى ماضي الذي نجده في كثير من مقالاته يتناول موضوع المثقف الجزائري، و هو يرى " أن المثقف ليس بعالمٍ ولا بمبدعٍ، بل هو قد أصبح جزءاً من نظام إعلامي

¹السوسيولوجي عبد الناصر جابي ل "الأثر" حميدة عياشي الخير شوارالجزائر نيوز : 17 - 01 - 2011

أ فوزي أوصديق،كاتب ومفكر جزائوي، مقال، من يتذكر النخب الشروق اليومي : 22 - 04 - 2009¹

.....ومُعولم، وهو في معظم الأحيان يعيد إنتاج تقاليدنا القديمة في الهجاء أو المديح السياسي الطابع. وهذا وضع معاكس تماماً لمفهوم الثقافة والمثقف (...)، إذ لا نرى في الكتابات.... الظرفية الطابع -إلا في حالات محدودة- مساهمة فعالة في زيادة معارف الأمة وفي نهضتها العمرانية وفي تطوير العلم والعلوم على قدمٍ من المساواة مع الحضارات الأخرى، ويختتم مقاله- و هم يتحدث عن الصراع الموجود في الجزائر بين التيار الفرانكفوني و التعريبي- مخطئ من يعتقد أن بلدان أوربا الشرقية تخلصت من هيمنة السلطة الشمولية لولا عمل المثقف الانتيليجنسي بالفكر والإبداع والممارسة بالتأليف والنشر بأسماء مستعارة خارج جدار برلين، ونعتقد أن الشارع التونسي تمكن من فرض رأيه أولاً وأساساً بفضل المشاركة الفعلية والفاعلة لهيئة المحامين ورجال القانون وبعض تنظيمات المجتمع المدني الفاعلة منذ سنوات.¹

وفي دراسة قام بها أستاذ علم الاجتماع الدكتور مولود سعادة : إن انغلاق النخب على نفسها لا يفسح المجال للتفاعل بينها لإيجاد النفاذية المتبادلة والتنسيق المثمر، وقد أشار أستاذنا في عدة نقاط إلى خصائص نخبنا في الجزائر نذكر منها، الارتباط العضوي للنخبة المثقفة بالأيدولوجية الرسمية، استمرار المشروعية من البعد الوطني المتماهي مع الأيدولوجية الغالبة² دون أن ننسى دراسة د/ بوزيد الهواري ، أن معظم الأبحاث و الدراسات التي تنشر في الوطن العربي أن الكثير منها يدور حول أزمة المثقف والثقافة....وعجز المنظومات التربوية في المدرسة والجامعة عن قيادة الحركة الثقافية ، هذا موجود في دراسة الأستاذ المعنونة الأنتلجنسيا الجزائرية بين الجماعة الوطنية و الكائن الثقافي.³

المبحث الثالث: النخبة المثقفة الجزائرية و إشكالية المرجعية

بدأت هذه الحقبة بعد تعديل المسار التنموي للبلاد (بعد 1980)، وهيمنة "عقيدة" السوق وقد ساهم في انتشار هذا التوجه العالمي والانفتاح، اشتداد أزمات بلدان العالم الثالث، وعدم قدرتها على

¹مصطفى ماضي، ملاحظات أولية حول المثقف والمجتمع والسلطة، مقال الجزائر نيوز : 17 - 01 - 2011

² د، مولود سعادة ، النخبة و المجتمع / مجلة الباحث الاجتماعي ، 10 سبتمبر 2010 ص 108

³ د/ بوزيد الهواري، الأنتلجنسيا الجزائرية بين الجماعة الوطنية و الكائن الثقافي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، عدد 07، جانفي 2012 ص 286

الإيفاء بالمطالب الاجتماعية، والعجز عن تسديد الديون. وقد شهدت هذه الفترة انسدادا حادا وتأزما كبيرا في الكثير من البلدان (بولندا، المكسيك، الجزائر..) خاصة بعد أن أصبحت الديون وسيلة ضغط في يد صندوق النقد الدولي.

ومع حلول التسعينات من القرن الماضي ازداد الوضع سوءا في الكثير من هذه البلدان، التي سعى بعضها إلى تقليص الميزانيات المخصصة للتعليم والصحة والإسكان، بسبب قلة الموارد المالية. وقد مهد ذلك، بالإضافة إلى عوامل أخرى، إلى حلول العولمة كمرحلة متقدمة من تطور النظام الرأسمالي العالمي، وبوصفها نزعة شمولية توسعية، تعبّر نطاق الزمان وضغوط المكان¹

تعديل المسار التنموي في الجزائر - على غرار ما حدث في الكثير من البلدان إذن، مع بداية الاشتراكية- بدأت تتشكل في الأفق عدة أطروحات، ساهم الانفتاح السياسي على خروجها إلى العلن بسرعات متصاعدة، كما ساهمت عوامل عديدة في تغذيتها وتشكيل مرجعياتها و كان عدم تجانس البنية الاقتصادية والسياسية والثقافية من أهم هذه العوامل، بل أن هذا "التشوه البنيوي" وغياب الرؤية الموحدّة" جعلنا نشهد تباينا حادا في المواقف والأطروحات ولأول مرة تصبح المسائل، الإثنية تطرح بنفس حدّة المرجعات الدينية، بل وتدخل معها في تناقض فاقم من أزمة الهوية الوطنية.

علاوة على ذلك، بدأت النخب الأخرى ذات الميول الراديكالية والوطنية تتصل من التزاماتها الفكرية السابقة، التي دافعت عنها إبان فترة الاقتصاد الموجّه، وشرعت الحركات الفكرية اليسارية في تنظيم صفوفها من جديد ولكن اللافت للانتباه أن هذا التحول في التوجهات العامة للدولة قد رافقه جهد معتبر من طالبي الحظوة من المثقفين، ممن وضعوا أنفسهم رهن الطلب مقابل المساهمة في المجهود العام لتبرير وتمير التوجهات الجديدة، وإطلاق مسيرة ما سمي "بعهد التصحيحات"، التي كانت تسعى لإحداث تغيير جذري وشامل للإرث الاقتصادي والأيدولوجي للفترة المنصرمة ولم تكن النتائج التي أعقبت هذه المراجعات و"التراجعات" لتدفع بالنخب المثقفة إلى إعادة قيادة قاطرة التوجيه، و لتردع البعض عن الانخراط في خط السلطة حتى بعد تززع شرعيتها بشكل لم يسبق له مثيل وقد أدت التوجهات العامة للسلطة الحاكمة، التي تنازلت عن دورها "الراعي" إلى تصاعد العنف، وتزايد موجات الاحتجاج والتذمر، ووصلت إلى حد التمرد والعصيان (1988)

¹ الفصل الرابع والخامس: نور الدين زمام(2003) القوى السياسية والتنمية دراسة في سوسيولوجية العالم الثالث. الجزائر: دار الكتاب، العربي

وفي ظل غياب موقف حاسم للنخبة المثقفة في فترة الإصلاحات"، استطاعت الشرائح البيروقراطية الحاكمة استقطاب الفئات المثقفة، وضمها تحت إبطها. وخلعت عليها أوصافا حدّدت من خلالها الدور المنوط بها، ومن ضمن هذه الأوصاف: "إطارات الأمة" أي المؤطرة في الظاهر للمجهود التنموي والتربوي والسياسي، من دون أن تُساهم بالطبع مباشرة في صنع القرارات المصيرية، إذ أنها تستلم القرارات لتجد لها مرتكزات أيديولوجية، وتُقلّنها عبر تجسيدها على شكل برامج وسياسات.

بعد نجاح السلطة في تطويع الكثير من أفراد النخب المثقفة أصبحت هذه الأخيرة غير قادرة على المبادرة و"النصح"، ولذلك غاب حسّها النقدي أثناء إطلاق التجربة الديمقراطية (جويلية 1989) وبعد إلغاء المسار الانتخابي في يناير 1992. فلم تعد قادرة على الاضطلاع بمسؤولياتها الفكرية والثقافية داخل المجتمع ولم تملك حتى القدرة على الدعوة إلى الحوار الفكري والنقاش الواسع أثناء انقطاع سبل الحوار، فضلا عن تخوفها في أوقات معينة، كانت فيها الغلبة للتيار الأمني، من الحديث عن ثقافة السلم وتعزيز الوحدة الوطنية وبدل ذلك أثر البعض عقد تحالفات ظرفية هشة تغلّيا لمصالحه الخاصة أو انتصارا لتوجهاته الدوغمائية، حيث كانت بعض المكاسب الأيديولوجية والمادية والحزبية ذات أولوية لدى بعضهم على حساب مصلحة المجتمع.

وهكذا فأتثناء تصاعد الصراع الاجتماعي، واشتداد المواجهة بين الحركات المسلحة والجيش تأرجحت مواقف النخبة المثقفة عموما بين "الحياد السلبي"، الذي يكون الهدف من ورائه إثارة السلامة في انتظار أن ينقشع غبار المعركة وبين مواقف أخرى اتسمت بالتبعية والتواطؤ مع السلطة الحاكمة، على غرار الكثير من الأحزاب والمنظمات الطفيلية التي احتمت وراء المؤسسة العسكرية، وراحت تُطيل من عمر الأزمة الجزائرية. وتقدّم الصيغ والمبررات التي تؤكد على ضرورة تدخل العسكر في شؤون السياسية، ومن جهة أخرى أقدمت بعض الفئات المثقفة التقليدية على ممارسات لم تتسم بالحكمة، حينما شاركت، من دون وعي، في توظيف الغضب الشعبي واستثماره للترويج لفهم هائج للدين، فساهمت في ترسيخ العنف وتبريره وعلى الرغم من أن الوقت الراهن قد دفع إلى الاصطفاف وراء الوثائم والمصالحة، وخفّف من شدة التباينات في المواقف والممارسات بين المثقفين، إلا أنه لم يدفع بهم إلى إيجاد قواسم مشتركة يمكن أن ترسم ملامح مشروع وطني يجمعهم تحت سقف أدنى من

الثوابت والانشغالات، ويمكن أن يدفع بهم أيضا إلى الاقتراب بوضوح من بعض القضايا العربية المحورية.

وفي الختام، فليس من السهل إجراء قراءة سوسولوجية للمثقفين الجزائريين بصورة وافية ودقيقة، بسبب عدم القدرة على تجاوز الأثر التاريخي بطريقة تسمح بإحداث قطيعة يمكن أن تدفع إلى تنوير الفعل والاتجاهات بل أننا نجد المعيار اللغوي هو الفيصل بين قطاعات هذه النخب، فكما كان "التقليدي" يبحث عن مرجعيته في المشرق العربي في زمن الاستعمار، ويبحث عن لغة "تقليدية" كما توهم علي الكنز¹، صار المثقف المفرنس يستمد حتى "انشغالاته" من خارج واقعه الاجتماعي والثقافي، حتى أننا نملك في الجزائر صحفا تنتمي إلى دولتين مختلفتين متنافرتين يتواجدان داخل إطار دولة واحدة ونظرا لتفوق كل طرف ضمن أحاديته اللغوية (مفرنس فقط أو معرب فقط) تعمقت الهوية الثقافية في البلاد، وتباينت الأطروحات بشكل لا يثري النقاش داخل الساحة الثقافية والسياسية، ولا يساعد على توحيد الرؤى نحو الكثير من القضايا الوطنية والعربية وحتى الجامعة الجزائرية، لم تعد تلعب دورها الريادي في تشكيل نواة "صلبة" للنخب المثقفة، فكما يعلق علي الكنز فبعد أن كانت النواة الأساسية للعمل الثقافي الوطني قبل الاستقلال وفي سنواته الأولى لم تصبح الآن إلا جهازا عاليا للتكوين يحاول قدر الإمكان تحقيق وظيفة اقتصادية واجتماعية أكثر من أي ادعاء آخر في جمع انتلجانسيا البلاد حولها.²

أما في الوقت الراهن فقد تعقد وضع الجامعة الجزائرية، وأصبحت هي نفسها تعيش أزمة ذاتية، وأصبح شغلها الشاغل هو البحث عن هوية جديدة، ودور ما في ظل هيمنة عقيدة السوق

المبحث الرابع : المثقف الجزائري و إشكالية اللغة

تشكل مسألة الهوية في الجزائر إشكالية قصوى ضمن فسيفاء المشهد الثقافي ككل إذ بالإضافة إلى البعد التاريخي المرتبط بالمرحلة الكولونيالية ، والذي مازال فاعلا في المخيال الثقافي الجزائري إلى حد الآن³

¹ علي الكنز، حول الأزمة 5 دراسات حول الجزائر والعالم العربي دار بوشان للنشر الجزائر، 1990، ص25

² نفس المرجع. ص19

³ عمر مهيل، مرجع سابق، ص 75

منذ البداية - أي ما قبل الاستقلال - لم تكن العلاقة بين المثقفين المعريين من جهة و
المفرنسين من جهة أخرى، علاقة وفاق أو تكامل كما يفترض أن تكون، بل إنها كانت علاقة تضاد و
صداميه في كثير من الأحيان، رغم بعض الصداقات الشخصية التي كانت تربط بين أطراف من هذه
الفئة وأطراف من الفئة الأخرى.

فالازدواجية اللغوية¹ هي خصوصية من خصوصيات المجتمع الجزائري كما هو معروف، فهو
يعيش انكسارا لغوية وقطيعة لغوية داخل النخبة، نخبة معربة ونخبة مفرنسة وطبيعة هذه العلاقة بين
المثقفين الجزائريين قد أدت بعد تعريب الجامعة إلى الوصول لصيغة توفيقية رعتها الدولة، ولم تحسم
الخلاف والاختلاف وإنما حددت مجال لكل فئة، الثقافة والإعلام والتعليم للمعريين، والصناعة
والفلاحة والهياكل القاعدية للمفرنسين، "باختصار مهندسون مفرنسون وعقائديون معربون"¹

لقد كانت اللغة العربية في وضعية المغلوب على أمره خلال فترة الاستعمار الفرنسي، وكان
تداولها جد منحصر ومحدد بين فئة قليلة جدا من المتعلمين الذين تلقوا تعليمهم في المدارس التابعة
للزوايا أو سافروا للمشرق، أو في مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بداية الربع الثاني من
القرن العشرين؛ في المقابل عملت الإدارة الاستعمارية على التمكين للغة الفرنسية بين الجزائريين من
خلال المدرسة الكولونيالية، ومن خلال جعل الفرنسية وسيلة للرقى الاجتماعي بين الأهالي، هذه
الحالة التاريخية التي عاشتها اللغة العربية في الجزائر المستعمرة، جعلت من الدفاع عن العربية
كمحدد من محددات الهوية الجزائرية، مطلباً شعبياً ومطلباً سياسياً للحركة الوطنية، فقد "ارتبطت
عملية الدفاع عن العربية بالدفاع عن التراث والدين الإسلامي والهوية الوطنية في كل برامج الحركات
الوطنية والثورة الوطنية فأصبحت تراثاً ثقافياً وإيديولوجياً سيوجه سياسة الدولة الثقافية نحو التعريب
ووضع تصور لتعميم استعمال اللغة العربية"² هذا التصور الذي لم يلتق بالواقع إلا في مجالات
معينة مرتبطة بالإنتاج الثقافي والإيديولوجي، خصوصاً مجال الإعلام، أما المجالات الأخرى
الاقتصادية تحديداً، فإن اللغة العربية ظلت بعيدة وعاجزة عن إيجاد موطأ قدم لها ضمن تلك
المجالات رغم توظيفها من طرف منتجي الثقافة النخبوية كلغة حدثية قادرة على استيعاب التطورات
المتسارعة في مجال الفنون والآداب، إلا أنها كانت ومازالت ذات مرد ودي اقتصادي وتكنولوجية
ضعيفة في مجالات التحديث والتصنيع ونقل التكنولوجيا، وهي المجالات التي راهنت عليها الدولة
الجزائرية عقب الاستقلال من أجل التقدم والازدهار، وهذه المراهنة على مجالات تسيير وتدار باللغة

¹. مصطفى ماضي، المجتمع الجزائري يعيش قطيعة لغوية والاستثمار في النشر مغامرة، مجلة الحدث، العدد 36، درويش بريس، باريس،

مارس/أفريل 2004، ص ص 76 - 77

²علي الكنز، مرجع سابق، ص 21

الفرنسية هي التي جعلت من عملية التعريب التي مست الجامعة وقطاعات أخرى تفقد معناها، كما غدّت النزعة الاستعلائية لفئة المتفرنسين اتجاه زملائهم المعربين مما ساهم في تأزم العلاقة بين الطرفين، حيث على المستوى الثقافي مثلا يعرف الحقل الثقافي الجزائري شرخا حادا بين ما يكتب بالعربية وما يكتب بالفرنسية رغم عمليات الترجمة التي يقوم بها بعض المثقفين لإنتاجات زملائهم الذين يكتبون بلغة أخرى، سواء من الفرنسية إلى العربية أو العكس، رغم ما يشوب عمليات الترجمة من انتقائية وزيائية في غالب الأحيان، حيث أن اختيار النصوص المترجمة لا يستند عادة إلى القيمة الفكرية والأدبية للنص المترجم بمقدار ما يستند إلى محددات أخرى غير ثقافية غالبا. هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فإن اللغة الفرنسية في الجزائر تتجاوز وضعها كلغة عملية لتندرج ضمن التناولات السياسية للقوى الخارجية، وتحديدًا لفرنسا التي تسعى ومن خلال الفرانكوفونية إلى بسط نفوذها بشكل أكبر داخل المجتمع الجزائري، فالفرانكوفونية كسياسية لغوية وضعتها الحكومة الفرنسية بغية التمكين للثقافة والفكر الفرنسي، أي لإشعاع فرنسا في غيرها من البلدان، تتجاوز مسألة اللغة الفرنسية في حد ذاتها والتي لازلنا نعتبرها غنيمة حرب، لتتجلى كوسيلة لفرض الهيمنة تتوسل باللغة، وعن طريقها يتم تحصيل منافع اقتصادية ومصالح سياسية معينة.¹

الحالة السابقة الذكر التي وجدت اللغة العربية نفسها في ظلها رغم الدعم السياسي الذي حظيت به من أعلى هرم السلطة والذي تجلّى في عملية التعريب التي مست الجامعة ومجالات أخرى مرتبطة بالإعلام والنشر، وقانون تعميم استعمال اللغة العربية (المعطل التنفيذ)، هذه الحالة قد فسحت المجال واسعا أمام اللغة الفرنسية لتكون لغة الاقتصاد ولغة الإدارة، والاهم من هذا وسيلة للرفعي الاجتماعي والوظيفي كما كانت عليه خلال الفترة الاستعمارية، هذا الوضع يجعل من المسألة اللغوية في الجزائر مجالا للصراع الاجتماعي، بنفس القدر الذي يشكل به الثراء اللغوي للجزائر وبعيدا عن التوظيفات السياسية مجالا لازدهار الإبداع الثقافي وللتعبير عن الذات، سواء باللغة العربية أو باللغة الفرنسية الحاملة لثقافة عربية أو أمازيغية كما كان الشأن مع الجيل الأول للروائيين الجزائريين (مولود فرعون، مالك حداد، كاتب ياسين) الذين كتبوا نصوصهم باللغة الفرنسية و بها عبروا عن ذواتهم وهويتهم..

¹عمار بن طوبال المثقف، الجزائري و خطاب الأزمة ، السبت ، سبتمبر 2010:06:57

الباب الثاني:

الفصل الخامس:
الجانب الميدني

تمهيد:

إن أهم خطوة في البحث العلمي هو الجانب التطبيقي للدراسة ، لأن هذا الأخير يقتضي موازنة الأبعاد النظرية المشكلة للجانب النظري ، كما يتوصل الباحث من خلاله الاطلاع على نتائج البحث وبالتالي التحقق من الفرضيات وحل لإشكالية الدراسة، و دون أن ننسى كذلك أن في هذه الخطوة اختبار للمقاربة النظرية و التحقق من مدى نجاعة النظرية التي تم اختيارها والعمل وفق ما تتضمنه من أفكار، و قبل التطرق إلى نتائج البحث نبين أولاً أهم الإجراءات المنهجية المتبعة

المبحث الأول: مجالات الدراسة المكاني و الزماني و البشري :

1 - **المجال المكاني :** لقد تمت الدراسة التطبيقية في كل من معاهد مختلفة لعلم الاجتماع

في مختلف جامعات الجزائر ، معهد علم الاجتماع باتنة ، تبسة ، خنشلة ، ام البواقي ، بسكرة .

2 - **المجال الزمني :** و هي المدة الزمنية التي استغرقت فيها الدراسة ، فكانت البداية انطلاقا من السنة الجامعية 2013- بدأت أول مرحلة بجمع المراجع المتعلقة بالموضوع ،

بالنسبة للجانب النظري ثم تلتها الدراسة الميدانية التي بدأت في 2015/02/01

3 - **المجال البشري :** ويتضمن أستاذة علم الاجتماع ، على اعتبار أنهم جزء من النخبة

المتقنة الجزائرية التي لها رأس مال ثقافي وكفئة اجتماعية متجانسة من حيث المستوى العلمي والثقافي وثالثا لحرص مجتمع البحث الذي من المستحيل القيام بمثل هذه الدراسة إلا إذا تم تحديد مجتمع البحث في فئة معينة، وكذلك اعتبارا للبناء الإجرائي للنخبة المثقفة في دراستنا، وأخيرا اعتبار حقل علم الاجتماع الأكثر دراية واهتماما بالمجتمع من بقية التخصصات الأخرى

المبحث الثاني: منهج الدراسة :

المنهج العلمي هو أسلوب التفكير والعمل يعتمد الباحث لتنظيم أفكاره وتحليلها وعرضها

وبالتالي الوصول الى نتائج و حقائق معقولة حول الظاهرة المراد دراستها¹ ويعرف بأنه المعرفة

المنسقة التي تنشأ من الملاحظة و الدراسة والتجريب التي تتم بعرض وتحديد طبيعة وأسس وأصول

ما تم دراسته² ، وقد كان لزاما علينا في هذه الدراسة باستخدام المنهج الوصفي التحليلي (ويعرف

هويتني " Whitney المنهج الوصفي بأنه " محاولة منظمة لتقرير وتحليل وتفسير الوضع الراهن

لنظام اجتماعي أو جماعة أو بيئة معينة، وهو ينصب على الموقف الحاضر وليس على اللحظة

الحاضرة ، كما أنه يهدف إلى الوصول إلى بيانات يمكن تصنيفها وتفسيرها وتعميمها، وذلك

للاستفادة بها في المستقبل وخاصة في الأغراض العلمية"³) لأننا بصدد وصف ظاهرة غياب دور

النخبة المثقفة الجزائرية في التغيير وتحليلها وبالتالي الوصول أو كشف الأسباب الكامنة وراء ذلك .

المبحث الثالث: أدوات جمع البيانات:

¹ ربحي مصطفى عليان ، مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق، درا الصفا للنشر و التوزيع ، ط1، 2000، ص33

² منصورنعمان ، البحث العلمي حرفة وفن ، دار الكندي للنشر و التوزيع ، ط1، 1998 ص17

³ عبد الباسط محمد حسن: أصول البحث الاجتماعي، الطبعة الخامسة، القاهرة، مكتبة وهبه، 1976 ص 213

1 -الملاحظة:

إن الملاحظة من أدوات جمع البيانات التي يُعتمد عليها أي باحث ، فأَي بحث علمي ينطلق مما يُلاحظ على أرض الواقع ، وعليه انطلاقا من كثرة ما يُلاحظ من كتابات و بحوث التي تناولت النخبة في الجزائر، و كذلك كثرة النقاشات و الحوارات و التساؤل المطروح دائما حول، أين هم النخبة المتقفة ؟ خاصة في أوقات معينة تكثر مثل هذه الأسئلة

2 -الإستبيان :

الاستبيان مجموعة من الأسئلة المتنوعة والتي ترتبط فبعضها البعض بشكل يحقق الهدف الذي يسعى إليه الباحث من خلال المشكلة التي يطرحها بحثه.ويرسل الاستبيان بالبريد أو بأي طريقة أخرى إلى مجموعة من الأفراد أو المؤسسات التي اختارها الباحث لبحثه لكي يتم تعبئتها ثم إعادتها للباحث ويكون عدد الأسئلة التي يحتوي عليها الاستبيان كافية ووافية لتحقيق هدف البحث بصرف النظر عن عددها

-خطوات إنجاز الاستبيان:

تحديد الأهداف المطلوبة من عمل الاستبيان في ضوء موضوع البحث ومشكلته ومن ثم تحديد البيانات والمعلومات المطلوب جمعها وتحويل الأهداف إلى مجموعة من الأسئلة والاستفسارات.

بعد بناء أسئلة الاستبيان وتجربتها على مجموعة محدودة من الأفراد المحددين في عينة البحث لإعطاء رأيهم بشأن نوعيتها من حيث الفهم والشمولية والدلالة وكذلك كميتها وكفايتها لجمع المعلومات المطلوبة عن موضوع البحث ومشكلته وفي ضوء الملاحظات التي تحصلنا عليها فإنه قد تم تعديل الأسئلة بالشكل الذي يعطي مردودات جيدة، ثم قمنا بتصميم وكتابة الاستبيان بشكله النهائي ونسخه بالأعداد المطلوب وتوزيعها على عينة البحث ، ثم بعد ذلك قمنا بتجميع نسخ الاستبيان الموزعة ثم تفريغها لتحليل معلوماتها

-التقنيات المستعملة في تحليل البيانات

1. التحليل الكمي:

وهنا قمنا بتفريغ المعطيات الموجودة في الجدول الخاص للفرز و تحويلها إلى معطيات كمية تتمظهر في شكل أرقام ، إحصائية و ذلك حتى يسهل تحليل المعطيات و قياسها و تمثيلها بطريقة واضحة و مختصرة باستخدام

- النسب المئوية
- الجداول الإحصائية
- التمثيل البياني

2. التحليل الكيفي:

بعد الانتهاء من التحليل الكمي وتصميم الجداول نصل الآن إلى التحليل الكيفي حيث نقوم بالتعليق الإحصائي على المعطيات الموجودة في الجداول الإحصائية أو المعبر عنها في التمثيل البياني والنسب المئوية ثم تحليلها سوسيلوجيا، وبعد ذلك الاستنتاج.

بعد الانتهاء من التحليل الكمي وتصميم الجداول، نصل إلى التحليل الكيفي حيث نقوم بالتعليق الإحصائي على المعطيات الموجودة في الجداول الإحصائية، أو المعبر عنها بالتمثيل البياني والنسب المئوية، وتمر عملية التحليل الكيفي في دراستنا بالمراحل التالية:

المبحث الرابع: العينة وكيفية اختيارها

طريقة المسح المتبعة :

يلجأ الباحث إلى طريقة المسح بالعينة إذا كان مجتمع البحث كبيرا لا يستطيع مسحه

1 - مسحا شاملا، ومن شروط العينة في هذه الحالة أن تكون ممثلة لخصائص مجتمع الدراسة الكلي، إذ تتوزع فيها خصائص المجتمع بنفس النسب الواردة في المجتمع¹ وعلى ضوء ما سبق آثرنا استعمال "المسح بالعينة" انطلاقا من أسباب علمية، قمنا بتوزيع (120 استمارة) على أستاذ باحث تابعين لقسم علم الاجتماع كل من جامعات: باتنة ، تبسة ، خنشلة ، ام البواقي ، بسكرة ،

المبحث الخامس: تحليل فرضية الدراسة

التذكير بالفرضية :

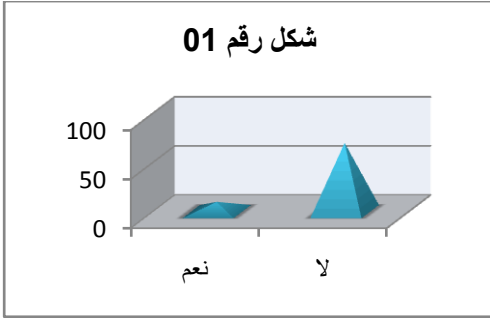
إن النخبة المثقفة الجزائرية عاجزة عن إحداث الفعل التواصل الذي يعني الوعي و القدرة على إنتاج معرفة جديدة والتأثير داخل المجتمع

1. تحليل بُعد إنتاج المعرفة

¹ حسن منسي : مناهج البحث التربوي ، دار الكندي ، الأردن ، ط1 1999، ص 99

هل لديك مؤلفات ؟

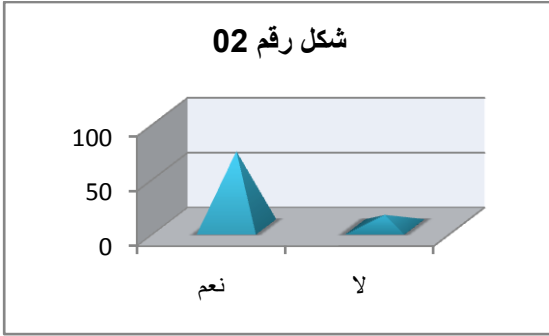
الجدول رقم 01: يوضح حركة التأليف لدى النخبة المثقفة



المبجوثين	التكرارات	النسبة %
نعم	45	37.5%
لا	75	62.5%
المجموع	120	100%

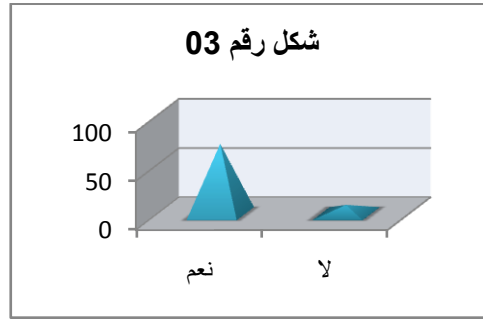
هذه النسب المبينة أعلاه توضح الإنتاج العلمي وحركة التأليف للنخبة المثقفة ، حيث يظهر لنا أن النسبة الأكبر من النخبة المثقفة ليس لها إنتاج علمي ، وان وجد إنتاج علمي فهو يكاد ينحصر في الكتب العلمية النظرية الأكاديمية أي أنها تدور في فلك الدروس الأكاديمية ، وهذا يمكن إرجاعه إلى عدة أسباب أخرى ، منها التضيق الخانق من طرف السلطة و من الصعوبة خروج المثقف عن سيطرة السلطة السياسية الحاكمة التي استحوذت على المجتمع بدورها توغلت في المجتمع وأضعفت أي مؤسسات اجتماعية فيه ، بمعنى أن المساحات التي يستطيع المثقف الاستقلال داخلها من دون أن يكون هناك تأثير للسلطة السياسية على هذه المساحات قليلة جداً ، فمثلاً هناك قلة من المطبوعات والمؤسسات غير الرسمية التي لا تستطيع منافسة المطبوعات والمؤسسات الحكومية ، كذلك تستطيع السلطة بسهولة مضايقة مؤسسات المجتمع المدني - إن وجدت - التي قد يمارس المثقف من خلالها بعض نشاطاته وأدواره ، وواقعاً استطاع المثقف الاستفادة من ذلك ، ولكن في الوقت ذاته فإن هذه القنوات الفضائية أتاحت لغيره الاستفادة من ذلك ، فحتى من يعملون لصالح الدولة الذين ليس هدفهم حفظ الدولة بمكوناتها بل همهم حفظ أمن النظام الحاكم يظهرون في هذه القنوات ويقومون بالتشكيك بما يقوله المثقف وغير المثقف الذين لا يتفقون مع السلطة السياسية الحاكمة وترسيخ ما تراه

جدول رقم 02: يوضح وضع النخبة المثقفة بين التقليد والتجديد



البحوث	التكرارات	النسبة %
نعم	89	74.16%
لا	31	25.75%
المجموع	120	100%

الجدول رقم 03: يوضح إنفعال النخبة المثقفة مع مختلف قضايا المجتمع

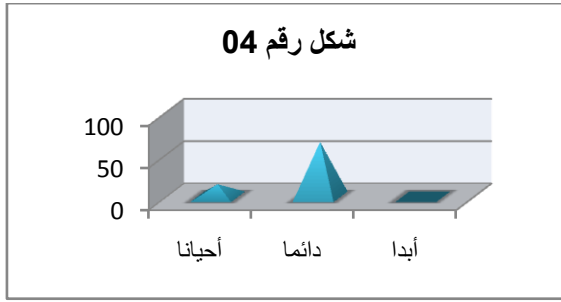


البحوث	التكرارات	النسبة %
نعم	98	81.66%
لا	22	18.25%
المجموع	120	100%

التحليل

تعتبر النخبة المثقفة بمثابة الطليعة التي تقود المجتمع و الدولة عموما نحو أهدافها الإستراتيجية ، فهي توجه وترافق مسيرة الدولة وتبادر بالنقد و تطالب بتغيير كل ما يعيق هذه المسيرة باقتراح التعديلات و تقديم التصحيحات و البدائل المناسبة ، لأن النخبة المثقفة هي العضو الحي شديد الحساسية والمدرک لمختلف المتغيرات الطارئة باستمرار و بشكل طبيعي على المجتمع ، لذلك فهي تتحمل جزء كبير من مسؤولية التنبيه و التوجيه أمام المجتمع و التاريخ. وهذا ما يتوافق مع نسبة المرتفعة بانفعال النخبة مع قضايا المجتمع ، و هذا يعنى شعورها بالمسؤولية تجاهه ، لكن هلا الشعور بالمسؤولية غير كافي .لحل المشاكل ؟ و قد ظهرت لنا في السؤال الموالي الخاص ب كيفية الانفعال النسب المدونة التت بينت ضعف وعزوف كبير واضح للمثقف في إبداء الرأي ربما عن طريق التأليف أو الكتابة.....لكن للأسف هناك فراغ رهيب ، ونحن هنا نوضح نقطة ، وهي ليس معنى المثقف أن يكون دائما معارضا أو ناقدا ، ليس دائما بالضرورة أن يكون في الاتجاه المعاكس، بل أن يرى في المهنة الفكرية حفاظا" على حالة من اليقظة المتواصلة

الجدول رقم 04: يوضح آراء النخبة حول تتبعها لقضايا المجتمع



الإجابات	التكرارات	النسبة %
أحياناً	20	16.66%
دائماً	100	83.33%
أبداً	0	0%
المجموع	120	100%

إن معارف المثقف مستمدة في الأساس من النظر والإطلاع على شؤون الواقع وممارسة التحليل العقلي. وبالتالي فإن المثقف ذو مقدرة عالية على النقد والتفكير والتمييز بين الآراء التي لها علاقة بالواقع ومجرى الأحداث العامة.

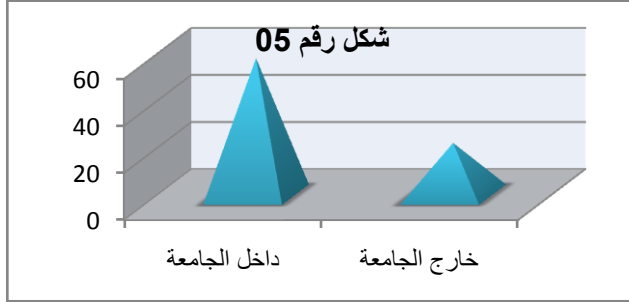
ينصب اهتمام المثقف على قضايا المجتمع، باعتباره كائناً معرفياً فاعلاً يمكنه أن يؤثر على حركة الوسط الذي يتفاعل معه بما يبتكره من أفكار وما يقدمه من معارف، ومن ثم بما يساهم به في صنع الرأي العام؛ لكونه يوجّه خطابه إلى الجمهور. فهو من هذه الناحية لا يقع ضمن طبقة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية محددة في قبال نظيراتها في

المجتمع، بل يمكن لبعض من أعضاء تلك الطبقات أن يشكلوا فئة ثقافية، كما ويمكن أن ينتموا إلى نفس الرؤى الثقافية رغم وجود الاختلاف الطبقي بينهم. وواقع الأمر أن الشرط المشار إليه حول اهتمام المثقف بالمجتمع إنما يعبر عن الحالة الطبيعية من ارتباط المثقف المعرفي والمتعدد الوجوه بقضايا الواقع، فمن مقتضيات هذا الارتباط أن يكون الفرد في تواصل مع القضايا التي هي أكثر إثارة ومساساً وتشويقاً، وأقصد بها قضايا المجتمع العامة و هذا ما يظهر لنا من خلال النسب المدونة أعلاه ، لكن نشير في هذا المقام إلى نقطة مهمة ، وهي أن تتبع المثقف لقضايا مجتمعه ، فهذا السلوك لا يكفي وحده ، بل يجب أن لا يكتفي بالرصد، بل المشاركة في حلها ميدانياً، وبالتالي يصح نعته - كما هو معروف - بالداعية الحامل لأيدولوجيا معينة تتضمن تصوراً وموقفاً محددين من الأحداث والأوضاع الخارجية العامة.

على أن هناك درجات متفاوتة من المثقفين يمكن إجمالها بنوعين متميزين؛ أحدهما ذلك الذي تكون له المقدرة التامة على التنظير وابتكار الأفكار وإنشاء المذاهب والمناهج، ويمكن أن نطلق عليه

(المفكر). أما النوع الآخر فهو لا يمتلك مثل هذه الخصوصية، إنما له القدرة على التمييز وتبني ما يطرقه النوع الأول من أفكار ومذاهب بحسب ما يرد في نفسه من اقتناع وتصويب. وبين هذين النوعين توجد درجات متفاوتة غير محددة من الأصناف الوسطى

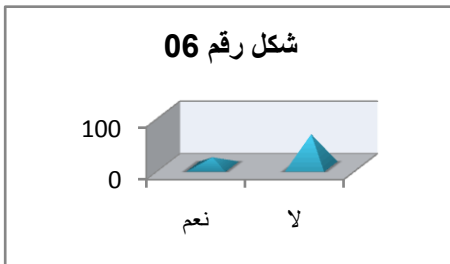
جدول رقم 05: يوضح مشاركة النخبة في الملتقيات



النسبة %	التكرارات	المبحوثين
72.5%	87	داخل الجامعة
27.5%	33	خارج الجامعة
100%	120	المجموع

تُظهر لنا النسب المدونة أعلاه أن أغلب مشاركة النخبة المثقفة طبعاً الجامعية كانت داخل أسوار الجامعة ، أو منحصرة في نطاق محدود ، في حين تظهر لنا أن النسبة أقل في مشاركة النخبة نفسها خارج الجامعة ، و هذا يعني أنها ضيقت على نفسها في ميادين المعرفة فقط ، في حين ينبغي على المثقف أن يكون منتجا للبحوث العلمية الناضجة ، وأن ينخرط كذلك في المهوم العامة لمجتمعه خصوصا إذا كان المجتمع يعاني من مشاكل حارقة كمجتمعنا ، فالمثقف في الغرب مثلا الفرنسي المعاصر يمكنه في نهاية المطاف ألا ينخرط و ألا يلتزم إذا شاء ، يمكنه أن يكون عالم اجتماع فقط ، أو عالم نفس أو تاريخ .. الخ ، و ذلك لأن مجتمعه تجاوز مرحلة الانعطافات الحادة والأزمات الكبرى، انه ينتمي إلى مجتمع قوي ومستقر نسبيا، أما المثقف عندنا كيف له ذلك في الوقت الذي يعيش مجتمعه في ظل مشاكل و أزمات كبرى¹

الجدول رقم 06: يوضح وظيفة الأستاذ الجامعي بين التدريس فقط، أو كفاعل اجتماعي أيضا



النسبة %	التكرارات	المبحوثين
26.66%	32	نعم
73.33%	88	لا
100%	120	المجموع

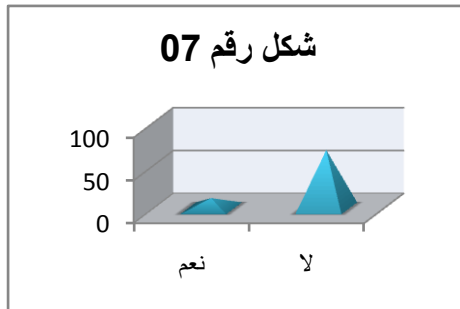
¹ محمد أركون ، المرجع نفس، ص 27

طبعاً عندما نتحدث هنا على الأستاذ الجامعي نقصد به المثقف أو على الأقل كجزء مهم من النخبة المثقفة، وكفاعل اجتماعي الذي يساهم في العملية الإنتاجية العلمية باعتبار أن له رأس مال معرفي ينتج ويتبنى قيم فكرية وهم بصفة عامة

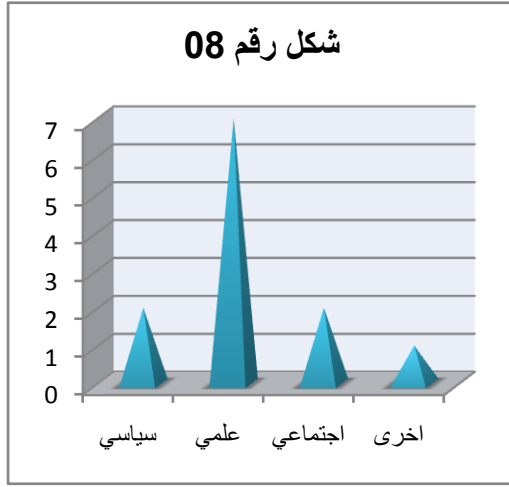
الفئة القادرون، على إعطائنا تصورات واعية بخصوصياتنا التاريخية، و ظروفنا المعاصرة. ولكن تبعية المثقفين معيشياً أو اقتصادياً للدولة ، بعدما أصبحت هذه في نظامها شبه الوحيد. فمجالات عمل هؤلاء - كعاملين ذهنيين- يكاد ينحصر في. المدارس والمعاهد والجامعات، وفي بيروقراطية الدولة الإدارية

والاقتصادية والثقافية، حيث الدولة هي المالكة ، والسلطة السياسية هي الأمرة النهائية، وإذا لم يهاجر المثقف أو كان لا يقدر على إقامة مشروع ثقافي خاص، فإنه سيضطر على الأرجح لأن يعمل لدى الدولة بشروطها الأيديولوجية والسياسية، أو يبقى عاطلاً عن العمل، وخذا يؤثر سلباً على دور المثقف بصفة عامة و من يحد من الحرية الفكرية و يضعف القدرة الإبداعية والإنتاجية، وهذا ما ظهر لنا حسب تحليل الإجابات السؤال رقم 30 الخاص بأن النخبة المثقفة في الجزائر تسعى إلى إرضاء السلطة ولا تقوم بوظيفة النقد البناء و إبداء رأيها تجاه مختلف القضايا، حيث كانت الإجابات، أن من أهم الأسباب التي تجعل المثقف لا يقوم بوظيفة النقد هي الوظيفة بشروطها الأيديولوجية.

جدول رقم 07: يوضح انخراط النخبة داخل المنظمات الاجتماعية والسياسية

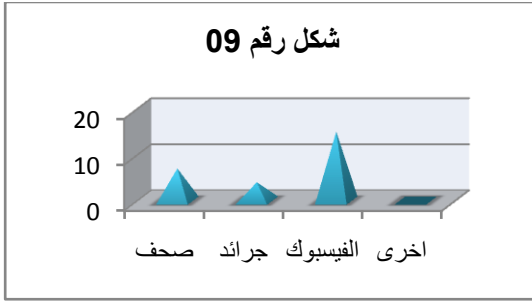


المبحوثين	التكرارات	النسبة %
نعم	26	21,66%
لا	94	78,33%
المجموع	120	100%



المبحوثين	التكرارات	النسبة %
سياسي	02	16.66%
علمي	07	58.33%
اجتماعي	02	16.66%
أخرى	01	8.33%
المجموع	12	100%

الجدول رقم 09: يوضح علاقة النخبة بالمجتمع المدني



المبحوثين	التكرارات	النسبة %
صحف	07	6,65%
جرائد	04	3.33%
الفيسبوك	93	77.5%
أخرى	00	00%
المجموع	114	100%

جاءت النسبة المدونة أعلاه لتوضح حقيقة أن النخبة

المتقنة عندنا في الجزائر بعيدة كل البعد عن المجتمع المدني،

فهي غير فاعلة و ليس لها دور يُذكر، و دليل على أن هناك

فراغ رهيب على الساحة وهو مؤشر يدل على غياب الدور الحقيقي في ديناميكية المجتمع ، حتي وأن

لوحظ مشاركة النخبة المتقنة الجامعية في حركة الانتخابات السياسية يعني على مستوى العمل

السياسي يبدو هذا الظهور محتشما ، أو يكون بصفة ثانوية، و ما لاحظنا مثلا الأيام للحملات

للمجالس البلدية والتشريعية ظهور قوائم المرشحين تحتوي على إطارات كأساتذة جامعات مثلا، لكن

ليس كرؤساء أحزاب، بل كمتشر شح ثانوي، أو مدير حملة أو كاتب برنامج حزب ما ، فهذه

المشاركة ، تُنعت بأنها استغلالية للنخبة المتقنة، ومن هنا يمكننا أن نخلص بنتيجة ، مفادها بأن

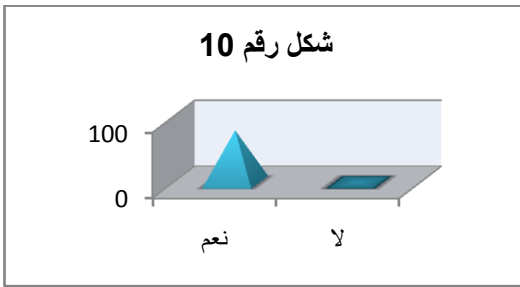
النخبة المتقنة عندنا أصبحت تُسير مصالح فئات أخرى، أي أصبحت فئة يُمكن أن نسميها

تكنوقراطية، أي تسير مصالح فئات أخرى، أو من أجل مصالحها الضيقة أي كموظفين يتقاضون

أجور ورواتب فقط ، بل وحتى يُمكننا القول بأن النخب المثقفة المنتمية لأحزاب سياسية مثلاً بجميع توجهاتها فشلوا في تهذيب وإصلاح هذه الأحزاب وتلك إشكالية أخرى، وهذا ما جاءت النسب المدونة لتؤكدده في الجداول الثلاث أعلاه، عن فراغ رهيب كذلك بالنسبة للكتابة في الصحف والجرائد، وحتى المجالات العلمية هناك نقص كبير وواضح في ذلك.

2. تحليل بُعد التأثير داخل المجتمع

الجدول رقم 10: معظم الدراسات خاصة في العلوم الإنسانية هي دراسات نظرية و سطحية أكثر منها تمس الواقع الاجتماعي



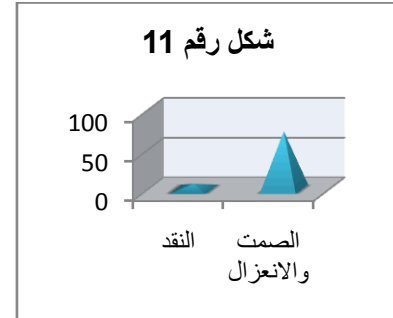
المبحوثين	التكرارات	النسبة %
نعم	101	84,16%
لا	19	15,83%
المجموع	120	100%

تلعب العلوم الاجتماعية دوراً مهماً ومرموقاً في قائمة العلوم الحديثة، وهي بالإضافة إلى ذلك تلعب دوراً حيويًا في تحليل أوضاع العالم الحديث وتغييراته، ويعتمد عليها في العديد من دول العالم بوصفها وسائل هامة لمواجهة متطلبات التكيف والتعامل، بل وأحياناً كثيرة لتشكيل بنية المجتمع والثقافة. إلا أن الأمر الذي لا يخفى عندنا، أن علم الاجتماع العربي بصفة عامة كان وما يزال دون آفاق مجتمعية، ما زال غريباً وبعيداً عن المجتمع، طبعاً هذا رأي جميع العاملين في الميدان علم الاجتماع ، لأنه لم يولد في رحم هذا المجتمع، ولم تصلب عوده الثقافة العربية، ولم تكون هويته الفكرية، فعلم الاجتماع العربي، علم مقهور وخائف، شأنه شأن الإنسان، الذي يريد دراسته بالإضافة إلى تحديات مجتمعية داخلية وخارجية، تلقي بظلالها على المجتمع العربي وتجعل آفاق علم اجتماع عربي معاصر تبدو وكأنها ضرورة تاريخية، تفرضها التغيرات المحلية والدولية. وهذا يقودنا إلى سؤالاً آخر حول موقع العلوم الاجتماعية في الدوائر العلمية والأكاديمية عندنا. وأهميتها. وهذه إشكالية أخرى تتطلب دراسة أخرى ، و لكن ما يُهمنا هنا أن هناك في بعض الأحيان، مناطق محرمة لا يجوز لعلم الاجتماع الاقتراب منها، مع أنها تشكل القضايا الأساسية لهذا العلم «ولا يمكن لعلم الاجتماع العربي أن يأخذ مداه، ما لم يتجاوزها» ومنها قضايا التراث والسلطة والنقد الاجتماعي، «

لهذا ظل علم الاجتماع في الغالب يعيش. الجامعة، وعلى هامش العلوم الاجتماعية الأوربية، التي لم يهضمها أبداً، وبعيداً عن المجتمع وحتى الدراسات الميدانية التي تجرى هنا وهناك لا يُعول عليها في كثير من الأحيان. وهذا ما تجلى في النسب المدونة أعلاه حيث نجد نسبة عالية من أساتذة علم الاجتماع من أقرت أن معظم الدراسات خاصة في العلوم الإنسانية و الاجتماعية هي دراسات نظرية و سطحية أكثر منها تمس الواقع الاجتماعي، و كذلك الأمر بالنسبة للسؤال رقم 34 الخاص ب: هل ترى أن الملتقيات العلمية الجامعية معظمها ؟ ملتقيات علمية بدرجة أكبر أي لا تخرج عن الإطار النظري أم أنها تعالج قضايا المجتمع ؟ حيث جاءت النسبة المرتفعة أنها ملتقيات تخرج عن الإطار النظري ، فلا بد لمراكز البحث الجامعية أن ترتبط بالواقع وأن تبدأ بالواقع، في البداية من الأدنى إلى الأعلى وليس العكس، فلا بد أن تقوم هذه المراكز بتقديم الحلول، أي التركيز على تقديم حلول لمشاكل واقعية، وعدم التركيز كثيراً على السلبيات

الجدول رقم 11: يوضح تمركز النخبة في موقف النقد أم الصمت والانعزال

المبحوثين	التكرارات	النسبة %
النقد	25	20,83 %
الصمت و الانعزال	95	79,16 %
المجموع	120	100 %



إن هذه النتائج توضح لنا موقف النخبة المثقفة الجزائرية بين الصمت و النقد أو الانعزال، لكن التساؤل الذي نطرحه هنا في هذا المقام، هل فعلاً يصل المثقف إلى حالة تصل به أن "ينسلخ" عن مجتمعه ، ولكن هل بمقدور المثقف الانسلاخ فعلاً عن المجتمع !؟

وبالتالي لا يرى في المجتمع إلا كل شر ، صحيح أن الموقف الجذري قد يكون فيه بعض الحق في نظرتة للقضايا ، ولكنه قد يكون أحياناً متطرفاً في وجهة نظره ولا يقبل إلا بوجهة النظر الحدية، والإشكالية التي تواجه أصحاب النظرات الحدية عدم قدرتهم على القيام بأي دور أو تأثير، وعدم قبولهم للمختلفين في أوقات كثيرة، ودائمي التذمر من الآخرين والمجتمع والظروف، و عادة ما

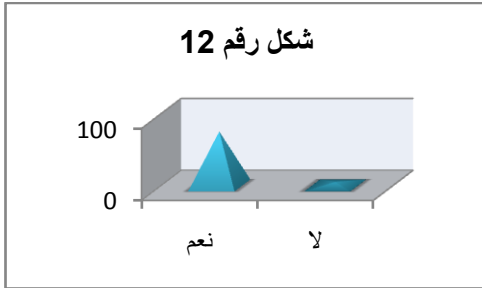
يبادلهم المجتمع عدم القبول أو لا يحاول الاقتراب منهم بل أحياناً يمارس المجتمع ضغطاً على من يتصل بهم .

أن يعيش حالة عزلة ، وإن كانت هذه الحالة أقل من الحالة السابقة إلا أنها قد تكون مقدمة لها أحياناً ، ولهذه العزلة درجات كثيرة أقصاها حالة الانسلاخ ، ويعيش المثقف العزلة فيكون بدون أي تأثير على المجتمع أيضاً كلما زادت عزلته عن المجتمع ، والتي قد تصل أن ينسى المجتمع هذا المثقف ، أو أن يهاجر المثقف بعيداً عن مجتمعه عند عدم قدرته على العيش أو التكيف مع الواقع المعاش بسبب ذلك ، وقريب من هذه الحالة يصف فؤاد إبراهيم حال بعض النخب التي تعزل نفسها عن المجتمع " إن عقيدة النخبة تقوم على أساس أن (التميز النخبوي) يتحقق عن طريق (العزلة الاجتماعية) ، وكانت العزلة الطوعية هذه تستوفي مبرراتها كلما ساءت الأحوال الاجتماعية وتدهورت الأوضاع السياسية. وازداد طغيان الظاهرة الانعزالية لدى النخبة حين بدأت النخبة وجهتها ومقاصدها فأصبح شغل النخبة الشاغل تفسير الأحداث عوضاً عن تغييرها ، ولما استسلمت إلى هذا النمط من الثقافة وصرفت النظر عن التحول إلى قوة تغيير راحت النخبة تقيم الأوضاع الاجتماعية بمنطق استعلائي ، لتضيف إلى أسوار عزلتها سوراً آخر ، وفي نفس الوقت تضيف إلى جهلها بالواقع الاجتماعي جهلاً آخر ، فالمجتمع هو الجامعة الكبرى التي يمكن فيها تحصيل العلوم والمعارف .

أن يرفض المثقف الحالتين السابقتين ويبقى مصراً على ممارسة دوره الناقد، وهذا النوع يبقى على صدقه مع نفسه بغض النظر عن نوعية أفكاره ، فإما يلتزم بهذا الدور وهذا قد يأخذ مسارين يرفض المجتمع أفكار هذا المثقف أو لا يسمع له فتكون للمثقف ردة فعل سلبية ، أي يبادل المجتمع عدم الاهتمام بما يقوله المجتمع عنه ، مع البقاء على ممارسة هذا النوع من النقد للمجتمع مؤمناً أن له رسالة عليه السعي لتحقيقها ، وكذلك مع بقاء لومه للمجتمع لعدم الاستفادة منه كمثقف يحمل الفكر والتنوير ، أو يحاول المثقف أن يكون إيجابياً مع المجتمع بصورة أخرى ، بأن يتواصل معه ويحاول إقناع المجتمع بأفكاره ورؤاه ، صحيح يبقى هناك نوع من عدم قيام المجتمع بالتفهم أو عدم الأخذ بما يقوله المثقف في هذه الصورة ، ولكن هذا المثقف ينظر لذاته باعتبارها جزءاً من المجتمع ويقع على كاهله واجب مواجهة الأخطاء الاجتماعية بالتفاعل الإيجابي ليحرك مياه المجتمع الراكدة فيبقى على اتصال بالمجتمع لأن ذلك قدره كمثقف، حيث يرى كما هو حال بعض المثقفين العرب أن ثقافة المجتمعات العربية تفرض على المثقف قيماً تؤكد ربطه بالمجتمع ، كقيم التعاون مع أفراد

المجتمع وخدمتهم والانتماء لهم ، كما أن بعض القيم الفردية التي يحملها المثقف باعتباره فرداً وليس بالضرورة أن القيم الفردية تكون متعارضة فعلاً مع المجتمع وقيمه ، فهناك قيمة الانتماء للمجتمع النابعة من مسؤولية المثقف التي يمكن من خلالها يبقى هناك رابط بين المثقف والمجتمع ، فليس المثقف كائناً معزولاً عن مجتمعه يمكنه تبني خيار العزلة دون مواجهة إشكالية وصراعات مع ذاته بسبب هذه العزلة.

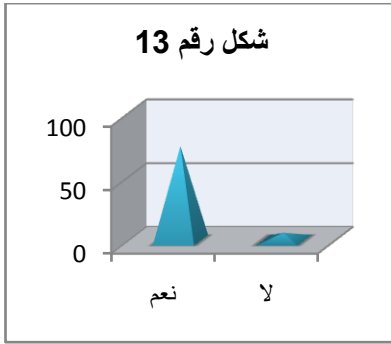
الجدول رقم 12 : يوضح أن النخبة المثقفة لا تقوم بوظيفة النقد البناء و إبداء رأيها تجاه مختلف القضايا



المبحوثين	التكرارات	النسبة %
نعم	112	93.33%
لا	08	06.25%
المجموع	120	100%

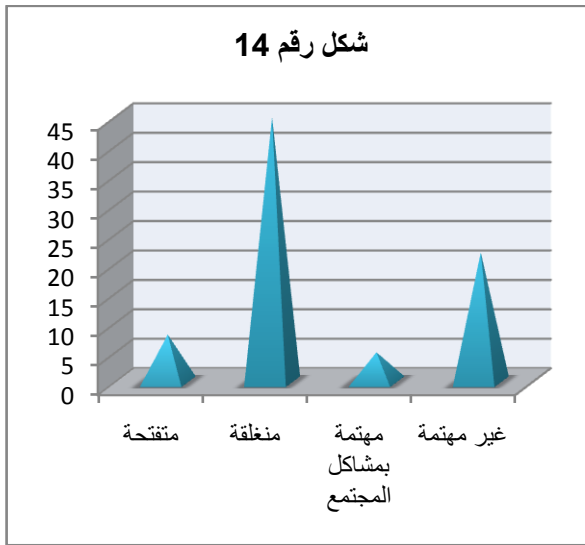
شكلت إجابات المبحوثين صورة واضحة، حيث جاءت معبرة عن أن النخبة المثقفة الجزائرية لا تقوم بوظيفة النقد طبعاً النقد البناء، يمكن القول بأنها لا تسعى بشكل مباشر أو إرادي مقصود منه محاولة كسب رضا السلطة ، لكن من جهة هي عدم ممارسة النقد بصورة واسعة تجاه السلطة التي تنتمي إليها أو تبرر ممارستها ، وإن وجدت فعادة ما تكون داخل أروقة السلطة ذاتها لا تخرج عنها ، فهو بمجرد أن يكون مع السلطة كحال مؤيدي السلطة وليس ضرورياً أن يكون موظفاً فيها فهو يقوم بالدور التبريري لأفعال وتوجهات هذه السلطة ومن هنا نرى أن مثقف يفقد مضمون المثقف لأنه يفقد مقوماً مهماً من مقومات المثقف وهو **النقد** حيث يوصف بأنه موظف للسلطة ، وقد يتعدد توجه مثقف السياسي فقد يكون دينياً أي ذو مرجعية دينية أو يكون علمانياً ذا مرجعية علمانية ، أو ذا اتجاه وطني .. إلخ فكلاهما سواء في الموقف من السلطة من حيثية أنهما يؤديان وظيفة مهمة واحدة وهي التبرير، بصورة غير مباشرة ، ويمكن اعتباره أو يفهمه منه محاولة في نفس الوقت لإرضاء السلطة بصورة أو بأخرى.

جدول رقم 13: يوضح علاقة النخبة بالمجتمع



المبحوثين	التكرارات	النسبة %
نعم	102	85%
لا	18	15%
المجموع	120	100%

الجدول رقم 14 : يوضح طبيعة علاقة المثقف بالمجتمع



المبحوثين	التكرارات	النسبة %
متفتحة	09	7,5%
منغلقة	36	30%
مهمة بمشاكل المجتمع	12	10%
غير مهمة	46	38,33%
المجموع	112	100%

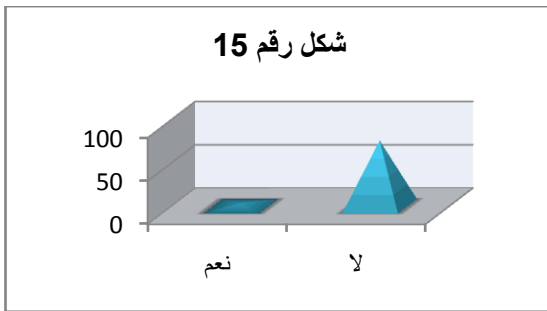
تتسم العلاقة بين المثقف والمجتمع بأنها من النوع الجدلي بمعنى أن كلاً منهما يؤثر في الآخر، فليست العلاقة بين المجتمع والمثقف علاقة عامل مستقل وعامل تابع كما هي في علم الرياضيات، ولتوضيح ذلك ، باعتبار أن المثقف نتاج مجتمعه لأنه فرد في مجتمع، فالمثقف يتأثر بما يحمل المجتمع من قيم سلبية أو إيجابية ويما ويوجد فيه من تعقيدات، المثقف وليد تأثيرات المجتمع ، فلا يمكن للمثقف العيش أو التفكير مع افتراض انعدام تأثير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مجتمعه عليه ، فمن الصعوبة تصور نشوء مثقف من فراغ بل هو نتاج ظروف معينة تمر وتؤثر عليه بقوة ، فالمثقف مشدود للواقع الذي يحيط به، إلا إذا أراد المثقف الانعزال بوعي منه لذلك أو من دون وعي بذلك ، ومن هنا تتكون مواقف وأفكار ورؤى المثقف يتركز أو يفصل الحديث عن دور

المتقف بقدر الحديث عن حاجة المجتمع للمتقف، فقد يحتاج المجتمع للمتقف ولكن قد لا يستطيع المتقف القيام بتلبية حاجة المجتمع وآماله في المتقف، وذلك بسبب ظروف موضوعية أو ذاتية لا تمكن المتقف من ذلك .

من المؤكد أن أي مجتمع يعيش صعوبات أو أزمات أو منعطفات أو حالة مفترق طرق بحاجة لنوعية معينة من أفراد المجتمع كي تقوم بأعمال وأدوار تسهم في تغييره أو تطويره نحو الأفضل ، ومن الصعوبة معالجة الأزمات التي تعيشها مجتمعاتنا فقط بالتكنولوجيات والتنمية الاقتصادية غير دون التركيز على المسألة الاجتماعية والثقافية ، ففي المجال الثقافي تحديداً تحتاج مثل هذه المجتمعات لعدد من المفاهيم الثقافية المهمة التي تسهم في تغيير الواقع العربي البائس كالإنسانية والتسامح والاحترام والتعددية ، وعدد آخر من المفاهيم التي يمكن للثقافة أن تؤثر فيها كالعقلانية والعدالة والديمقراطية وحقوق الإنسان والتنمية المستدامة وغيرها ومن خلال المفاهيم الثقافية أو المفاهيم التي يمكن للثقافة الإسهام في تحقيقها تبرز حاجة المجتمع للإسهام في تنزيل هذه المفاهيم على الواقع العربي كي يحدث فيه التغيير ثم التطور والتقدم، ويتم ذلك بمساهمة المتقف كصاحب دور مهم . مع هذا فلا معنى عندما يكون المجتمع بحاجة للمتقف كصاحب دور، أن يطلق للمتقف العنان لنفسه في ممارسة الدور المطلوب منه من دون وجود مقيدات لهذا الدور، فمن ضمن المقيدات، قيد أن يُفترض في المتقف الذي يقوم بأداء أدوار معينة حد من المعرفة والكفاءة والقدرة مع مراعاة النسبية هنا، وقيد آخر عدم نزوع المتقف للاستحواذ على الفعل والتوجيه في الساحة الاجتماعية بصورة غير ديمقراطية ومتسامحة ، وقيد ثالث التأكيد على أن المتقف أحد الفاعلين في المجتمع من الذين يطمحون ويسهمون في تطويره وتغييره الذين تبرز وجهات نظرهم في المجتمع بوضوح وتأثر فيه ، وهذه المقيدات لا تعني ألا يحق للمتقف التمايز في دوره مقارنة بغيره ، فهو حامل للوعي والمعرفة ذات الطابع المختلف بحمل قضية يعمل من أجلها ، لإسهام الوعي والفكر في تغيير الواقع الذي يمتلك المتقف قدراً منه أو يشتغل عليه لا يمكن للمتقف الاستغناء عن المجتمع مهما كانت طبيعة هذا المجتمع ومهما كانت طبيعة المتقف، لأن المتقف يهتم بالشأن العام للمجتمع كالوعي والنقد فلا بد أن يكون ذا علاقة بالمجتمع، ولكن الإشكالية هي في كيفية هذه العلاقة ، فقد تأخذ منحى وصاية المتقف على المجتمع، وقد تأخذ منحى مشاركة وتعاون المتقف مع المجتمع ، وقد تأخذ منحى تبعية المتقف للمجتمع ، وقد فشل النموذج الأول وهذا ما يطالب به بعض المثقفين إثر انتقادهم ممارسة المتقف

الوصاية على المجتمع بطلب رفع وصايته عن المجتمع والجماهير ، وهم محقون في ذلك بشرط ألا يؤدي ذلك لإنهاء العلاقة بين المجتمع والمتقف ، بمعنى أدق أن تتم إعادة صياغة هذه العلاقة مجدداً وفق الموضوعية والظروف الحالية ، ومن المؤكد أن نتيجة النموذج الثالث كذلك الفشل لأنه نموذج مقلوب للنموذج الأول فهو ينفي أو يعدم ما توصل له المتقف من رؤى ومعرفة لتوظيفها لأجل خدمة الشأن العام في المجتمع ، ويبقى النموذج الثاني وهو الأفضل من بين النماذج ، الذي يمكن وصفه بأنه ديمقراطي يقيم علاقة متوازنة بين الطرفين، وهذا يمثل الشرط الضروري في حساب علاقة المتقف - المجتمع ، بأن يكون هناك قدر واضح من الاستقلالية لدى الطرفين - المتقف والمجتمع - ، لا فقط كما يطالب بعض المتقفين أن تكون للمتقف استقلالية عن المجتمع الذي ينتمي له ، فكذلك للمجتمع الحق أن يكون له قدر من الاستقلالية عن المتقف ، وهذا القدر من الاستقلالية يحمي ويخدم الطرفين ، فلا يبخر المتقف قدرته على الفعل أو يجعله تابعاً من دون وعي للمجتمع ومتطلباته ، ويحمي المتقف من أخطاء قد يقع فيها المجتمع فعلاً ، أو أن المتقف يرى باعتبار موقعه وخطابه أن المجتمع قد يقع فيها ، ولا يجعل المجتمع تابعاً للمتقف من دون وعي ومساءلة ومحاسبة ، وتحمي كذلك المجتمع من أخطاء قد يقع فيها المتقف فعلاً أو يرى أن المتقف قد يقع فيها باعتبار أن المجتمع ليس مكوناً من " قطيع " - كما يظن البعض - بل فيه متعلمون ونخب وأصحاب تجارب وتخصصات، وكذلك في المجتمع هناك شرائح تستطيع نقد ما يقوله المتقف .

الجدول رقم 15 : تأثير النخبة المثقفة الجزائرية في المجتمع



المبحوثين	التكرارات	النسبة %
نعم	107	5%
لا	89,16	95%
المجموع	120	100%

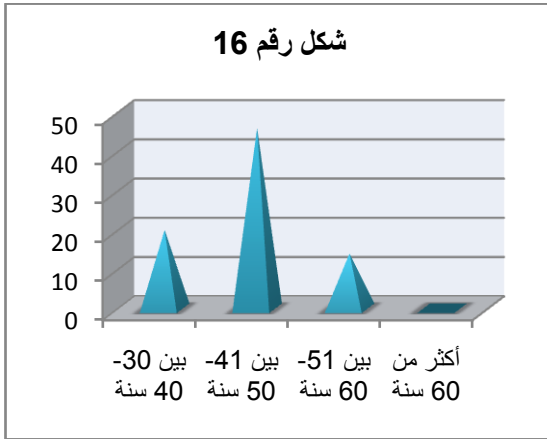
التحليل : إن نخبة المجتمع هي كذلك تشكل مصدرا للعلم والتنوير ومحفلا يبرز تطلعات وطموحات ومشاكل المجتمع الذي ينتمون إليه. وعليه فإن النخبة العلمية المثقفة والأكاديمية تتميز عن نظيرتها السياسية بجملة من المميزات وهي: إنتاج العلم والمعرفة والروح النقدية واستقلالية التفكير خاصة ذلك

المتعلق بالنبخبة السياسية المسيطرة بما في ذلك أحزاب المعارضة وأصحاب المصالح الضيقة. وحتى وإن كانت لهذه النبخبة اهتمامات و ميولات إيديولوجية، فهي دائما مطالبة بممارسة دورها الرقابي والنقدي، وهو الدور الأسمى، حيث لا بد لها من السهر على مراقبة السلطة من أجل حماية تطلعات الشعب. كما أنها مطالبة بتوجيه و تأطير المجتمع. ولكن.....

ما نراه وما تظهره النسب المبينة في الجدول بصفة عامة أن النبخبة المثقفة الجزائرية غائبة تماما ، و أحيانا مغيبة وأن هذا التغييب سببه التهميش و هذا ما ظهر لنا من خلال السؤال الذي يلي رقم 05 ، حيث جاءت تقريبا معظم الإجابات متقاربة جدا وشبه متفقة في أن هذا التهميش سببه النبخبة المثقفة في حد ذاتها ، وأنهم لم يستطيعوا فرض أنفسهم كقوة فكرية ضاغطة لها رأس مال ثقافي و فكري و رأى نقدية بناءة

3. تحليل بُعد الوعي

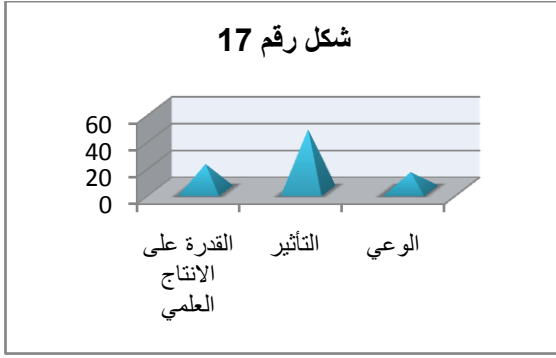
الجدول رقم 16: يمثل توزيع أفراد العينة حسب السن



الفئات العمرية	التكرار	النسبة %
بين 30-40 سنة	31	25,83 %
بين 41-50 سنة	68	56,66 %
بين 51-60 سنة	21	17,5 %
أكثر من 60 سنة	0	0 %
المجموع	80	100 %

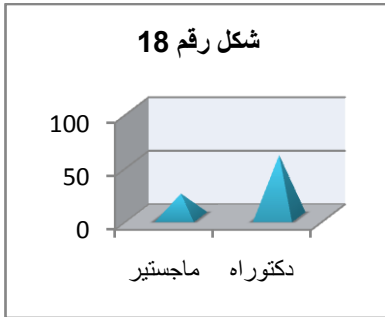
يبين هذا الجدول أن اكبر نسبة التي سجلت هي فئة عمرية تتوافق مع مرحلة الكهولة أي فترة ما بعد الخمسة وثلاثين مما يتسنى لنا القول بالنضوج العلمي والفكري والوعي، مما يعني أنهم مؤهلون من حيث السن إلى ممارسة الدوري أطلّاعي والتوجيهي للنبخبة المثقفة، إلا أنه و مع ذلك لا نجزم بان عامل السن هو معيار حقيقي وكافي لدور المثقف في المجتمع

الجدول رقم 17: بين مؤشرات تعريف النخبة المثقفة



المؤشرات	التكرار	النسبة %
القدرة على الإنتاج العلمي	08	33.33%
التأثير	09	37.5%
الوعي	07	29.16%
المجموع	24	100%

الجدول رقم 18 يمثل توزيع العينة حسب الدرجة العلمية

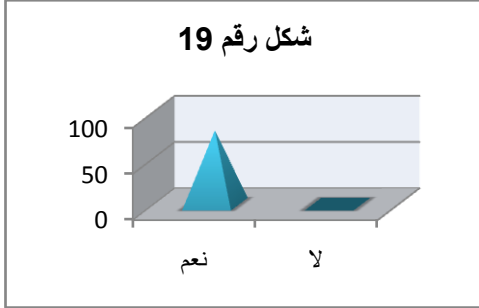


الدرجة العلمية	التكرار	النسبة %
ماجستير	33	27.5%
دكتوراه	87	72.5%
المجموع	120	100%

يبين هذا الجدول الذي من خلاله حاولنا معرفة وتحليل تعاريف النخبة المثقفة الجامعية لمفهوم المثقف و معرفة مدى ارتباط تصوراتها حول المفهوم ، طبعا المفهوم الذي اعتمدها للمثقف في دراستنا هذه، وقد جاءت جميع التعاريف متشابهة جدا من حيث أن النخبة المثقفة هي ذات التكوين العلمي العالي و تحمل شهادة جامعية عليا ، صحيح أن من مميزات النخبة المثقفة المستوى العلمي الراقى ، لكن هل الشهادة وحدها تكفي ؟، تمثل نخبتنا الثقافية- اعتمادا على عدد حاملي الشهادات العليا- نحو 48000 مثقف موزعين على 60 جامعة جزائرية - بما في ذلك الدكتوراة إلا أن هذا العدد لا يعكس الصورة الحقيقية للمثقفين الجزائريين لأن الشهادة الجامعية لا تعبر تماما عن القيمة الفكرية لصاحبها، وبالتالي فلا يمكنها أن تجعل منه مثقفا بآتم معنى الكلمة. إن المثقف الحق، بخلاف ذلك هو الذي يشارك من خلال تفكيره وتصورات ومساهماته في المظاهر المتنوعة للحياة الاجتماعية، وهو الذي يدافع عن حقوق أفراد المجتمع خاصة تلك المهمشة . إن المثقف الحق هو من يستطيع أن يمنح معنى واضحا للحياة، وهو الذي يستطيع أن يشخص علة

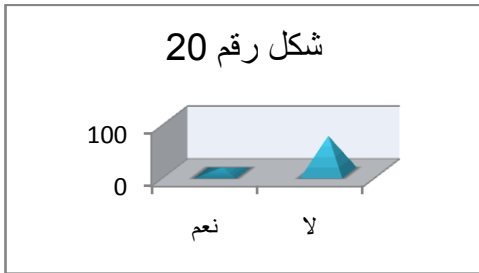
المجتمع وبيادر في إعطاء الدواء. وظيفة الجامعة في تخريج المثقفين، بل ويعتبرون في الوقت الراهن المثقفين العضوين المالكين لنفوذ قوي لم يحصل عليه أي مثقف في عصور وأزمان غابرة.

الجدول رقم 19 : يبين واجب النخبة المثقفة في صناعة القرار داخل المجتمع



المبحوثين	التكرارات	النسبة %
نعم	120	100 %
لا	0	0 %
المجموع	80	100 %

الجدول رقم 20: يوضح هل أن المجتمع في عصر المعلوماتية أصبح لا يحتاج إلى نخبة مثقفة



المبحوثين	التكرارات	النسبة %
نعم	15	12.5 %
لا	105	87.5 %
المجموع	120	100 %

التحليل :

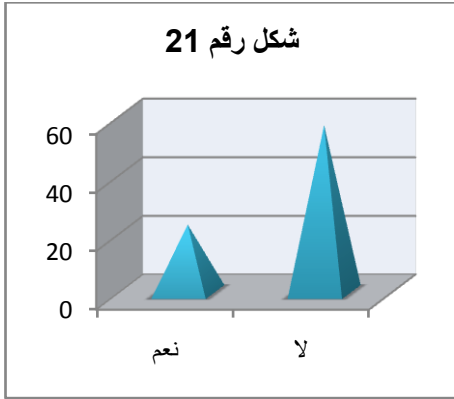
يتضح لنا من خلال النسبة المدونة أعلاه أن على النخبة المثقفة من واجبها أن تقوم بأدوار داخل المجتمع ، لكن ما هي هذه الأدوار؟ وهذا الدور نجد الإجابات على ذلك من خلال السؤال الموالي، كيف ذلك؟ حيث رصدنا أن جميع الإجابات متقاربة جدا في أن دور النخبة المثقفة، يتحدد فقط في التأسيس والتدريس والتكوين داخل الجامعة ومهمة الإشراف على الرسائل و المذكرات، في حين يجب أن تكون مهمة المثقف خارج الجامعة أيضا ، وتكون داخل الرؤية الحداثية

ممارسة النقد الاجتماعي المستمر بغية عقلنه السلوك الاجتماعي، أي تنظيم الحياة الاجتماعية وفق مبادئ ومفاهيم إنسانية تم تشكيلها وتحديدها في مطلع عصر الأنوار. لذلك يتحدد وضع المثقف

الاجتماعي ((بالدور الذي يقوم به في المجتمع كمشرع ومعتزض ومبشر بمشروع، أو على الأقل كصاحب رأي وقضية)).

المتقف ضمن الرؤية الحدائثية عنصر أساسي هام في تطوير الحياة الاجتماعية والبناء على الإنجازات الثقافية السابقة. لذلك

جدول رقم 21: يوضح فكرة أن غياب دور النخبة يعود بدرجة أكبر بأنها لا تملك مفاتيح المجتمع الالكتروني



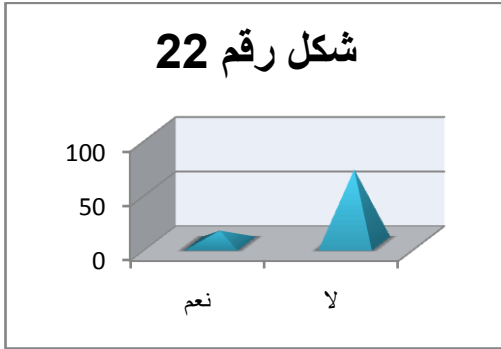
المبحوثين	التكرارات	النسبة %
نعم	34	28.33%
لا	86	71.66%
المجموع	120	100%

إن الثورة المعلوماتية وما رافقها من ثروة هائلة في المعرفة والتدفق اللامتناهي للمعلومات وضخامة ما تتحمله الشبكة العالمية ومن حرية تداولها وانسيابها عبر وسائل الاتصال الحديثة، ومن خلال توليد الأفكار أو في إيجاد المعرفة والمعلوماتية قد فتحت مقولة نهاية المتقف جداً واسعاً في العديد من منظومات الثقافات الاجتماعية، وذلك لما تحمله هذه المقولة من طبيعة نقدية و سجالية تستفز المتقف وتستدرجه بسهولة نحو التعاطي والتفاعل معها، وهو الميل بطبعه نحو النقد والجدل والسجال، ولهذا النمط من المقولات الشكاكية، أي التي يغلب عليها الشك، أو التي تجعل من الشك سمة لها، علماً أن المتقف هو الذي فتح على نفسه هذا الحديث، وهو الذي انخرط فيه، وانقسم على ذاته حين عبر عن وجهات نظر متباينة ومتغايرة في هذا الشأن.

وقد ارتبطت هذه المقولة، بأكثر من سياق الثقافي و الاجتماعي ، فقد ارتبطت بسياق نهاية الدور المعرفي للمتقف، أو نهاية دور المتقف في إنتاج المعرفة، أو نهاية المتقف بوصفه جسراً أو رافداً للمعرفة في المجتمع، وذلك في عصر شهد فيه العالم أكبر انتشاراً للمعرفة ، يمر به التاريخ الإنساني، ففي ظل ثورة المعلومات، وما سمي بانفجار المعرفة، ومع وجود الطرق السهلة والسريعة للمعرفة والمعلومات، لم يعد المتقف يحتكر لنفسه الدور في تعميم المعرفة ونشرها وترويجها.

وفي سياق ثقافي وإنساني آخر، ارتبطت مقولة نهاية المثقف، بالتحول الذي حصل في شخصية المثقف، حين تحول من شخصية ذات قرة عالية على التواصل مع الناس أو مع شريحة كبيرة منهم، إلى شخصية تكاد تنقطع عن الناس، وتفقد جسور التواصل والتفاعل معهم، أو مع شريحة كبيرة منهم، والنموذج الذي يتوجه إليه هذا النقد هو المثقف الأكاديمي المنغلق على ذاته، والمنقطع عن الشأن الاجتماعي العام. و الحقيقة أن هذه المقولة تكشف عن أزمة المثقف في هذه الأبعاد الثلاثة البعد المعرفي البعد الاجتماعي البعد الأخلاقي، ولا تكشف عن نهايته، لأن من غير الممكن نهاية المثقف، وهذا ما يتبين من خلال النسب المدونة في الجدول، ثم نشير إلى شيء آخر، وهو أن انتشار المعلومات مهما كان نوعها لا يمكن أن تكون مرادف للوعي الحقيقي أو النقد، وهذا بالضرورة يجعلنا أمام معتقد أ يضعنا أمام فكرة، و هي حتى وإن كانت مقولة نهاية المثقف لا تعني هذه النهاية نهاية صورة ونمط ونموذج للمثقف، بل ربما تكون بحثاً عن صورة ونمط ونموذج لمثقف آخر.

الجدول رقم 22: يوضح هل نموذج المثقف الملتزم وصل إلى الأفول



المبحوثين	التكرارات	النسبة %
نعم	17	14,16 %
لا	103	85,83 %
المجموع	120	100 %

التحليل : إن المثقف الملتزم لا يمثل إطلاقاً تلك الشخصية الحيادية التي تكتفي بمشاهدة ما يجري من أحداث دون التدخل فيها والتأثير عليها، فهو مطالب بحشر نفسه في كل الأمور التي تتعلق بالحياة الإنسانية: فالأمثلة على ذلك كثيرة ولا تحصر، فجون بول سارتر مثلاً، وهو روائي تفنن هو وزوجته سيمون بوفوار في إظهار التزامه ومواقفه تجاه قضايا البشرية جمعاء بدءاً برفضه القاطع للاستعمار الفرنسي للجزائر ودعمه العلني لجبهة التحرير الوطني، وتضامنه المطلق مع عمال شركتي رونو وبيجو الفرنسيتان إبان ثورة 68 الاقتصادية. إضافة إلى فرانسيس جونسون الذي ترأس منظمة من أجل الدفاع عن القضية الجزائرية. والقائمة طويلة تضم أسماء المثقفين الذين عرفوا بمواقفهم التي دافعوا عنها وتمسكوا بها إلى آخر المشوار.

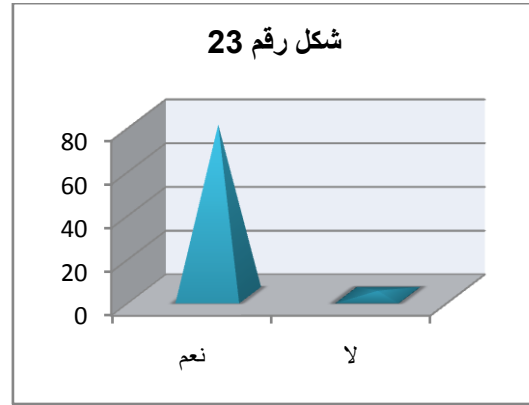
على النخبة إعادة ترتيب العلاقة، وإعادة الدور النخبوي الذي مارسه.. المتقفون بوصفهم وكلاء على القيم و الحقوق.....لقد ولى زمن المثقف بوصفه مفتاح الحادثة أو مشعل الثورة و التغيير، أو عاشق الحرية أو رمز القضية المقدسة، إذ هو أصبح يحتاج إلى التتوير¹، ومن هنا نفهم لماذا انطلق علي حرب من مشكلة الآتية وهي أن إشكالية النخبة الثقافية تكمن في نُخبويتها بالذات، حيث أن المثقفون مازالوا يشتغلون بحراسة الأفكار ومعنى الحراسة التعلق بالفكرة كما لو أنها أقدوس أو وثن يعبد (نشير إلى أن علي حرب له كتاب بعنوان أصنام النظرية وأطياف الحرية ينتقد فيه بيير بورديو ونعوم تشو مسكي فهو يرى - حرب- أن مشروعها ونضالهما تحول إلى توهمات أيديولوجية ومعالجات طوباوية²) بل إن الأفكار والنظريات ما هي في الحقيقة إلا أدوات تساعدنا في فهم الواقع إنها حيلنا في التدبر والتعقل، ويكمل علي حرب في نقده للمثقف انطلاقاً من المثقف في حد ذاته خاصة بعد فشل المشاريع الأيديولوجية -أي الحادثة- في تحقيق العدالة والرفاهية التي كانت تدعيها، ومن هنا على المثقفين أن يعيدوا تشكيل أفكارهم و مفاهيمهم بنقد أفكارهم ، وعلى نحو يحرر اللغة من التوهم المثالي و هذا هو معنى أزمة المثقف، إن مشكلة المفكر تكمن في أفكاره، وعلى النخبة إعادة ترتيب العلاقة بالأفكار لنسج العلاقات مع الواقع ، من خلال شبكة جديدة من المفاهيم ، لكن هل هذا يعني أن نجزم بأن نموذج المثقف الملتزم وصل إلى الأفول عل حد تعبير علي حرب، يجعلنا نعتقد أن أسباب غياب دور المثقف في الجزائر سببه أن، المثقف آمن بأن دوره انتهى؟، إن هذا الاعتقاد غير صحيح لأن النسبة . جاءت منافية لذلك ، كيف لا وقد سُجلت نسبة مرتفعة من إعتبرت أن النخبة المثقفة عندنا لا تعتقد أن غياب المثقف مرده إلى أن نموذج المثقف الملتزم وصل إلى الأفول ، بقدر ما ترى بأن هناك أسباب أخرى وراء غياب دور المثقف في الجزائر

¹ علي حرب ، الإنسان الأدنى أمراض الدين والحادثة ، المؤسسة العربية لدراسات والنشر ، ط2، 2010 ، ص180

² علي حرب ، أصنام النظرية وأطياف الحرية ، المركز الثقافي العربي ، ص07

الجدول رقم 23 : يبين العلاقة بين النخبة المثقفة فيما بينها

النسبة %	التكرارات	المبحوثين
% 97.5	117	نعم
% 2.5	03	لا
% 100	120	المجموع

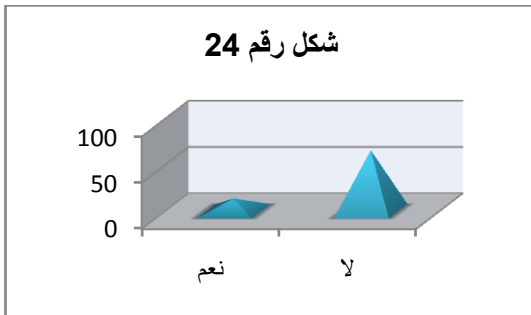


التحليل

المثقف يحتاج إلى مثل هذا الاتصال مع الآخرين لكي يوضح أهدافه ومراميه في خطابه التي يوجهها لهم عبر عباراته ومؤلفاته وخطاباته، ونشير إلى أن هابرماس يركز بشكل لافت للنظر على النقد البناء كمحك ميزاني حقيقي يطلب من النخبة المثقفة استخدامه في مجتمعهم... كوسيلة أو آلية في تصحيح أو تعديل أو تقويم ما هو فاسد وناقص أو مشوه أو منحرفا سياسيا، اقتصاديا... بل لا يقبل -هابرماس- بمواقف الطليعة المتأرجحة، الذين يضعون ساقا في جانب والأخرى في جانب آخر .

بتعبير آخر يعتبر - هابرماس - النقد وسيلة فضلى و مناسبة لتعليم وتوير الناس حول ما يدور حولهم ، أي أنه يعتمد على النشاط العقلي في رؤية وغريلة الأحداث و الأفكار الدائرة في المحيط الاجتماعي.

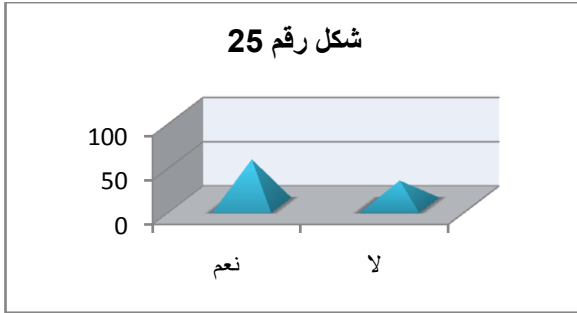
الجدول رقم 24 : يوضح هل أن المجتمع الآن لم يعد بحاجة إلى نخبة مثقفة



النسبة %	التكرارات	المبحوثين
% 17.5	21	نعم
% 82.5	99	لا
% 100	120	المجموع

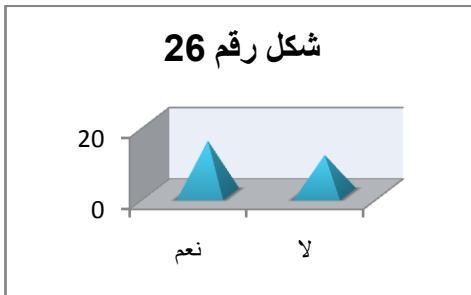
إن تقنية الاتصال المعاصرة تسمح للفرد بالانفتاح على مجالات إعلامية وثقافية متعددة هذا الانفتاح وما يقابله من تدفق معلوماتي وبتطوير الرصيد المعرفي لديه ، أي أن الفرد في الأخير أصبح حسب بعض من الأصوات و الآراء التي تراهن على أن المجتمع لم يعد بحاجة إلى من يوجهه أو بعبارة أكثر وضوحا لم يعد يحتاج كما في الماضي إلى نخبة مثقفة توجهه و تنوره وذلك لسبب بسيط ، هو أن وسائل الإتصال المتاحة أمامه جعلته في غنى عن المثقف ودوره ، لكن ما رصدناه أن هذه المقولة ربما ليست صحيحة إلى حد ما ، فمها بلغت العلوم والتقنيات من تطور وتقديم المعلومات جاهزة ، إلا أن المجتمع يبقى في حاجة إلى من يوجهه لأن وبكل بساطة هذه التقنيات ليست قد تشكل أيديولوجية معينة ، وهذا دور النخبة في توعية الجمهور بذلك

الجدول رقم 25 : يوضح هل النخبة المثقفة مهمة؟ و ما سبب التهميش؟



البحوثين	التكرارات	النسبة %
نعم	22	18.33%
لا	98	81.66%
المجموع	120	100%

جدول رقم 26: يوضح هل أن سبب تهميش المثقف هو السلطة؟

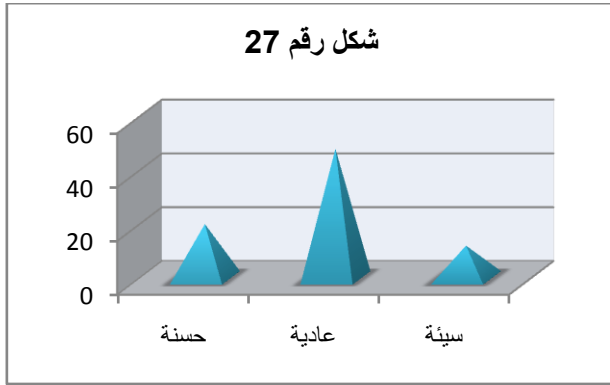


البحوثين	التكرارات	النسبة %
نعم	78	65%
لا	42	35%
المجموع	120	100%

التحليل : إن الملاحظة التي نوردها حول هذا السؤال أولاً، هي أن الإجابة حول هذا التساؤل كانت ضعيفة فأغلب المبحوثين لم يُجيبوا على هذا السؤال، ولا أعلم سبب ذلك بالرغم من أنه واضح جداً، لكن المبحوثين تفادوا الإجابة عليه.

إن مما لا شك فيه أن النخبة المثقفة الجزائرية تعاني التهميش، والعزل، وأنها فعلا مهمشة لكي تكون لها الدور أو الفعالية في صنع القرارات داخل المجتمع، وربما يمكننا الحكم بأن هذه الوضعية هي كنتيجة لمجموعة من الأسباب التي تخلق نخبة مثقفة غير فاعلة أو فعالة، لكن الأهم من هذا هو ما سبب هذا التهميش للمثقف؟ إن الإجابة على هذا التساؤل تنحصر في محورين أساسيين، الأول يمكن أن تكون السلطة متسببة في هذه الوضعية؟ و هذا موجود فعلا، ولا يمكن لأحد إنكاره، و الإجابة الثانية تكمن في النخبة المثقفة في حد ذاتها، أي أنها لم تستطع فرض نفسها، كقوة لها رأس مال ثقافي يمكن أن تكون كوسيلة ضغط، أو المطالبة بالتغيير، و هذا يطرح إشكال آخر.

جدول رقم 27 : يوضح العلاقة التي تربط النخبة بالسلطة



النسبة %	التكرارات	المبحوثين
23,33 %	28	حسنة
60 %	73	عادية
15,83 %	19	سيئة
100 %	120	المجموع

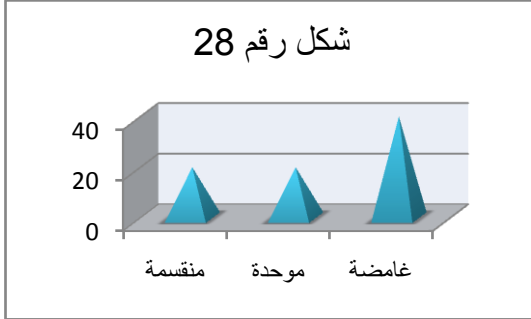
التحليل

هناك حالتان أساسيتان لكيفية النظر لعلاقة السلطة - المثقف، الأولى هي نظرة مثالية، وهي تفترض أن تكون هناك علاقة طبيعية لا تخلو من الصراع وكل طرف بحاجة للآخر، وأن المفروض أن يتعايشا ويتعاونوا لتحقيق الصالح العام بما فيه صالح الطرفين، والثانية نظرة واقعية، وهي ترى أن ما هو واقع هو عدم وجود توافق بين المثقف وبين السلطة باعتبار تكوين كليهما والأحداث تشهد أن كثيراً من المثقفين في جانب مخالف لجانب السلطة

توضح هذه النسب علاقة النخبة بالسلطة حيث تظهر أن أعلى نسب موزعة بين العلاقة حسنة وعادية، مما يوحي بنوع من أن هناك جو ديمقراطي نوعا ما، وأن تغير في العلاقة القائمة بين المثقف والسلطة و هذا ما لا يمكن إنكاره مقارنة في السنوات الماضية، حيث لم تعد المؤشرات التي توحى بصدام وتوتر العلاقة، ربما أصبح هناك نوعا ما، هامش أكبر لممارسة الحرية والتعبير على الأفكار،

بل هناك آليات و ميكانيزمات أصبحت متاحة للمثقف مقارنة بالماضي القريب، تسمح للمثقف أن يكون في مكان النقد والتوجيه، والتعبير عن الرأي.

الجدول رقم 28 : يوضح مواقف النخبة المثقفة بين الإنقسام والتوحد حول القضايا الإجتماعية



المبحوثين	التكرارات	النسبة %
منقسمة	30	25%
موحدة	30	25%
غامضة	60	50%
المجموع	120	100%

يظهر لنا من خلال النسب حول آراء النخبة المثقفة الجزائرية، مرة أخرى ما جاء في السؤال 23 يعد هذا النموذج أخطر نماذج المثقفين في وطننا العربي فهو ذلك المثقف الزئبقي أو المراوغ

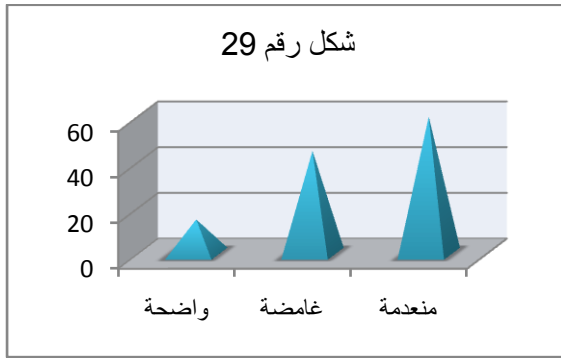
الذي يجيد فن مسك العصا من الوسط، على حد تعبير جلال أمين هؤلاء: " من أسوء من صادفت من المثقفين الذين يشاركون في الكتابة في الأمور العامة وفي التعليق على ما يجري من أحداث ، نوع يتمتع بدرجة عالية من الذكاء، كما أنهم بالغي الطموح ، يدركون بذكائهم سوء الحال وشيوع السخط ، كما يعترفون في قرارة أنفسهم بإخلاق المعارضين ورغبتهم الحقيقية في الإصلاح، ولكنهم أيضا بطبعهم قليلو الثقة بالناس . وشديدي العجلة ، بحيث ينالون ما يؤهلهم لهم ذكاؤهم من مناصب ومسؤوليات بتوظيف مناوراتهم الذكية التي تظهر تجلياتها في: البحث عن مشاجب المراهنة على عدم وجود بديل استخدام مصطلحات جديدة مراوغة عدم التسرع في الحكم قبل توفر البيانات الكافية لانقسامية التي كانت على المستوى الإيديولوجي واللغوي، عندما وصلت إلى السياسي أصبحت قطاعية، أصبحنا ننظر إلى الدولة لا كدولة وطنية واحدة، بل ننظر إليها كقطاعات. مصطفى لشرف مثلا رغم أنه يعرف العربية لكن الكثير من حاملي الثقافة المعربة ينظرون إليه كمفرنس، وهذه الانقسامية تؤدي إلى ضعف تأثير المثقف.

وهذه المأساة هي التي أدت بالمثقف إلى الاستقالة من الشأن العام؟

لم يستقل المثقف، لكن تأثيره يبقى قطاعيا، المثقف المعرب يحاور جمهورا معيناً والمثقف المفرس يخاطب جمهورا آخر، وكل واحد يستعمل لغة محددة ومفاهيم محددة ولا يتوجه إلا إلى جزء من الأمة.

وعندما نصل إلى المستويات السياسية يتحوّل الأمر إلى قطاعية. هناك جرائد تتوجه إلى جمهور معين. جريدة "الوطن" ذات تأثير كبير جدا لكن في قطاع معين، في الفئات الوسطى والإطارات وكبار السن. أما "الشروق" فلها تأثير لدى قطاع آخر الذي يمثله المتعلمون باللغة العربية. نحن في مستويين متباينين والنتيجة هي ضعف تأثير المثقف وعدم وجود مثقفين يقومون بعملية تجسير. "المثقف الوطني" غير موجود في الجزائر لكنه موجود في تونس وموجود أيضا في المغرب وفي مصر وغياب الرؤية الحضارية الشاملة لدى كثرة المثقفين ، وتشتت المثقفين وعجزهم عن تكوين قوة ثقافية متكاملة مترابطة و أخرى لا يهتم بالمجتمع أو يرى أن المجتمع لا يمكنه التقدم لمعوقات اجتماعية ذاتية، أو قد يلاقي ما لا يحبذه من المجتمع فيتخذ خيار العزلة، فيترك الاهتمام بالمجتمع ويصب كل اهتمامه على المجتمع نفسه

الجدول رقم 29 : يوضح مواقف النخبة بين الوضوح والغموض تجاه القضايا الاجتماعية



النسبة %	التكرارات	المبحوثين
12,5 %	15	واضحة
37,5 %	45	غامضة
50 %	60	منعدمة
100 %	80	المجموع

إن النسب المدونة أعلاه تبين أن مواقف النخبة المثقفة

موزعة بشكل واضح بين الغموض وأحيانا تصل إلى الانعدام

طبعا تجاه القضايا الاجتماعية ، و بذلك لا يمكن للنخبة بهذا السلوك أن تكون أنتلجنسيا على حد تعبير علي الكنز

" المثقفون الذين يعيشون في وسط مغلق لا يكونون أنتلجنسيا ، وذلك مهما كان ثراء إنتاجهمإذا لم تفعل المعرفة المتراكمة فعلها في النظام الدلالي الرمزي للمجتمع ، أما ماكسيم روندسون يقول " ما أسوء اللغة التي لا فعل لها سوى فعل التوازل حين تساعدنا على ابتلاع الأطعمة الأكثر فسادا". هكذا فإن حضور خطاب النخبة في حركية المجتمع الجزائري ينقصه الوضوح وعمق الرسالة ، فهو خطاب أو شبه خطاب لم يكن تعبويًا ولم ينخرط البتة ضمن حركية مجتمعية كما هو الحال عند الانتلجانسيات الأوروبية التي تضافرت فيها عوامل الالتزام والتجمع والنضالية فأحدثت الثورات الكبرى، حتى قيل إن الأفكار تفتك بالمجتمع أكثر مما تفتك به الدبابة والرشاشة.

تواني النخبة المثقفة على إعداد مشروع عريض أو بيان تسلمه إلى السلطة يؤكد فيه هؤلاء المثقفون شعورهم بمسؤوليتهم كمتقفين . حكماء المدينة . من واجبهم الإدلاء بموقفهم مع أنه يجب الإشارة إلى أن دائرة التعاطي الثقافي و العرفاني ضيقة جدا بحجم الأساتذة والباحثين والأكاديميين في الجزائر، حتى قيل أن المجتمع الجزائري عاش يتيما ، عاش بدون سند معنوي عاش بدون من يفكر فيه ، بدون فاعلين ينتجون ثقافة وفكرا ولذلك فضل هذا المجتمع منذ تأسيس الحركة الوطنية في سنوات الكولونيالية إلى يومنا هذا أن ينتج ثقافته الخاصة، هي الثقافة الشعبية الخالصة وأصبحنا بذلك أمام ثقافة مجتمع وثقافة نخبة في الخصوصية الجزائرية وهذا حدث عارض يستدعي الوقوف على أبعاده ضمن سياق مصفوفة متشاكلة من أصناف المثقفين الذين يحرمون في البيت الداخلي العربي . عندما يخضع المثقف إلى خيارات في زمن اللاتقافة

نتائج الدراسة

إنه من الصعب إصدار أحكام عن دور النخبة المثقفة ، وإن كانت العديد من الكتابات والدراسات تميل إلى فرضية "استقالة" أغلبية النخبة، فإن بعض الدراسات الأخرى تفضل التركيز على الحواجز التي تقف دون استفادة المجتمع من "نور علمهم"، ودخولهم عالم اليأس واللامبالاة لما يجري حولهم.

إن مظاهر تعامل المجتمع ونخبته مع ظواهر بحجم الفساد لا تؤدي حتما إلى صياغة مقارنة تقوم على اعتبار هؤلاء غير منشغلين بما يجري حولهم، أو أنهم غير معنيين بالتطورات، وإنما هو شكل من أشكال التعبير "السلبى" عن هذا الانشغال، حتى وإن كانت نتائج أي دراسة تقول عكس ذلك ، فقد حاولنا في دراستان المتواضعة أن نخرج بحلول لإشكالية الدراسة و معرفة الأسباب الحقيقية وراء غياب دور النخبة المثقفة الجزائرية في التغيير؟ و كانت الفرضية مفادها أن النخبة المثقفة غي قادرة على إحداث الفعل التواصلى الذي يعنى القدرة على إنتاج معارف جديدة والقدرة على التأثير / و أن تكون واعية ، فهذه الأبعاد الثلاثة التي شكلت الفرضية ، ثم بعد ذلك دراسة مؤشرات الأبعاد ، حيث ظهرت لنا النتائج ، أن النخبة المثقفة الجزائرية غير قادرة على إحداث الفعل التواصلى ، ابتداء من بعد إنتاج معارف جديدة حيث ظهرت أن حركة التأليف لدى النخبة المثقفة في الجزائر ضعيفة جدا بنسبة، فمن خلال التأليف تستطيع النخبة بث أفكار وتنوير المجتمع وإيجاد الحلول لمشاكل المجتمع الذي يُعول عليها كثيرا ، أما عن علاقة النخبة بالمجتمع المدني هي كذلك كانت نسبة ضعيفة حيث أظهرت النسبة عن أن هناك فراغ رهيب في علاقة النخبة بالمجتمع المدني، ونسبة بالنسبة للكتابة في الجرائد أو الصحف ، أو المجالات العلمية ، طبعا هنا لا نقصد فقط الإصدارات الجامعية فقط، وأيضا بالنسبة للمشاركة في ندوات علمية خارج الجامعة جاءت نسبة وهي ضعيفة جدا ، و هذا كله يوحي بأن هناك نقص في إنتاج المعرفة للمثقف الجزائري.

أما فيما يخص البعد الثاني ، التأثير داخل المجتمع ، حيث أظهرت لنا أن نسبة مما يُعتبر معظم الدراسات خاصة في العلوم الإنسانية و الإجتماعية هي دراسات نظرية و سطحية أكثر منها تمس الواقع الاجتماعى ، كذلك الأمر بالنسبة تأثير النخبة المثقفة الجزائرية في المجتمع حيث سجلنا نسبة مما أقرت بذلك ، كما ظهرت نسبة ممن ترى بأن النخبة المثقفة الجزائرية تتخذ موقف الصمت والإنعزال و لا تقوم بوظيفة النقد البناء ، فمن خلال ما ورد يُمكن أن نقول أن تأثير النخبة المثقفة

الجزائرية ضعيف جدا ، حتى لا نقول منعدم ، لأن هناك بعض المحاولات لبعض من النخبة التي تلاحظ للخروج من هذا المأزق

أما عن بعد الوعي، فهذا الأخير من الصعب جدا قياس الوعي لدى الأشخاص، خاصة إذا كانوا من النخبة المثقفة لأن ذلك يبدو أمرا مستحيلا، لكن هذا لم يمنعنا من المحاولة، حيث سجلنا مواقف النخبة بين الوضوح والغموض تجاه القضايا الاجتماعية نسبة قدرت بأما عن مواقف النخبة المثقفة بين الإنقسام والتوحد حول القضايا الاجتماعية جاءت نسبة لتبين أن هناك تناقض كبير من النخبة في مواقفها تجاه القضايا الاجتماعية مما يوحي بأن هناك صراعات أيديولوجية ومراعاة للمصالح الضيقة وما يدعم هذا الكلام نسبة التي وافقت على أن النخبة المثقفة الجزائرية عاجزة على التواصل الفكري فيما بينها، والحديث حول أن النخب مهمشة حيث سجلنا نسبة من تعتقد ذلك ، لكن حول هذا التهميش كانت الإجابات تتمحور حول أن سبب التهميش هو عدم قدرة النخبة على تكوين قوة ضغط لنقرض نفسها و يكون لها وزنها و تأثيرها، لأن هناك جو أكثر ديمقراطية من ذي قبل حسب ما جاءت إجابات المبحوثين حيث نرى أن نسبة علاقة عادية و نسبة علاقة حسنة هي نسب مرتفعة مقارنة بنسبة بوجود علاقة سيئة، في حين نجد نسبة من ترى بأن من واجب النخبة صناعة القرار داخل المجتمع، وما يدل كذلك على أن هناك وعي للنخبة المثقفة ، حول مقولة أن المجتمع في عصر المعلوماتية أصبح لا يحتاج إلى نخبة مثقفة أي أن المجتمع الآن لم يعد بحاجة إلى نخبة مثقفة ، وأن نموذج المثقف الملتزم وصل إلى الأفول ، ليست صحيحة ، بل هناك البحث عن نموذج جديد و البحث على آليات جديدة لدور النخبة المثقفة و حتى تكون أنتلجنسيا فاعلة و عضوية داخل المجتمع ككل.

عليه يمكن تسجيل نتائج الدراسة :

1 إن مفهوم النخبة المثقفة ليس له تعريف محدد ، بل يُعرّف حسب الإستخدام ، وهو خاضع لإعتبارات زمانية ومكانية.

2 كذلك دور المثقف يختلف باختلاف المكان و الزمان كما حاول الجابري فعل ذلك من خلال " مشروع التأصيل الثقافي " عملية تبيئة مفهوم المثقف ، فهو حاول بناء مرجعية و سلطة فكرية لمفهوم المثقف في الحضارة العربية الإسلامية ، وذلك من خلال البحث عن مدلولها في التاريخ العربي

الإسلامي و تسجيل بعض المواقف المشابهة التي نشأ من خلالها مفهوم المثقف في العالم الغربي ،
و المقصود بالتحديد قضية دريفوس .

3 أما محمد أركون إعتد على " إستراتيجية النقد من الداخل " متأثراً بمنج التفكير لجاك دريدا ،
لكن دون الرجوع إلى الثقافة الغربية على غرار deconstruction ما فعل الجابري

4 يرى هابر ماس أن النخبة المثقفة هي محرك التغيير في المجتمعات الحديثة، فأى مجتمع ليس له
نخبة فاعلة تاريخيا لا يمكن أن يتغير إلى الأحسن، و هو يتفق إلى حد كبير مع المفكر الإيطالي
أنطونيو غرا مشي الذي يرى أن للمثقف العضوي دور أساسي في التغيير وهو وحده القادر على
تكوين طبقة جديدة من المثقفين العضويين المرتبطين بهموم الناس وقضاياهم. ونفس الشيء وُجد عند
الفرنسي بيير بورديو

5 إن مفهوم المثقف L'intellectuel ارتبط بقضية اجتماعية و سياسية شهيرة عرفت في تاريخ فرنسا
الحديث باسم قضية دريفوس

6 أما ميشال فوكو فقد كان له شأن آخر يختلف كلياً عن الآخرين، حيث يرى أن المثقف هو
مثقف خصوصي ، ليس المثقف وصياً على الناس ولا ضميراً لهم وعندما يشعر بواجب أن يقول قولاً
ما فإنه يقوله في حدود نطاق تخصصه المعرفي الذي يملك فيه سلطة شرعية، ونجد هذا الاعتقاد عند
المفكر اللبناني علي حرب في كتابه أوهام النخبة

7 هيرت ماركيز يعلن أن الطبقة العاملة لم تعد عامل التغيير الاجتماعي ، و يضيف بأن هذا
العامل لا وجود له في المجتمع المعاصر، بل حل محلها فئة النخبة المثقفة، وفئة المهمشين ،
وهو بذلك يتفق إلى حد بعيد مع أنتوني جينز في نهاية البروليتاريا كمحرك للتغيير

8 أما غاي باجوا إعتبر أي خلل فانه يكون على مستوى هوية الفرد ، وبالتالي تحدث أزمة الهوية
عندما يعجز الفاعل على تحقيق الهوية الشخصية ضمن الهوية الجماعية للفاعل الجماعي، وهذا
نتيجة فشل النخبة المثقفة في وضع هوية موحدة و وبالتالي غياب النموذج الثقافي الموجه للمعاني

9 و نجد غي روشي قد تحدث عن الدور البارز للنخب في كندا حيث كان لهم الأثر البارز في
إحداث عملية التغيير من خلال ظهور نماذج جديدة للنخب هناك

10 أما كارل مانهايم يرى أن في المجتمع الحديث أن المثقفين يجب أن يكونوا المنتمين جماعة لا طبقية يقع على عاتقها القيام بوظيفة التركيب المنطقي الموحد لكل منظورات وأساليب التفكير للطبقات الأخرى فهم -المثقفون- يستوجب عليهم أن يقوموا بوظيفة التركيب و التوفيق بين الطبقات خدمة للمجتمع و اندماجه في زمن لا يتوقف التمايز الاجتماعي عن توزيع و إعادة توزيع ذلك المجتمع إلى طبقات عديدة تتجدد باستمرار

11 هناك إشكالية المرجعية للنخب المثقفة الجزائرية و الصراع القائم إلى اليوم بين التيارين الفرانكفوني و التعريبي ، مما خلق أزمة هوية

12 يمكن أن نصل إلى مقارنة بين هابرماس ، و علي الكنز في دراسة النخبة المثقفة :

علي الكنز

هابرماس

إنتاج معارف جديدة ← يقابلها ← ما يميز النخبة عن بقية الفئات الأخرى

القدرة على التأثير ← يُقابلها ← تحديد طبيعة العلاقة بين النخبة فيما بينها
توافق، صراع، نزاع، " من جهة، وعلاقتها بالمجتمع من جهة أخرى

الوعي يُقابلها ← تحديد العلاقة التي تربطها بالنظام السياسي
معارضة ، اندماج ، تبعية

عموما تظل علاقة المثقف بالمجتمع علاقة سوسيولوجية متشاكلة، يتعذر قيام اتجاه أحادي النظرة مطلق الهدف بشأنها، حيث تدخل سوسيولوجيا هذه العلاقة: مثقف . مجتمع في فرضيات واحتمالات متعددة سوف تكشف عنها تجربة المثقف في المجتمع الجزائري لأن ما نبحت عنه هو ذلك المثقف الذي ينشغل بالإضافة إلى وظيفته الشرعية لإنتاج الفكر، ووظيفة اجتماعية مهنية تختص بتنظيم الشؤون العامة وتقرير سياسة إحكامها، ونحن بذلك نشير إلى هؤلاء المثقفون يُمكن أن يكونوا كقوى محرّكة ودينامية اجتماعية ، وتُصبح النخبة إذن فاعل اجتماعي عضوي . انتمائي في النسيج المجتمعي العام وليس مجرد منتجة للفكر، و هذا لا يكون إلا بتحقيق شرط واحد و مهم وهو ، تكوين قوة ثقافية مترابطة.

الفئة الثالثة

خاتمة

لا يمكن الحكم على تجربة المثقف في الجزائر بأنها كانت ناجحة تماماً أو فاشلة تماماً، فهناك أخطاء وقع فيها المثقفون الجزائريون، ولا يعني وقوع المثقفين في أخطاء أن يتخلى المجتمع عن المثقفين، فبعض الأخطاء كانت بحسن نية لكن كان تقدير العوامل والظروف ليس دقيقاً، باعتبار أن المثقف معرض للوقوع في مثل هذه الأخطاء كغيره، فوقع المثقف في الخطأ لا يعني نهاية المطاف بالنسبة له، وبالتالي يحتاج المثقف استعادة ثقته بنفسه مجدداً أو أن يجعل المجتمع يثق فيه مجدداً.

تتسم العلاقة بين المثقف والمجتمع بأنها من النوع الجدلي بمعنى أن كلاهما يؤثر في الآخر، فليست العلاقة بين المجتمع والمثقف علاقة عامل مستقل وعامل تابع كما هي في علم الرياضيات، ولتوضيح ذلك، باعتبار أن المثقف نتاج مجتمعه لأنه فرد في المجتمع، فالمثقف يتأثر بما يحمل المجتمع من قيم سلبية أو إيجابية وبما يوجد فيه من تعقيدات، فالمفترض في المثقف الوقوف موقفاً سلبياً أمام القيم السلبية في المجتمع بنقدها والاعتراض عليها ومحاولة تغييرها، كما المفترض في المثقف الوقوف موقفاً إيجابياً من القيم الإيجابية لنشرها والعمل من خلالها على ألا تتحول هذه القيم كسلطة تفرض اتجاهها واحداً يصب في صالحها وتعارض مناقشتها، ولاعتبار أن النقد الذي هو أحد مقومات المثقف الذي يمارسه على المجتمع بمكوناته، فمن خلال هذا النقد يحاول المثقف التأثير في المجتمع، وقد يمارس المثقف أفعالاً اتجاه المجتمع توصف بالتمرد، ومع هذا قد يُوفق المثقف في أداء هذه الأفعال والأدوار التي تخصه وقد لا يوفق، وهذا وفق شروط وظروف تفرض أو تساعد أو تعيق المثقف في تحقيق ما يراه تجاه مجتمعه

ولكن الواقع يشهد أن ما يُسطر أحياناً من أن هنا كعلاقة مثالية بين المثقف والمجتمع ليس صحيحاً، فهناك عدد من التوترات يساهم فيها أحياناً بعض المثقفين، وأحياناً أخرى يساهم فيها المجتمع أفراداً وجماعات .

يرجع عبد الله عبد الدائم بعد المثقفين عن المجتمع لأسباب عدة منها أن تجاوب المجتمع مع المثقف رهن بقدرة هذا مثقف عن أن يفصح عما يختلج في أعماق ذلك المجتمع، ونزعة المثقف والاهتمام بالآخر (الغرب)، وعندما اضطلع المثقفون بدورهم التغييري، وغياب الرؤية الحضارية الشاملة لدى كثرة المثقفين، وتشتت المثقفين وعجزهم عن تكوين قوة ثقافية متكاملة مترابطة

و أيضا بُعد المجتمع عن المثقفين لأسباب عدة منها تشوه المجتمع العربي وأمراضه ،وسيطرة بعض أنماط لفكر لديني التقليدي المتخلف الذي ولدته عصور الانحطاط، والمستوى الثقافي الضحل للكثرة من أفراد المجتمع العربي المثقف وليد تأثيرات المجتمع ،فلا يمكن للمثقف العيش أو التفكير مع افتراض انعدام تأثير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مجتمعه عليه ،فمن الصعوبة تصور نشوء مثقف من فراغ بل هو نتاج ظروف معينة تمر وتؤثر عليه بقوة ،فالمثقف مشدود للواقع الذي يحيط به ،إلا إذا أراد المثقف الانعزال بوعي منه لذلك أو من دون وعي بذلك، ومن هنا تتكون مواقف وأفكار ورؤى المثقف، فمثلاً مطالبة عدد من المثقفين العرب بالديمقراطية كنتيجة لوجود حالات القمع والاستبداد تمارس في المجتمع من قبل أفراد أو جهات ضد غيرهم ،أو مطالبة بعض المثقفين العرب بالعدالة الاجتماعية كنتيجة وجود تفاوت طبقي كبير في المجتمع وهنا كمن يستفيد أو يتسلط على أموال وأحوال المجتمع وبهيمن عليه دون ترك المجال لغيره العيش بكرامة .

ليس بالضرورة أن يكون تأثير المجتمع على المثقف بتحديد اتجاهات المثقف التي يلزم على المثقف سلوكها، فقد يمارس المجتمع على المثقف دوراً سلبياً بممارسة الرقابة السلبية عليه، التي قد تكون أحياناً أفسى من رقابة السياسة ،يقول أن هناك عدة رقابات على المثقف أقساها ليست الرقابة السياسية بل الاجتماعية والذاتية " فعند أي كلام عن الرقابة على الفكر والرأي أو القول أو الإيمان أو التعبير ،يتبادر إلى ذهن الإنسان رقابة الدولة أو السلطة الحاكمة . وكثيراً ما يكون ذلك هو واقع الأمر . وكثيراً ما تتمثل رقابة ما بقوانين وأنظمة وقرارات تصدر عن الدولة وتطبقها أجهزة الدولة. ولكن هذه الحقيقة لا تمنع وجود " رقابات " أخرى ،قد تكون في بعض الأحيان أفسى من الرقابة الرسمية ،أو على الأقل أصعب من التحايل عليها وتجاوزها. فهناك رقابة المؤسسة غير الرسمية ،رقابة المجتمع ككل (تحت وطأة تاريخ من التخلف أو القهر أو الحرمان أو الجهل) ،التي تمارسها جهات نافذة في المجتمع، كالعشائر والطوائف والشرائح المهنية أو الطبقية والأحزاب السياسية ،بأصحاب المؤسسات الخاصة والمصالح الضيقة . إن لسيف التقليد والجهل وضيق الصدر والأفق حداً أمضى من سيف الدولة في بعض الأحيان . ولعل أفسى وأبشع من هذه الرقابة أو تلك، رقابة الإنسان " الداخلية " التي لا يملئها عليه وعيه أو ضميره أو شعوره بالمسؤولية ،بل يفرضها عليه جبنه أو شرهه أو لامبالاته ،أو عواطفه وجاء لا تتيح له أن يمارس الحرية التي وهبها الله له وسمحت بها الأنظمة " . إذن ، أن المشاكل التي يعانيتها المثقف من المجتمع لا تقل عن المشاكل التي يعانيتها من أنظمة الحكومة والسياسة

الملاحق

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلم

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع

جامعة : ابو القاسم سعد الله - الجزائر 2 -

التخصص التنظيم والدينامكية الاجتماعية

إستمارة بحث بعنوان

مفهوم التغير الإجتماعي لدى أساتذة علم الإجتماع

في إطار البحث الذي نقوم به نرجو منكم وبكل احترام أن تجيبوا على هذه الأسئلة بكل موضوعية و دقة قدر الإمكان ، لأن إجابتكم تساعدنا على انجاز هذا البحث المقدم لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع تخصص التنظيم والديناميكيات الاجتماعية والمجتمع و شكرا

أ د/ احمد رميتة

إعداد الطالب : طارق مخنان تحت إشراف :

بيانات شخصية:

الدرجة العلمية:السن: المهنة:

- 1- ما تعريفك للنخبة المثقفة؟ ..
- 2- هل تعتقد أنه من الواجب على النخبة المثقفة أن تقوم بأدوار في صناعة القرارات داخل المجتمع؟
- نعم لا
- 3- إذا كانت الإجابة بنعم ، كيف ذلك؟
- 4- هل ترى بأن النخبة المثقفة الجزائرية لها تأثيرا داخل المجتمع؟ نعم لا
- 5- إذا كانت الإجابة بلا ما سبب ذلك؟
- 6- حسب رأيك هل تنحصر وظيفة الأستاذ الجامعي في التدريس فقط ؟ نعم لا
- 7- إذا كانت الإجابة بلا كيف ذلك ؟
- 8- هل لديك مؤلفات ؟ نعم لا
- 9- هل يمكن تصنيفها ؟
- 10- هل أنت منخرط داخل أي منظمة أو هيئة ؟ نعم لا
- 11 - إذا كان الإجابة بنعم ما طبيعة عمل هذا التنظيم ؟
- سياسي علمي اجتماعي أخرى
- 12- هل سبق لك أن شاركت في ملتقيات، ندوات ؟
- داخل الجامعة الجامعة
- 13- هل تتابع قضايا المجتمع؟
- أحيانا دائما أبدا

14- هل تتفعل معها؟ نعم لا

15- إذا كانت الإجابة بنعم ، كيف ذلك؟

16- هل تكتب أو كنت تكتب في ؟

مجلات صحف جرائد على الفيسبوك أخرى

17- هل ترى أن النخبة المثقفة الجزائرية لها فعالية داخل المجتمع ؟ نعم لا

18- إذا كانت الإجابة بنعم أين يتجلى ذلك؟

19- ما رأيك في مواقف النخبة تجاه القضايا الاجتماعية ؟

لها مواقف واضحة لها مواقف غامضة منعدمة المواقف

20- كيف ترى آراء النخبة المثقفة حول القضايا الاجتماعية ؟

منقسمة الآراء موحدة الآراء غامضة

21- العلاقة التي تربط النخبة بالسلطة هي علاقة

حسنة عادية سيئة

22- هل توافق على أن النخبة فئة مهمشة ؟ نعم لا

23- إذا كانت الإجابة بنعم ، هل هذا التهميش سببه السلطة؟ نعم لا

24- إذا كانت الإجابة بلا ، حسب رأيك ما مصدر هذا التهميش؟

25- هل ترى بأن هناك فجوة بين النخبة و المجتمع ؟ نعم لا

26- في كلي الإجابتين، اشرح ذلك؟

27- هل توافق على أن النخبة المثقفة في الجزائر تسعى إلى إرضاء السلطة و لا تقوم بوظيفة النقد البناء و

إبداء رأيها تجاه مختلف القضايا؟ نعم لا

28- هل توافق على مقولة أن مجتمع المعلوماتية لم يعد بحاجة إلى هذه النخبة ؟

نعم لا

29- إذا كانت إجابتك بلا اشرح ذلك

30- هل تعتقد أن غالبية النخبة المثقفة الجزائرية هي فئة:

من تقوم بالنقد البناء من تتخذ موقف الصمت والانعزال

31- هل ترى أن الملتقيات العلمية الجامعية معظمها ؟

ملتقيات علمية بدرجة أكبر أي لا تخرج عن الإطار النظري

تعالج قضايا المجتمع

32- هل توافق على أن النخبة المثقفة الجزائرية لا تزال تحافظ على الجانب التقليدي الموروث منذ الحركة

الوطنية ، أي لم تحاول التجديد و إيجاد آليات عصرية لمسايرة المجتمع وفهمه ؟ نعم لا

33- هل توافق على أن النخبة المثقفة الجزائرية عاجزة على التواصل الفكري فيما بينها ؟

نعم لا

34- حسب رأيك النخبة المثقفة الجزائرية هي فئة :

متفتحة على المجتمع منغلقة و منزوية على نفسها مهتمة بمشاكل المجتمع

غير مهتمة بمشاكل المجتمع

35- هل توافق أن معظم الدراسات خاصة في العلوم الإنسانية هي دراسات نظرية و سطحية أكثر منها تمس

الواقع الاجتماعي ؟ نعم لا

36- هل تعتقد أن نموذج المثقف الملتزم وصل إلى الأفول و اقترح نموذج جديد يركز على ما يسمى

بالمجتمع الإلكتروني؟ نعم لا

37- هل توافق فكرة أن غياب دور النخبة يعود بدرجة أكبر بأنها لا تملك مفاتيح المجتمع الالكتروني

لا

نعم

كالإنترنت أو الفيسبوك؟

38 هل توجد علاقة بين البرامج الرسمية لعلم الاجتماع والقضايا المطروحة في الواقع؟

لا توجد

توجد

إلى حد ما

لا

هل تعتبر الأساتذة فاعلين في علم الاجتماع؟ :نعم

لا

نعم

هل تعتبر نفسك فاعلا في علم الاجتماع؟ :

إلى ماذا يحتاج الأستاذ ليكون فاعلا في إنتاج المعرفة السوسولوجية؟

لا

نعم

لا

نعم

لا

نعم

لا

نعم

لا

نعم

42- هل لديك موقع على الفيسبوك، تويتر، هوت ميل؟

المراجع

1. إبراهيم خليل أبراش، علم الاجتماع السياسي، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، الأريعاء، 16 مايو، 2012:
2. أحمد جميل حمودي، مدرسة فرانكفورت: شعلة اليسار الجديد، مترجم دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، 2008.
3. أحمد زايد، النخب السياسية والاجتماعية - مدخل نظري: مع إشارة خاصة إلى تشكلها في المجتمع المصري، ضمن مجموعة مؤلفين، النخب الاجتماعية، عن مركز البحوث العربية والإفريقية القاهرة، 2005.
4. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، لنجليزي فرنسي عربي، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح، بيروت 1982
5. أحمد موصلي، لؤي صافي، جذور أزمة المثقف في الوطن العربي، دار الفكر، ط 1، 2002
6. ادوارد سعيد، صور المثقف، ترجمة، غسان غصن، النهار للنشر ش.م.ل. بيروت، 1996،
7. الآن تورين، نقد الحداثة، ترجمة أنور مغيث، المشروع القومي للحداثة، 1998.
8. أنتوني جيدنز: علم الاجتماع، ترجمة وتقديم د فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، ط4، 2005.
9. أنوتي جيدنز، مقدمة نقدية في علم الاجتماع، ترجمة أحمد زايد و آخرون، دار النشر، كتب عربية.
10. أنتونيو غرامشي، كراسات السجن، القسم الأول قضايا التاريخ والثقافة، ترجمة عادل غنيم، دار المستقبل العربي، 1978.
11. أيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس: ترجمة، د محمد حسين غلوم، عالم المعرفة، الكويت 1999.
12. إسماعيل صبري مقلد ومحمد محمود ربيع: موسوعة العلوم السياسية. الكويت: جامعة الكويت، 1994،
13. برهان غليون: اغتيال العقل، محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، دار التنوير، ط1، 1979
14. بيير بورديو و جان كلود باسرون، إعادة الإنتاج، ترجمة، ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة، ط1.
15. بيير بورديو، أسباب عملية إعادة النظر بالفلسفة ترجمة أنور مغيث، دار الأزمنة الحديثة، ط1 1998.
16. بيير بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ترجمة، درويش الحلوجي، دار كنعان، ط 1، 2004.
17. بيير بورديو و جان كلود باسرون، إعادة الإنتاج، ترجمة، ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة، ط1.
18. بيير بورديو، الرمز والسلطة، ترجمة، عبد السلام بن عبد العالي، دار تويقال للنشر، ط3، 2007.
19. جان بول سارتر، دفاع عن المثقفين، الترجمة العربية بيروت، دار الآداب، 1973.
20. جون سكوت خمسون عالم اجتماع أساسي: ترجمة محمد محمود حلمي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر: جزء 2.
21. جون ليشته: خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، ترجمة د فانتن البستاني، مركز الدراسات الوحدة العربية، 2008.

22. حسن منسي : مناهج البحث التربوي ، دار الكندي ، الأردن ، ط1 1999
23. جيرار ليلرك ، سوسيولوجيا المثقفين ، ترجمة ، د جورج كتوره ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1 ، 2008
24. راسل جاكوبي ، نهاية اليوتوبيا : ، ترجمة فاروق عبد القادر ، مطابع الكويت 2001
25. ربحي مصطفى عليان ، مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق ، درا الصفا للنشر و التوزيع ، ط 1 ، 2000.
26. روجي غارودي ، الماركسية: ترجمة، د محمد أمين بحري، دار الحكمة للنشر، 2009
27. ريمون بودون ، فرانسوا بور يكو ، المعجم النقدي لعلم الاجتماع ، ترجمة ، سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2 ،بيروت ،2007.
28. عادل مختار الهواري، سوسيولوجيا التخلف والتنمية مطبوعات جامعة صنعاء، اليمن، 1981
29. عبد الباسط محمد ، حسن أصول البحث الاجتماعي، مكتبة وهبة، القاهرة 1998
30. عبد الرزاق عمار ، علم النفس الاجتماعي ، دار الجيل تونس ، ط1، 2009،
31. عبد العالي دبلة ، مدخل إلى التحليل السوسيولوجي، دار الخلدونية ،2011.
32. عبد الهادي الجوهري، قاموس علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط3، سنة 1998
33. علي أومليل، السلطة السياسية والسلطة الثقافية .- بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 1996
34. علي الكنز حول الأزمة ، 5دراسات حول الجزائر و العالم العربي ، دار بوشان 1990
35. علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف المركز الثقافي العربي ، ط3، 2004 ،
36. علي حرب ، الإنسان الأدنى أمراض الدين والحداثة ، المؤسسة العربية لدراسات والنشر ، ط2، 2010 ،
37. علي حرب ، أصنام النظرية وأطياف الحرية ، المركز الثقافي العربي ،
38. علي حرب، توافق الأضداد، الآلهة الجدد وخراب العالم، منشورات الاختلاف، ط1، 2008،
39. عمر مهيبيل، من النسق إلى الذات ، منشورات الاختلاف ، ط1، 2007.
40. كارل أوتو أبل ، التفكير مع هايرماس ضد هايرماس ، ترجمة عمر مهيبيل ، منشورات الاختلاف، ط1 ، 2005
41. كارل ماركس ، أنجلز ، الأيديولوجيا الألمانية، ترجمة د فؤاد أيوب ط1 1976 .
42. كمال المنوفي، أصول النظم السياسية المقارنة، (الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، 1987).
43. كمال بومنير، جدل العقلانية في النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت ، منشورات الاختلاف، 2009
44. لوران فلوري ، ماكس فيبر ، ترجمة ، محمد علي مقلد ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط 1 ، 2008.
45. مالك بن نبي: حياة وآثار، شهادات و مواقف، إعداد مسعودان نور الدين، دار النشر، النور والقلم.
46. مالك بن نبي: تأملات ، دار النشر ، الفكر المعاصر ط9 ،
47. مالك بن نبي: من أجل التعبير: دار النشر، دار الفكر المعاصر 1995،
48. مالك بن نبي : وجهة العالم الإسلامي

- 49.مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ، دار الفكر دمشق،ط4 ، 1984،
- 50.مالك بن نبي :إنتاج المستشرقين وأثره على الفكر الإسلامي الحديث: دار الإرشاد، ط1 1969.
- 51.محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ، ترجمة هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1993
- 52.محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر،
- 53.محمد الشيخ، المثقف و السلطة ، دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر، دار الطليعة بيروت، ط 1، 1991
- 54.محمد عابد الجابري ، المثقفون في الحضارة العربية ، - محنة ابن حنبل و نكبة ابن رشد -، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 2000،
- 55.محمد بن حنينتان، النخب السعودية: دراسة في التحولات والإخفاقات ، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه
- 56.
- 57.محمد نور الدين أفاية : الحدائث والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة ، نموذج هابرماس، إفريقيا الشرق ، بيروت لبنان ، ط2، 1998.
- 58.محمد عاطف غيث، التغير الاجتماعي والتخطيط، دار المعارف ط 2 القاهرة، 1966
- 59.محمد الدقس، التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار المجدلوي للنشر والتوزيع، عمان، 1987 ،
- 60.محمود قاسم : موسوعة جائزة نوبل 1901-1995 ، بيروت لبنان.
- 61.مصطفى الخشاب، المدخل إلى علم الاجتماع، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1992،
- 62.معن خليل العمر ، علم الاجتماع المنقفيين ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، ط1.
- 63.مشال فوكو ، هم الحقيقة ، ترجمة مصطفى المسناوي،، منشورات الاختلاف، سلسلة بيت الحكمة ط 1 ، 2006.
- 64.منصور نعمان ، البحث العلمي حرفة وفن ، دار الكندي للنشر و التوزيع ، ط1، 1998
- 65.هربرت ماركيز ، الإنسان ذو البعد الواحد ، ترجمة ، جورج طرابيشي، منشورات دار الآداب بيروت ، ط 3 ، 1988 .
- 66.هربرت ماركيز، نحو ثورة جيدة ، ترجمة ، عبد اللطيف شرارة ، دار العودة بيروت ، 1971.
- 67.يورغن هابرماس ، القول الفلسفي للحدائث ، ترجمة فاطمة ألبوشي ، منشورات وزارة الثقافة سوريا ، 1995 .
- 68.يورغن هابرماس: المعرفة و المصلحة: ترجمة ، حسن صقر، منشورات الجمل ، ط الأولى، 2001.

كتب اللغة الأجنبية:

69.André akoun K pierre ansart, **dictionnaire de sociologie**, le robert seuil;1999.

70.A. Giddens"**LA CONSTITUTION DE LA SOCIÉTÉ**" (PUF, Paris, 1987) Simon ALCOUFFE
Doctorat HEC LES FICHES DE LECTURE de la Chaire D.S.O

71.Boudiaf Saïd Nacer et autres. "**Résistances actives et passives en Algérie coloniale** 1832.

72. Elites Algériennes- Histoire et conscience de caste, Algérie, éditions: Apic, 2005
73. Jean-Louis Bergez, “Elites ou élite?”, CAPES de SES, 2005-2006
74. Frédéric bon ,M_A, burnier, les nouveaux intellectuels, édition du seuil : paris 1971
75. Idéologie et utopie (Une introduction à la Sociologie de la connaissance. Paris : Librairie Marcel Rivière et Cie, 1956
76. Pareto, Vilfredo, The Mind and Society (4 vol. London, Jonathan Cape 1933
77. Raymond Boudon, la place du désordre, quadrigé, 2eme édition, paris, 1998

Sociologie de la connaissance. Paris : Librairie Marcel Rivière et Cie, 1956. 78

مقالات ومجلات:

1. إدريس لكريني، النخبة السياسية وأزمة الإصلاح في المنطقة العربية، مجلة الديمقراطية، مؤسسة الأهرام بمصر، العدد 25 يناير 2007.
2. الشرق الأوسط / جريدة العرب الدولية السبت 10 محرم 1423 هـ 23 مارس 2002 العدد 8516 من أجل تجديد التزام المثقفين .. محمد سلام شكره مقال بعنوان ، من أجل تجديد التزام المثقفين في 13 مايو 2011 الساعة: 16:31 م
3. زهير بن جنات ، الفر دانية في سوسيولوجية ريمون بودون ، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة تونس ، العدد 28 ماي 2006 www.uluminsania.net
4. محمد كرو، المثقفون والمجتمع المدني في تونس، الثقافة والمثقف في الوطن 47 العربي ، مركز الدراسات الوحدة العربية.
5. مجلة الثقافة الجديدة، بغداد، العدد 331، سنة 2009
6. مجلة غير دورية فلسفية مرسلة بواسطة حوار بين ميشيل فوكو و جيل دلوز (1) الزواوي بغوره قسم الفلسفة، جامعة منتوري . قسنطينة، الجزائر orakphalsaphia orakphalsaphia في 06:29 2004-04-22

المنتديات والمؤتمرات:

1. منتدى العلوم الإنسانية والتطبيقية: موضوع: هابرماس والفكر النقدي في علم الاجتماع الأربعاء يوليو 1029 2009 ,

مواقع الإنترنت:

1. http://ar.wikipedia.org/wiki/بيبار_بورديو
2. http://ar.wikipedia.org/wiki/ميشيل_فوكو
3. http://ar.wikipedia.org/wiki/علي_حرب
4. http://ar.wikipedia.org/wiki/هربرت_ماركيوز
5. http://en.wikipedia.org/wiki/Lewis_A._Cosser
6. http://fr.wikipedia.org/wiki/François_Ewald
7. http://en.wikipedia.org/wiki/Jean-François_Lyotard
8. http://fr.wikipedia.org/wiki/Julien_Benda

http://fr.wikipedia.org/wiki/Guy_Rocher .9

http://fr.wikipedia.org/wiki/Pierre_Ier_de_Russie.10

www.aljabriabed.net/n81_01zenaddine.(1).htm .11 إشكالية تجديد النخب بالمغرب

Collection : Petite bibliothèque sociologique Internationale. Série B : Les classiques de la sociologie, .12
<http://www.uqac.ca/>

13. مقاطع من حوار هابرماس حول - الفلسفة في زمن الإرهاب، ترجمة خلدون النبناني، الاحد 31 آب (أغسطس) 2008.

GiovannaBorradori <http://www.alawan.org>

Laurent magne, Raymond Boudon, **la place du désordre** , <http://www.dauphine.fr/index.html>.14